كتاب

[redacted]

تاليف

المعلم اسكندر ابكاريوس

الارمنى

الحمد لله الذى جعل الاولين عبرةً للآخِرين وبعدُ فيقول العبد الفقير الى مولاهُ الغنىّ * اسكندر بن يعقوب بن ابكار الارمنى * اننى لما رايت اقبال الناس فى ديارنا الشاميَّة * الى معرفة اخبار العرب الجاهليَّة * شمَّرتُ ساعد العزم والجهاد * الى التقاطها من كل شعبٍ وواد * محاءت بحمد الله زبدةً صافية * كافيةً فى بابها وافية * وقد جمعتها فى هذا الكتاب المسمَّى نهاية الأَرب * فى اخبار العرب * وانا ارجو ممن وقف عليهِ من اهل النظر * ان يتجاوز عمَّا زلَّت بهِ القدم او راغ عنهُ البصر * فاقول وبالله التوفيق

ان العرب ينقسمون الى ثلثة اقسام بايدة وعاربة ومستعربة اما العرب البايدة فكانوا سبع قبايل وهى عاد وثمود وصحار وجاسم ووبار وطَسْم وجَدِيس وكانت مساكنهم عُمَان والبحرين واليمامة فانقرضوا كلهم الا بقايا من طسم وجديس ممن سلم بعد غدر بنى جديس بعمليق ملك

طسم واصحابه واغارة حسّان بن تُبّع بثاره عليهم وقد ذهبت عنا تفاصيل
اخبارهم لتقادم عهدهم ولم يبقَ من ذكرهم الا القليل واما العرب
العاربة فهم بنو قحطان وكانت مساكنهم بالحجاز ومنهم بنو عبد شمس
الملّقب بسَبَأ لكثرة سَبيهِ وهو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان ولهُ
عدّة اولادٍ منهم حِمْيَر وكهلان وعمرو واشعر وعاملة وهو الذى بنى مدينة
مأرب التى تُعرَف بمدينة سَبَا ومن بنى حِمْيَر بن سَبَأ التبابعة ملوك
اليمن ومنهم بنو قضاعة بن مالك بن حمير وهم احياءٌ كثيرة والمشهور
منها ثمانية وهى كلب وبلى وتَنُوخ وبهراء وجُهَيْنَة وسليح وفَهد وعُذْرَة
وكانوا اعزّاء فى الجاهلية وصار من بنى كهلان بن سبا احياءٌ كثيرة
والمشهور منها سبعةٌ وهى الازد وطى ومذحج وهمذان وكندة ومراد وانمار
ومن بطون الازد الغساسنة ملوك الشام والاوس والخزرج وخزاعة
وبارق ودوس والعتيك وغافق ومن بطون طى جديلة ونبهان وبولان
وسلامان وهنى وسُدوس ومن بطون مذحج خولان وجنب وأوَد والنَخَع
وعنس وسعد العشيرة ومن بطون كندة السكاسك والسكون ومن بطون
سعد العشيرة جُوف وزبيد ومن بطون انمار بجيلة وخثعم ومن بنى
عمرو بن سبا لَخم وجذام ومن بنى لخم المناذرة ملوك الحيرة وبنو عبد
الدار واما بنو عمرو واشعر وعاملة ومن يليهم من البطون والافخاذ فقد
غمضت انسابهم لتقادم العهد بهم وربما تخلّف من ينتسب اليهم
كالاشعريين والمراديين وغيرهم واما العرب المستعربة فهم بنو
اسمعيل بن ابراهيم الخليل الذى كانت لغتهُ عبرانية فلما استعربوا قبل

لهم ذلك ومن العرب المستعربة نزار بن مُعدّ بن عدنان بن أُدّ بن
أُدَد بن اليَسَع بن الهَمَيْسَع بن سليمان بن نابت بن اسمعيل وولد لنزار
اربعة اولاد وهم اياد وربيعة وانمار ومُضَر وكانوا قد تنازعوا بعد
ابيهم على تركتهِ فتدافعوا الى حَكَمٍ يفصل بينهم فجعل لأياد الجوارى
والاماء فقيل له اياد الشمطاء وجعل لربيعة الخيل فقيل له ربيعة
الفَرَس وجعل لانمار الحمير والمواشى فقيل لهُ انمار الحمار وجعل لمُضَر
حمر النعم فقيل لهُ مُضَر الحمراء وفارق اياد الحجاز وسار الى العراق
باهلهِ والمشهور من بطونهِ بنو ثَقِيف الذين منهم أُميّة بن ابى الصلت
الثقفىّ وقيل هم من بقايا ثمود وهم اهل الطائف ومن بطون ربيعة
اسد وبَكْر وتغلب وشيبان وحنيفة وعنزة ولُجَيم وعجل وعبد القيس
وسَدوس وذهل والنمر واللهازم وقيس وغيلان وتيم الله وبكر ومن
بطون مُضَر مُزَينة وصعصعة وهلال وهذيل وملكان وعضل وغفار والليث
والحرث ومدلج وضُمرة وفِراس وهوازن وتميم وسعد وكلاب وسَهم وزهرة
وعُقَيل وعامر وجُشَم وضبّة ونُمَير وباهلة ومازن وغَطَفان وعبس وذبيان
وفزارة وعدوان وخِندِف وكنانة وقُرَيش ومحارب والخلج وخفاجة وعدى
والرباب والادرم وجُمَح وتيم ومخزوم وأُمَيّة وسليم واما انمار بن نزار
فرحل الى اليمن وتناسل بنوهُ فى تلك الاطراف وحُسِبوا من العرب اليمانيد
وكانت العرب على انحاء شتّى فى العقايد الدينية فمنهم من انكر الخالق
والبعث ومنهم من اقرّ بالخالق وانكر البعث ومنهم من اقرّ بالخالق
وعبدَ الاصنام يزعم انها تشفع لهُ عند الله فى الاخره وكانوا يحجّون

اليها ويهدون لها الهدايا ومن العرب من كان يميل الى النصرانية ومنهم من يميل الى اليهودية ومنهم من يعتقد التناسخ وكانوا يفتخرون بالشجاعة والكرم والفصاحة ونظم الشعر والوفاء بالعهود والمحافظة على الانســـــاب

فصـــل

فى ملوك عرب اليمـــن

اول من ملك ارض اليمن ولبس التاج قحطان بن عابر بن شالخ بن ارفخشاد بن سام بن نوح بن لامك بن ماتوشالخ بن اخنوخ بن يارد بن مهلايل بن قينان بن انوش بن شيت بن ادم وكان ملكهُ قبل عهد الاسكندر بن فيلبس المكدونى بنحو الف وسبعماية سنة وكان عادلاً محمود الطريقة حسن السياسة فى الرعية كثير السماحة وفيه يقول بعض الشعراء

فما مثل قحطان السماحة والندى ولا كآبنهِ ربّ الفصاحة يعربِ

ولما مات قحطان ملك بعدهُ ابنهُ يعرب وفى السنة الاولى من ملكهِ غزا بلاد الحجاز وانتصر على اهلها واسر عدةً من ملوكها واخذ منهم الجزية ولما ثبت ملكهُ فى تلك البلاد فوّض ولايتها الى اخيهِ جرهم ورجع الى بلادهِ سالمًا غانمًا فاحبّتهُ الرعية ورفعت منزلتهُ فوق ما كانت عليهِ وقبل ان يعرب المذكور هو اول من نطق بالعربية وكان من الفصاحة على جانب عظيم وهو الذى ذكرهُ حسّان بن ثابت الانصارى بقولهِ

تعلَّمتمْ من منطق الشيخ يعربٍ ابينا فصرتم معربين ذوى نفرِ
وكنتم قديمًا ما لكم غير عجمةٍ كلامٌ وكنتم كالبهايم فى القفرِ
ورايت فى بعضِ الجاميع ان يعرب لقبٌ غلب عليهِ لاستنباطهِ العربية
وان اسمهُ يَمَن وبهِ سُمِّيَت البلاد والصحيح ان البلاد سُمِّيَت باليمن
لوقوعها عن يمين الكعبة اذا استقبلت المشرق كما سُمِّيَت الشام
باعتبار وقوعها عن شمال الكعبة وكان يعرب مغرمًا بالبنآء وهو اول
من أبتدا بعمارة المدن فى اليمن وكان حكيمًا لبيبًا قيل لما حضرتهُ
الوفاة احضر بنيهِ واوصاهم بحسن السيرة والسلوك بين الرعية وقال
لهم يابَنِيَّ تعلَّموا العلم واعملوا بهِ واتركوا الحسد عنكم ولا تلتفتوا اليهِ
فانه داعية الفظيعة بينكم وتجنَّبوا الشرَّ واهلهُ فان الشرَّ لا يجلب
عليكم الا الشرَّ وانصفوا الناس من انفسكم فانهم ينصفونكم من
انفسهم واجتنبوا الكبريآء فانها تبعد قلوب الرجال عنكم وعليكم
بالتواضع فانهُ يقرّبكم من الناس ويحبّبكم اليهم واذا استشاركم
مستشيرٌ فاشيروا عليهِ بما تشيرون بهِ على انفسكم فى مثل ما استشاركم
عليهِ فانها امانةٌ قد القاها فى اعناقكم وانشأ يقول

اوصّيكم بما وصّى اباكم ابوهُ عن ابيهِ عن الجدودِ
اريعوا العلم ثم تعلَّموهُ فما ذو العلم كالغرّ البليدِ
ولا تصغوا الى حسدٍ فتغووا غواية كل مختبلِ حسودِ
وذودوا الشرَّ عنكم ما استطعتم فليس الشرَّ من خُلق الرشيدِ
وكونوا منصفين لكل دانٍ لتنصفكم من القاصى البعيدِ

وباب الكبر عنكم فاتركوهُ فان الكبر من شيم العبيدِ
عليكم بالتواضع لا تزيدوا على فضل التواضع من مزيدِ
وان الصفح افضل ما ابتغيتم بهِ شرفًا من الملك العتيدِ
وحقّ الجار لا تنسوهُ فيكم تنالوا كل مكرمةٍ وجودِ

وكان ملك يعرب ثلثًا وثلثين سنة ولما مات ملك بعدهُ ابنهُ يشجب وكان ضعيف الراى واهى العزيمة كثير الغفلة قليل المعاقبة على الذنوب ولما مات يشجب ملك بعدهُ ابنهُ عبد شمس الملقّب بسَبَا وكان ملكًا مهيبا كثير الغزوات شديد التيقظ فى حروبهِ مكرمًا لجنودهِ وحاشيتهِ غزا الديار المصرية مرارًا واكثر المصاب فى اهلها وحمل السبايا الى بلاد اليمن واقتاد الاسرى وكانوا ينيفون على عشرة الاف اسير ولم يفعل قبلهُ احدٌ من الملوك ولذلك قيل لهُ سبا وهو الذى اغار على بابل وفتحها واخذ اثاوتها وفيهِ يقول الشاعر

لقد ملك الآفاق من حيث شرقها الى الغرب منها عبد شمس بن يشجبِ
سعى بالجياد الاعوجيّة والقنا الى بابلٍ فى مقنبٍ بعد مقنبِ

وكان لا يسمع ببلدٍ الا قصدها واستفتحها فاستظهر على كثير من البلاد وهو الذى بنى السُدّ فى ارض مارب وفجّر اليهِ سبعين نهرًا وساق اليه السيول من امدٍ بعيد وكان ملك سبا خمسًا وثلثين سنة ولما مات ملك بعدهُ ابنهُ حِمْيَر فعاش عمرًا طويلاً وبنى مدنًا كثيرة وفتح بلادًا عديدة حتى بلغ حكمهُ على ما قيل الى اوايل حدود الصين وهو الذى احرج ثمود من اليمن الى الحجاز وكان ملكهُ خمسًا وثمانين سنة ثم ملك

بعدهُ ابنهُ واثل ثم السكسك بن واثل ثم يعفر بن السكسك ولما مات يعفر كان ولدهُ النعمان حديث السن وقيل بل كان جنينًا في بطن امهِ وولد بعد ابيهِ باربعة اشهر فتولى رياسة المملكة عامر بن باذان بن عوف بن حمير نيابةً عن ابن الملك وكان عامر المذكور يلقب بذي رياش قيل لهُ ذلك لانهُ كان يلبس كل يومٍ اربع حلل من الثياب الثمينة وكان يسكن مدينة صنعاء وهي من اعظم مدن اليمن وكانت تحت ملوكهم في ذلك العصر ولما استقرَّ لهُ الامر واطاعتهُ الناس واشتهر ذكرهُ في البلاد ظنَّ انهُ لم يبقَ لهُ منازعٌ فعزم على قتل ابن الملك طمعًا في الملك ان يكون لذريتهِ من بعدهِ فلما بلغ اعيان حمير ما عزم عليهِ انكروا ذلك وخلعوا طاعتهُ واجتمعوا الى النعمان بن يعفر وبايعوهُ بالملك وحدث بينهُ وبين ذي رياش وقايع كثيرة قُتِل فيها خلق كثير وكانت النصرة للنعمان فانهزم ذو رياشٍ اقبح هزيمةٍ وكان اخر العهد بهِ وكانت مدة اقامتهِ على كرسيّ المملكة اثنتي عشرة سنة وتولَّى على المملكة بعدهُ النعمان بن يعفر بن السكسك بن واثل بن حمير بن سبا وكان لبيبًا حازمًا رفيع المنزلة عظيم السطوة غزا غزوات كثيرة وظفر بها وكان يلقب بالمعافر لقولهِ

اذا انت عافرت الامور بقدرةٍ بلغت معالي الاقدمين المقاولِ

وكان ملكهُ اربعًا واربعين سنة ثم تُوفِّيَ فتولَّى الملك بعده ابنهُ اسحم فلما توفي قام بعدهُ شدَّاد بن عاد بن الملطاط بن سبا فاجتمع لهُ الملك وغزا البلاد حتى بلغ اقصى المغرب وبنى مدنًا كثيرة ومصانع عديدة وابقى

اثارًا عظيمة ولما توفى ملك بعدهُ اخوهُ لقمان بن عاد وكان عادلًا شجاعًا سديد الراى وعاش عمرًا طويلًا ثم ملك بعدهُ اخوهُ ذو سَدَد ثم الحرث بن ذى سدد وقيل هو ابن قيس بن صيفى بن سبا الاصغر وهو تُبَّع الاول وكان يلقب بالرايش لانهُ كان قد غزا البلاد فاصاب الغنايم وادخلها ارض اليمن فراش اهلها بذلك واصلح احوالهم ثم ملك بعدهُ ابنهُ الصعب الملقب بذى القرنين لضفيرتين من شعرهِ كان يرسلهما على قرنيهِ اى جانبى راسهِ وكان كثير الاسفار والغارات ثم ملك بعدهُ ابنهُ ابرهة الملقب بذى المنار فغزا بلاد السودان وقهر اهلها وهو اول من ضرب المنار على الطرق فى غزواتهِ ليهتدى بها فى رجوعهِ ثم ملك بعدهُ ابنهُ افريقس فغزا ارض المغرب وبنى بها مدينةً عظيمة وابعد الغارة فى تلك البلاد الى اقصى العمران ثم ملك بعدهُ اخوهُ عمرو الملقب بذى الاذعار قيل لهُ ذلك لانهُ حمل النساس الى بلاد اليمن فذعر الناس منهُ وكان عاتيًا شديد التكبر قبيح السيرة وكان ابوهُ ابرهة ذو المنار قد اوصاهُ عند موتهِ بحسن السلوك بين الرعيه والقيام بحق المملكة وانشا يقول

يا عمرو انك ما جهلت وصيَّتى ... اياك فاحفظها فانك تُرشَدُ
يا عمرو لا والله ما ساد الورى ... فيما مضى الا المعين المرفدُ
يا عمرو من يشرى العُلَى بنوالهِ ... كرمًا يقال لهُ الجواد السبّدُ
كل امرئ يا عمرو حاصد زرعهِ ... والزرع شىء لا محالة يُحصَدُ
واصِل ذوى القربى وخُطَّهم انهم ... بهمِ تذلُّ الابعدين وتُكبِدُ

فلم يحفل بوصية ابيهِ وتمادى على البغى وبالغ فى نكاية الرعية فكرهتهُ حميرٍ وخلعت طاعتهُ وكان ملكه عشر سنين ثم ملك بعد خلعهِ شرحبيل بن عمرو بن غالب بن المنتاب بن ذيد بن يعفر بن السكسك بن واثل بن حميرٍ وكان عادلاً شجاعًا شديد الباس والنجدة وهو الذى بنى القصر المعروف بغمدان فى ظاهر صنعآء وهو قصرٌ عظيمٌ رفيع البنآء اقامهُ سبع طبقات فكان ارتفاعهُ عجيبًا وابدع فيهِ ما لا يوصف من الزخارف والصنايع الغريبة وكان مسكن شرحبيل المذكور فى مدينة مأرب الى الجنوب الشرقى من صنعآء فلما بنى هذا القصر انتقل اليهِ وصار دار الملك من بعدهِ لملوك اليمن وكانت مدة ملك شرحبيل المذكور عشرين سنة ولما مات قام بالمملكة بعدهُ ابنهُ الهدهاد وكان يحب التنعم والملاهى فلما توفى ملكت ابنتهُ بلقيس بنت الهدهاد ملكة سبا المشهورة وفى ايامها كان سليمان بن داود ملكًا على بنى اسرائيل وكان مقامهُ فى القدس الشريف فلما بلغها خبر سليمان وحكمتهِ الباهرة وفدت عليهِ بالهدايا الثمينة فبالغ فى اكرامها واقامت عنده اياماً وكان ذو الاذعار الذى خلعت حميرٍ طاعتهُ قد نهض بعد خروج بلقيس من بلاد اليمن واستجاش خلقا كثيرًا واستظهر على المملكه وتولّى امر البلاد فلما رجعت بلقيس اثارت الحرب بينها وبينهُ وجرت لهما وقايع كثيرة فتغلّب عليها ثم تزوج بها فاقامت معهُ شهرا وسقته سمًا فمات ورجع الملك اليها وكانت هذه الملكة من اجمل النسآء وجهًا

واحسنهنّ عقلًا وادبًا وكانت عادلةً تحب الانصاف وتكره المظالم وكانت مدة مكلها ثلث عشرة سنة ولما انقضت ايامها قام بالملك بعدها عمها مالك وهو من ولد المنتاب وكان يلقب بناشر النعم لانعامهِ على الناس باسترداده الملك بعد زوالهِ وفي السنة الاولى من ملكه غزا بلاد المغرب ووصل الى حيث لم يصل اليهِ احدٌ من الملوك السالفين قيل انهُ انتهى الى وادى الرمال فلما دخل بجيشهِ في ذلك الرمل عصفت عليهم ريحٌ شديدة فابتلعت جانبًا عظيمًا من عسكرهِ فرجع حينئذٍ على اعقابهِ ونصب في اول مسالك تلك البقاع عمودًا من النحاس واقام عليهِ شخصًا من نحاس مكتوبا على صدرهِ بالحرف المسند المعروف بالخط الحميري ليس وراء هذا مذهبٌ ورجع الى بلادهِ سالمًا واقام في الملك بقية عمرهِ حتى مات وكانت مدة ملكهِ خمسًا وثمانين سنة وقام بعده على المملكة ابنهُ شمر يرعش وكان بهِ رعشةٌ فقيل لهُ ذلك غير انه كان من الشجعان المشاهير فتح بلادًا كثيرة وانتهى في غزواتهِ الى المشرق بجيشٍ عظيم ودخل ارض العراق ثم ارتحل طالبًا بلاد الصين واخذ على بلاد فارس وسجستان وخراسان فاستظهر عليها وافتتح المدائن والحصون ودخل مدينة السُغد فهدمها فقيل لها بالفارسية شمركند اى شمر اخربها ثم أُعيدَ بناؤها فبقي عليها ذلك الاسم لكنهم تصرّفوا فيهِ فقالوا سمرقند وهي من المدن العظيمة في تلك الديار وقد وجد في هذه المدينة عمودٌ في بعض قصورها المتهدمة مكتوبٌ عليهِ

بالحميرية هذا ما بناهُ شمريرعش الحميرى لسيدة الشمس ووجد ايضًا
بابٌ مصفَّحٌ بالحديد وعليهِ مكتوبٌ بالحميرية من صنعآء الى سمرقند
الف فرسخ قيل ووجد على باب مدينة مرو كتابة باسمهِ تخبر عن
فتح المدينة وكل ذلك يدل على صحة ما ذكرناهُ من امرهِ ولما فرغ
شمريرعش من نوبة بلاد فارس سار طالبًا بلادِ الصين فلما بلغ
ملك الصين خبر قدومهِ ارتاع لذلك وارتبك فى امرهِ لما عرف من
اهوال شمريرعش واجنادهِ فقال لهُ وزيرهُ انا افدى هذه المملكة
بنفسى واكفيك شرَّ هولآء القوم قال ذاك اليك . فجدع الوزير انفهُ
وسار وافدًا على شمريرعش حتى دخل عليهِ وشكا اليهِ ظلم الملك
وقال قد فعل بى ما ترى على غير جنايةٍ تستحق ذلك وخشيت ان
يقتلنى ايضًا فخرجت اليك هاربًا وارجو ان يكون افتتاح هذه المملكة
عن يدى فسر معى وانا ضمينٌ لك بذلك فاغترَّ شمريرعش بما راهُ
من جدع انفهِ وانصاغ لقولهِ فنهض بجيشهِ والوزير يقدمهم فى تلك
القفار حتى دخل بهم فى فلواتٍ سحيقة معطشة على مسافة بعيدةٍ عن
المآء فاجهدهم العطش وهم يجدُّون فى طلب المآء ولا يدركونهُ حتى
هلكوا باسرهم وهلك شمريرعش والوزير ايضًا وكانت مدة ملك شمريرعش
المذكور سبعًا وثلثين سنة وقام بالملك بعدهُ ابنهُ ابو مالك وكان
قد عزم على المسير الى بلاد الصين لكى ياخذ بثار ابيهِ فبلغهُ
خبر معدن من الزمرد وجد فى المغرب فطمع فيهِ وترك ما كان
قد عزم عليه وسار بجيش عظيم طالبًا ذلك المعدن فادركتهُ

منيتهُ على الطريق ومات جانب عظيم من عسكرهِ وفيهِ يقول الاعشى

وخان النعيم انا مالكٍ واىّ امرء لم يخنهُ الزمانُ

ثم انتقل الملك حينئذٍ من ولد حمير بن سَبا الى ولد اخيه كهلان فملك منهم عمران بن عامر الازدىّ وكان من ارباب الكهانة ثم ملك بعدهُ اخوهُ مُزَيقِيآء وهو عمرو بن عامر وذلك سنة ثمان وستين للمسيح وانما قيل لهُ مُزَيقِيآء لانهُ كان يلبس كل يوم حلتين منسوجتين بالذهب فاذا امسى مزقهما لانه يكره ان يعود اليهما ويانف ان يلبسهما احدٌ غيرهُ ولما توفى رجع الملك الى بنى حمير فملك منهم الاقرن وقيل انهُ ابن ابى مالك بن شمر وكان ملكهُ ثلثًا وخمسين سنة ثم ملك بعدهُ ذو جيشان وكان ملكه عشر سنين ثم ملك بعدهُ اخوه تُبَّع بن الاقرن ثم ابنهُ ملكى كرب ثم ملك بعدهُ اسعد بن عمرو من ولد ذى جيشان وهو تُبَّع الاوسط وكان شديد الوطأة كثير الغزوات فشقَّ على الحميريين ما كان يحملهم عليهِ من مهالك الحروب فقتلوهُ ثم ندموا على قتلهِ واختلفوا فى من يملكونهُ بعدهُ فلم يجدوا من يقوم باعبآء المملكة مثل ابنه حَسَّان فملَّكوهُ مكان ابيهِ ولما ملك حَسَّان بن تُبَّع جعل يتتبَّع الدين قتلوا اباهُ ويقتلهم واحدًا بعد واحدٍ فكرهوهُ واجتمعوا الى اخيهِ عمرو فبايعوهُ على قتل اخيهِ حَسَّان وتملبكهِ بعدهُ وكان منهم بربم بن ربد الحميرىُ الملقب بذى رعين عمهاهُ عن قتل

اخيهِ وحذّرهُ سوء العاقبة فأَصَرَّ على عزمهِ طمعًا فى الملك وخاف ذو رُعَين ان يندم عمروٌ اذا قتل اخاهُ فيلحقهُ أَذًى فاستودعهُ رقعةً قد ختم عليها بخاتم عمروٍ ودفعها عمروٌ الى خازنهِ ومضى على قتل اخيهِ وتولى مكانهُ ثم ندم على ذلك فجعل يعاقب اقيال حمير حتى وصل الى ذى رُعَين فطلب الرقعة التى استودعهُ اياها فاحضرها واذا هو قد كتب فيها

أَلا مَن يشترى سهرًا بنومٍ سَعيدٌ من يبيت قرير عينِ

اذا ما حِمْيَرٌ غَدَرت وخانت فمعذرة الاله لذى رُعَين

فعفا عمروٌ عنهُ واحسن اليهِ وكان ملك حَسَّان بن تُبَّع سبعين سنة ولما جلس عمروٌ فى الملك مكان اخيه حَسَّان تواترت عليهِ الامراض فقعد عن الغزو ولزم الفراش فقيل لهُ المَوْثَبان بناء على تضمّن ذلك معنى القعود على الوسادة بلغة حمير ولما انهكهُ السقم صار لا يخرج الا محمولاً على نعشٍ فقيل لهُ ذو الاعواد وهو الذى اشار اليه الاسود بن يعفر بقولهِ

ولقد علمت سوى الذى نَبَّأتنى ان السبيل سبيل ذى الاعوادِ

وكان ملكه ثلثًا وستين سنة ثم ملك بعدهُ ابنه عبد كلال وكان على دين النصرانية مجتهدًا فى العبادة راهدًا حسن السيرة قتل وملك بعدهُ تُبَّع بن حسَّان ثم ابن اخته الحرث بن عمرو ثم مرتد بن عبد كلال ثم ابنهُ وكيعة وكان مذموم السيرة ضعيف العزيمه وكان كثيرا ما يميل الى اليهودية ويظهر انهُ يهودىٌّ ثم

ينهض بعد ذلك ويغير للنصرانية ويدعى انهُ نصرانيٌّ وفى ايامهِ حدث اضطرابٌ عظيم فى المملكة وعصى عليه عدة قبايل وخلعوا طاعتهُ وكان ملكهُ سبعًا وثلثين سنة ثم ملك بعده ابرهة بن الصَبَّاح وكان كريمًا حسن الحاضرة مقصودًا من الجهات ثم صهبان بن محرث وكان شجاعًا كثير الغارات قتله السفَّاح التغلبىّ يوم حزاز وفى ذلك يقول عمرو بن كلثوم التغلبـــىّ

ونحن غداة أُوقِدَ فى حزازٍ وفدنا قبل وفد الوافدينا

براسٍ من بنى جُشمَ بن بكرٍ ندقّ بهِ السهولة والحزونا

وقيل ان قاتلهُ نعجِ بن عتبة التغلبىّ وهو الذى يقول فيه كليب وائل

لما التقينا بالصفايح والقنـــا والهام من وقع الحديد تُفَلَّقُ

نعجِ بن عتبة شـــك ثغرة تُبَّعٍ بمثقَّـــــفٍ فيهِ سنانٌ ازرقُ

وكان ملك صهبان عشرين سنة ثم ملك بعدهُ الصبَّاح بن ابرهة وكان رجلاً جلدًا شديد الباس فقام يطلب دم صهبان بن محرث من التغلبيين فاستجاش كليب وائل بنى معدّ بن عدنان وانتشبت بينهما الحرب فكانت الدايرة على الصَبَّاح فخرج الى قيصر ملك الروم يستغيث بهِ وهو يقول

بكى صاحبى لما راى الدرب دونهُ وايقن أنَّا لاحقان بقيصـــرا

فقلت لهُ لا تبكِ عيناك انما نُحاوِلُ ملكًا او نموتُ فنُعـــذَرا

واقام الصبَّاح عند قيصر ايامًا فحدَّثتهُ نفسهُ بمراسلة ابنتهِ فالبسهُ قميصًا مسمومًا فمات هكذا وجدت هذه الرواية فى بعض النسخ بخط

بعض الفضلا ممن لهُ عناية بهذا الفن ورايت فى مكان اخر خلاف ذلك يزعمون انها لامرء القيس بن حجر الكندى الشاعر وكان ملك الصباح المذكور خمس عشرة سنه وقام بعدهُ بالملك ابنهُ ابرهة ولم يتعرّض لبنى معدّ بن عدنان لما عرف من سطوتهم وفى ايامهِ وقعت حرب البسوس بين بنى بكر وتغلب اربعين سنةً حتى اصلح بينهم عمرو بن هند وكفّهم عن القتال فاستعدَّ ابرهة لما فى نفسهِ من امر ابيهِ وقبل ان يشنّ الغارة ادركه الموت فملك بعدهُ ذو الشناتر اى الاقراط بلغة اليمن قيل لهُ ذلك لاقراطٍ كان يتحلّى بها وكان من بنى عمه الاباعد لا من آل بيت الملك وكان فاسقًا مجاهرًا بالفحشآء ياتى الغلمان فكان لا يسمع بغلامٍ جميل الا استحضرهُ ففسق بهِ ومكث على ذلك حتى نشا زرعة بن كعب الحميرىّ من سلالة الحرث الرايش وكان جميل الصورة يرسل ذوايب من شعرهِ على ظهرهِ فَلُقِّب ذى نُوَاس ولما بلغ الملك امرهُ دعاهُ اليهِ فاقبل حتى دخل على الملك وقت الهاجرة وقد خلا بنفسهِ فاجلسهُ معهُ على السرير ومدَّ يدهُ اليهِ وكان الغلام قد ارسل سكّينًا فى خفّهِ فاستلّها خفيةً وضربه بها فى بطنهِ فسقط فقام اليهِ وقطع راسهُ وكان الحاجب قد سخر بهِ عند دخولهِ فخرج بالراس والقاهُ بين يديهِ فقال الحاجب لله در ابيك والله لا يلى ملكنا غيرك فاجتمع الناس اليهِ وبايعوهُ بالملك ووضعوا التاج على راسهِ واجلسوهُ على السرير وكان ملك ذى الشناتر سبعا وعشرين سنة وقام بالملك بعدهُ ذو نواس وكان

جلوسه على سرير المملكة سنة اربعماية وتسعين للمسيح وهو صاحب الاخدود الذى دعا اهل اليمن الى التهوّد وكان قد نزل يثرب مجتازًا فاعجبتهُ اليهودية فتهوّد وسمى نفسه يوسف واشتهر بهذا الاسم وتبعهُ اهل اليمن الا طوايف من حضرموت وعدن فغزاهم وقتل جميعهم ثم دعا العرب الى اليهودية فكان من لا يجيب دعوته يسير اليه فيوقع بهِ فشاع ذكرهُ فى ساير الاقاليم وعظمت شوكتهُ واطاعتهُ العباد وكانوا يجيبون دعوته خوفًا من شدة نقمته فكرهتهُ اعيان حمير وحسدوهُ على الملك الذى هو فيه وندموا على تمليكه لما ظهر لهم منه فعزموا على خلع طاعته فلم يخفَ عليه ذلك لكنه لم يحتفل بهم بل قبض على البعض منهم وعذبهم اشد العذاب وانشآء يقول

اساس الملك ويحكُمْ رجالٌ اذا ما الملك زال عن الاساسِ
فمن يعطى الرجال ونطّبيهِ وتطعن دونه يوم الحماسِ
ينال بها من الدنيا الذى قد حواه المرء يوسف ذو نواسِ
فكم من تاج ملكٍ قد رايتم تنقّل من اناسٍ فى اناسِ
اطيعوا الراس منكم كى تسودوا وهل جسدٌ يسود بغير راسِ
فان الناس مثل الارض ارضٌ وان ملوكهم مثل الرواسى

ولما تمكن ذو نواس فى الملك حملتهُ اليهود على غزو نجران لامتحان من بها من النصارى فاغار عليهم ودعاهم الى اليهودية فامتنعوا فقتل ملكهم عبد الله بن الثامر وجمع اهل البلد والقاهم فى حفيرةٍ قد احتفرها واضرم فيها النار فاحترقوا بها وهى المراد بالأُخدود

وكان ممن هرب منهم رجلٌ من عظمايهم يقال لهُ دوس ثعلبان فسار الى النجاشيّ ملك الحبشة وشكا اليهِ ما ارتكبهُ ذو نواس الحميريّ فكتب النجاشيّ الى قيصر ملك الروم يستاذنهُ فى تجريد خيلٍ الى اليمن فامرهُ قيصر ان يستخلف دوس ثعلبان على مملكتهِ ويخرج بجنوده الى اليمن فيقيم بها وينزع الملك من ذى نواس الحميرى فخرج ملك الحبشة الى اليمن فى سبعين الف فارس ولما علم ذو نواس بقدومهِ تجهّز للحرب وفرّق السلاح على جنوده وسار يستقبل الحبش فالتقوا على ساحل عدن وثار النجاشى باصحابهِ وقال لهم هذا البحر خلفكم والسيوف امامكم فلا ملجأً لكم الا الصبر حتى تموتوا او تظفروا فاقتتل القوم قتالاً شديدًا وقُتِل من الفريقين عددٌ كثير وكان الظفر للحبشة فانهزم ذو نواس باصحابهِ وتبعتهم الحبشة وخاف ذو نواس من الاسر فاقتحم البحر بجوادهِ وقال ان الغرق افضل من اسر السودان فضربتهُ الامواج وكان اخر العهد بهِ وكان ملك ذى نواس عشرين سنةَ فلما هلك قام بعدهُ ذو جَدَن الحميريّ فلم ندَعْهُ الحبشة يتمكّن من الملك وجرت لهم وقايع معهُ ثم هزموهُ فاقتحم البحر ايضًا ولحق بذى نواس فقام بعده ذو يَزَن الحميريّ وهو اخر ملوك حمير وخَلَص بعد ذلك ملك اليمن للحبشة فملك منهم ارياط قايد جيش النجاشى وكان من بنى عمّه فكان يكرم العظماء من اصحابهِ ويردرى بالضعفاء ويكلّفهم ما لا يطيقون من المشقّات فحزعوا من ذلك واجتمعوا الى ابرهة احد

روساء الجيش فغضب لهم وعزم على الاخذ بايديهم فعاهدوهُ على المبايعة له والتسليم اليه فعصى ارياط وخرج عليه ودعاه الى الحرب فانحاز الى ارياط عظماء الحبشة وغطاريفهم وانحاز الى ابرهة رعاعهم وصعاليكهم والتقى الفريقان فاقتتلوا قتالاً شديدًا ولما تمادى الامر بينهم برز ابرهة بين الصفين ونادى يامعشر الحبشة لماذا نقتل بعضنا بعضًا خلّوا بيني وبين هذا الرجل فايُّنا قتل صاحبهُ تولّى الامـــر فاستغنم ارياط ذلك لانه كان عظيم الجثة هايل المنظر وكان ابرهة ذميمًا ضيلاً فخرج كل واحدٍ منهما الى صاحبهِ ووقف كلا الفريقين عن القتال ينظرون اليهما فحمل ارياط على ابرهة وعلا وجهه بالحربة فشرم انفهُ وبذلك لُقِّب بالاشرم وحمل ابرهة على ارياط بالسيف وعلا بهِ راسهُ فاسرع السيف في دماغهِ وسقط عن جوادهِ فاجهز عليهِ ونادى ابرهة يامعشر الحبشة الله ربنا والمسيح مخلصنا والانجيـــل كتابنا والنجاشي ملكنا واني انما قتلت ارياط لتركه التسويـــة بينكم فاثبتوا للاستوا بينكم فان الله لا يرضى بالاثرة واحرام الضعفا فمالوا جميعًا وصاروا مع ابرهة واعطوهُ الطاعة واستوى لابرهة الملك بعد ذلك على بلاد اليمن واطاعتهُ العرب والحبـــش جميعًا وكان ملك ارياط في اليمن عشرين سنة ولما بلغ النجاشي قتل ارياط غضب غضبًا شديدًا وقال بلغ من ابرهة قتل ابن عمي فوالله لاطأنَّ ارضهُ سهلها وجبلها برجلي ولاجزَّنَّ ناصيتهُ بيدي ولاهرقنَّ دمهُ بكفي ثم تجهز بجنودهِ للمسير الى ارض اليمن فبلغ

ذلك ابرهة فملا جرابين احدهما من تراب السهل والاخر من تراب الجبل وعمد الى ناصيتهِ فجزها ووضعها فى حق عاجٍ ودعا حجامًا فحجمهُ وصير دمهُ فى زجاجة وختم عليهن بالمسك وبعث بهن الى النجاشى وكتب اليه يقول والله يامولاى ما خفرت ذمتك ولا خلعت طاعتك وانى واهل ارضى لسامعون لك ومطيعون لامرك وانما كان لى مع ارياط ما كان لايثارهِ الاقويا على الضعفا من جنودك ولم يكن ذلك من سيرتك ولا رايك وبلغنى قسمك فىَّ فيها قد بعثت اليك بتراب ارضى من سهلٍ وجبل وبناصيتى وبدمى فطأ تراب ارضى برجلك وجز ناصيتى بيدك واهرق دمى بكفك وابرر يمينك واطفؤ عنى غضبك فانما انا عبدٌ من عبيدك وعاملٌ من عُمَّالك والسلام فلما بلغ الكتاب النجاشى اعجب بذلك وقال والله ما فى الحبشة مثل ابرهة فاقَّرهُ فى مكانهِ واقام ابرهة المذكور على ملك اليمن احدى وعشرين سنةً ومات قتيلاً بمكة وكان قد قصدها بجيشهِ يريد ان يهدم البيت الحرام واتخذ فيلاً عظيمًا يقدّمهُ فى وجه قومهِ ليتّقوا بهِ وقع النبال ولذلك يقال له صاحب الفيل وملك بعد ابرهة ابنه يكسوم وكان قد استخلفه على اليمن عند مسيره الى مكة فلم يرجع واقام يكسوم على ملك اليمن مكان ابيه تسع عشرة سنةً ثم توفى فتولى مكانهُ اخوهُ مسروق فاقام اثنتى عشرة سنةً وراى اهل اليمن ثبات ملك الحبشة عليهم وتوارثهم اياهُ خَلَفًا عن سَلَفٍ فجزعوا من ذلك واخذتهم الأَنَفَة والحميَّة وكان فى تلك الايام قد نشا

سيف بن ذى يَزَن الحميرىّ فاجتمعوا اليهِ وقالوا لهُ ان الحَبَشة قد دخلوا بلادنا بسبب جدك ذى نواس وقد طال بلآوهم علينا حتى ضاقت صدورنا عنه ورأينا ان نجمع لك من النفقة ما يجهزك الى بعض الملوك تستنجدهُ لعلك تُقبِل بجنودٍ تقاتل هولآء الحبشة بهم فينقذنا الله بك وعلى يدك من ملكهم فقال سيف انا سايرٌ الى قيصر ملك الروم فاقتسموا لهُ مالاً وجهَّزوهُ احسن جهازٍ فسار فى البحر نحو ارض الروم حتى وافى القسطنطبنيَّة وكان قيصر يومئذٍ يوستينيانوس الثانى فدخل عليهِ وحدَّثهُ بلسان الترجمان عمَّا هم فيه من جور الحبشة منذ سبعين سنة وما يلقون من ظلمهم العنيف وسألهُ ان يمدَّهُ بجيشٍ يدفعهم بهِ فقال قيصر ان الحبش على دينى وانتم قومٌ مخالفون لنا وما كنت لأنصُركم عليهم فخرج من عندهِ سيف وقد يئِس منهُ ولما عزم سيف على الانصراف امر لهُ قيصر بعشرة آلاف درهم يتقوى بها على انصرافهِ الى بلادهِ فابى ان ياخذها وقال للرسول قل لمولاك ان لم ينصرنى فلا حاجة لى بالمال ثم ان سيفًا سار من ارض الروم حتى وافى الشام ثم خرج الى العراق وقصد النعمان بن المنذر وهو بالحيرة فدخل عليهِ واخبره بما قدم بهِ واعلمهُ بما هم عليهِ من استيلآء الحبشة عليهم منذ سبعين سنة فقال النعمان اقم عندى فان لى وفادةً على كسرى انوشروان فى كل عامٍ وقد دنا وقتها وانا حارجٌ بك وجاعلٌ الاذن بك على كسرى من بعض حوائجى فاقام عنده حتى حانت الوفادة فخرج معه حتى دخل على

كسرى واستاذن بالدخول لهُ فاذن فيهِ ودخل سيف على كسرى وهو جالسٌ على السرير فى ايوانهِ فلما دنا منه سيف طأطأ راسهُ وحيَّاهُ بتحية الملوك فامر لهُ بكرسيٍّ من ذهبٍ فجلس عليهِ فقال له كسرى ما حاجتك التى قدمت بك من ارضك السحيقة البعيدة قال سودانٌ تغلَّبوا على بلادنا منذ سبعين سنةً يسومونا الخسف فاتيتك لتمدَّنى بجيشٍ ادفعهم بهِ عن بلادنا وتكون انت ملكنا فانك احبُّ الينا منهم فقال كسرى قد بعدت بلادك عن بلادنا مع قلة الخير فيها ان فيها الشاة والبعير وذلك ما لا حاجة لى بهِ فقال سيف يامولاى لا تزهد فى بلادى فانها قرعة العرب وعقبة التبابعة الذين ملكوا الارض ودانت لهم المشارق والمغارب فقال كسرى ما كنت لِأُخاطِرَ بجيشٍ من جنودى فى ما لا يجدى نفعًا فخرج سيف من عندهِ آيسًا منكسر البال وقال كسرى اذا لم نجدهُ فلا بد من صلتهِ بما يستعين بهِ على سفرهِ وامر له بعشرة الاف درهم فحملها سيف فى ذيل ردآيهِ وخرج حتى انتهى الى باب القصر وجعل ياخذ منها كفًّا كفًّا وينثر على الناس حتى اتى عليها وبلغ ذلك كسرى فغضب وامر بادخالهِ عليهِ فدخل فقال ما حملك على ان تستخفَّ بعطيَّتى حتى نثرتها على الناس فقال ما اصنع بالمال وانا تراب ارضى ذهبٌ وفضة ثم خفقتهُ العبرة فرقَّ له كسرى وعلم ان ذلك لم يصدر الا عن كآبةٍ فى قلبه فقال له اقم حتى انظر فى امرك فخرج من عندهِ وقد داخله الطمع فى قضآء حاجتهِ فكان

يدخل على كسرى مع الوفد اذا دخلوا عليهِ ليذكّرهُ بنفسهِ فجمع كسرى وزرآءهُ وقال ما ترون فى امر هذا الاعرابى الذى اتانا موتورًا مستغيثًا فقال رئس وزرآيهِ ايها الملك ان فى سجنك اقوامًا قد استحقّوا القتل بذنوبٍ لهم فان رايت ان تطلقهم من سجنهم وتعضدهم بالمال والسلاح وتجهزهم معهُ فان ظفروا كانت زيادةً فى ملكك والّا فهم سيُقتلون لا محالة فاعجب الملك هذا الراى واخرجهم من السجن فكانوا سبعة آلاف وخمسماية نفر ففرّق فيهم المال والسلاح وقدّم عليهم شيخًا كان معهم فى السجن يقال له وهرز بن كامجار وكان من اشراف العجم وفرسانهم المشاهير وسيّرهم مع سيف فساروا الى الابلة وركبوا من هناك البحر فى اثنتى عشرة سفينةً حتى انتهوا الى ساحل عدن فنزلوا هناك واتخذوا خندقًا لانفسهم وقال وهرز قد وردنا بلادك ياسيف فماذا عندك قال عندى ما شئتَ من رجلٍ يمنىّ وسيفٍ هندىّ وفرسٍ عربى قال دونك فابعث رسلك الى قومك فارسل الرسل الى معدن اليمن وحاليفها فانجلبت اليهِ حمير من اقاصى اليمن حتى صاد فى عشرين الف فارسٍ وراجل ولما بلغ ذلك مسروق بن ابرهة ملك الحبشة تجّهز فى جنودهِ وسار نحوهم فى ثلثين الفًا من الحبش فتواقف الفريقان للحرب وقد صفّوا صفوفهم ونصبوا راياتهم وانتشب القتال بين العسكرين الى نصف النهار فقُتِـــــل مسروق وانهزمت اصحابه وكان قاتله وهرز بن كامجار قايد الفُرس رماهُ بسهم فاصاب جبينهُ ونفذ من مؤخّر راسهِ وحمل جيش العرب

والفرس على الحبشة يقتلون من ادركوا منهم حتى اتوا على اخرهم وتقدم سيف وهرز نحو صنعآء حتى دخلوها فاقام وَهْرَز بصنعآء وارسل رجاله الى كل ناحيةٍ من اليمن وامرهم ان لا يظفروا بأسوَدَ الَّا قتلوه ثم كتب الى كسرى يخبره بافتتاح اليمن فكتب اليهِ كسرى ان يخلص عن سيف فان كان من ابنآء ملوك اليمن اقرَّهُ على ملكهِ وانصرف عنه والَّا فليضرب عنقه ويجلس على ملك اليمن فجمع وهرز اشراف قحطان وسالهم عن سيف فقالوا انه من ولد ذى نواس الملك الذى غزا نجران وكان ايقاعه بهم سبب قدوم الحبشة الى بلادنا فسلَّم وهرز اليمن الى سيف وجمع من كان معه من رجال العجم بصنعآء وانصرف الى كسرى فحيَّاهُ كسرى واحسن جايزته وانقرضت عند ذلك دولة الحبش من اليمن وكانت مدة ملكهم اثنتين وسبعين سنة وجلس سيف على سرير اليمن بقصر غمدان واستوى له الملك ووفد عليه امية بن ابى الصلت فقال يمدحه

لا تطلب الثار الا كآ ن ذى يَزَنٍ اذ خيَّم البحر للاعدآء احوالا
وافى هِرَقْلَ وقد شالت نعامته فلم يجد عنده النصر الذى سالا
ثم انتحى نحو كسرى بعد عاشرةٍ من السنين يهين النفس والمالا
حتى اتى ببنى الاحرار يقدمهم تخالهم فوق متن الارض اجبالا
لله درُّهُمُ من فتيةٍ صبروا ما ان رايت لهم فى الناس امثالا
ببضٌ مرازبةٌ غُلبٌ اساورةٌ اسدٌ تربّث فى الغيطان اشبالا
فاشرب هنيًا عليك التاج مرتفقًا براس غمدان دارًا منك محلالا

واقام سيف على ملك اليمن من قِبل كسرى انوشروان ولما خلا بالملك وتمهّدت له الديار سار بنفسهِ فى جميع مدن اليمن ومحاليفها يطلب الحبشة فلا يقف على احدٍ منهم الا يقتله سوى نفرٍ يسيرٍ منهم استبقاهم وجعلهم عبيدًا له وكانوا نحو مائة رجلٍ فحملوا بهِ ذات يومٍ فى الصحراء وقد خرج للصيد فعطفوا عليه بالحراب وقتلوهُ وهربوا فى قلل الجبال وانقضى بذلك ملك حميرٍ وحزنت على سيف قبايل اليمن ودفنوهُ فى صنعآء بمقبرةٍ كانت لاجدادهِ ووضعوا فى سريرهِ عند راسهِ لوحًا قد كُتِبَت فيهِ هذه الابيات

انا ابن ذى يَزَنٍ من فرع ذى يمنِ ملكت من حدّ صنعآء الى عَدَنِ
جلبت من فارسٍ جيشًا على عجلٍ فى البحر احملهم فيهِ على السُفُنِ
حتى غزوت بهم قومًا مهاجرةً فى البر جاسوا خلال الحّى من يمنِ
بالخسف والذل حتى قال قايلهم ذوقوا ثمار ذوات الحقد والاٴحَنِ
فاوقعوا بهمِ والدهر ذو دَوَلٍ حتى كأنّ مغار القوم لم يكنِ
حتى اذا ظفرت نفسى بما طلبت وزال ما كان فى قلبى من الحَزَنِ
ونلت اكثر مما كنت آملهُ من قتلىَ الحُبْشَ حتى طاب لى وطنى
جآء القصآء بما لا يستطاع لهُ دفعٌ ولا يُشتَرىَ ياقوم بالثمنِ
من بعد ما جبت احوالاً محرَّمةً قطر البلاد فلم اعجز ولم أَهِنِ
قد صرت مرتهنًا فى قاع مظلمةٍ لله درّىَ من ثاوٍ ومرتهنِ

وكان سيف جميل المنظر عظيم الهيبة عالى الهمة شديد الباس كريم الاخلاق حسن التدبر واليهِ اشار ابن دريد فى المقصورة بقولهِ

وسيفٌ استعلت بهِ همتهُ حتى رمى ابعد شأوِ المُرتمَى
فجرَّع الأَحبُشَ سمًّا ناقعًا واحتلَّ من غمدان محراب الدُمَى

وكانت مدة ملكهِ على اليمن سبع سنين لا غير ولما بلغ كسرى انوشروان قتلهُ ارسل وهرز بن كاجار ملكًا على اليمن وذلك سنة خمسماية وسبع وتسعين للمسيح فاقام ثلث سنواتٍ وتوفى ومن ثَمَّ تداولت الفُرس مملكة اليمن فتولى عليها بعد وهرز وليجان ثم حرزادان ثم النوشجان ثم مروزان ثم باذان بن خسروان وفى ايامهِ ظهر الاسلام

فصل

فى ملوك العراق

ملوك العراق هم المناذرة بنو عمرو بن عدىّ بن نصر بن ربيعة اللخمىّ كانوا عُمَّالاً للاكاسرة على عرب العراق وكانت دولتهم من اعظم دول ملوك العرب وكان مقامهم بارض الحيرة على ساحل الفرات مسافة فرسخٍ واحدٍ عن الكوفة وكان اول من ملك على العرب فى ارض الحيرة مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عرتان بن عبد الله بن وهران بن كعب بن الحرث بن كعب بن مالك بن نصر بن الازد وهو من ولد كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان ملكه فى ايام ملوك الطوايف الذين اقامهم الاسكندر على قبايل العرب قبل الاكاسرة وكان منزله بالانبار فاقام بها الى ان رماه سُلَيمة

بن مالك بسهمٍ فاصاب مقتله ولما علم ان سُلَيمة راميهِ انشد يقول

جزاني لا جزاهُ اللـــه خيرًا سُلَيمةُ انهُ شرًّا جزانـــــي

اعلّمـــهُ الرماية كلَّ يومٍ فلما اشتدَّ ساعدهُ رمانـــي

والانبار بلدةٌ قديمةٌ على الفرات بينها وبين بغداد عشرة فراسخ وانما قيل لها الانبار لان ملوك الاكاسرة كانوا يخزنون فيها الطعام وقد تواترت الروايات ان اول من استنبط الكتابة بالعربية مُرَامِر بن مرَّة الانباريّ ومن الانبار انتشرت الكتابة في الناس وذكروا ان قُرَيشًا سُئِلوا من اين لكم الكتابة فقالوا من الحيرة وقيل لاهل الحيرة من اين لكم الكتابة فقالوا من الانبار وقيل ان الذي نقل هذه الكتابة من الحيرة الى الحجاز هو حرب بن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف القُرَشيُّ الأُمَويّ وكان قد قدم الى الحيرة فعاد الى مكة بهذه الكتابة وقيل لابي سفيان بن حرب ممن اخذ ابوك هذه الكتابة فقال من اسلم بن سدرة وقيل لاسلم ممن اخذت الكتابة فقال من واضعها مرامر بن مرَّة وكان وضع هذه الكتابة قبل الاسلام بمدةٍ يسيرة وكان لحمير كتابةٌ تُسَمَّى المسند كانت حروفها تُكتَب منفصلة لا يتّصل بعضها ببعضٍ وكانوا يمنعون العامَّة من تعلُّمها فلا يتعاطاها احدٌ الا باذنهم انتهى ولما مات مالك بن فهم المذكور ملك بعده اخوه عمرو بن فهم وفي ايامهِ كان ميلاد المسيح في بيت لحم وذلك سنة ثلثماية وثلثين من تاريخ الاسكندر بعد خليقة العالم باربعة الآف واربع سنين ولما توفي عمرو بن فهم المذكور ملك بعده

ابن اخيهِ جذيمة بن مالك بن فهم وكان شديد الوطأة ظاهر الحزم وهو اول من غزا بالجيوش وشنّ الغارات على قبايل العرب وكان بهِ برصٌ فقيل له جذيمة الابرص فلما عظم امره قيل له الابرش كنايةً عنه وربما قيل له جذيمة الوضّاح تلطّفًا في اللفظ لان الوَضَح بمعنى البَرَص واستولى جذيمة من السواد الى ما بين الحيرة والانبار وجميع القرى المجاورة لبادية العرب فكان يتولى امورها ويجبى اموالها وطالت مدته وشاع ذكره في كل مكانٍ وعظم شانه وخافت من سطوتهِ العرب وكان له اختٌ يقال لها رَقَاش وكان يحبّها ويرفع منزلتها فهويَت عدى بن نصر بن ربيعة الاياديّ وكان جذيمة قد اصطنعه وسلّم اليه مجلس شرابه فقالت له ياعديّ اذا سقيت الملك فاخذ الشراب منه فاخطبني اليه فان اجابك فاشهد القوم ففعل عَدِيّ كذلك ثم انصرف اليها وقال قد انعم الملك بما سالته فقالت اذن ادخل باهلك فدخل بها واصبح مضّرجًا بالخلوق فقال جذيمة ما هذه الآثار ياعديّ قال آثار عرس رقاش التي زوّجتني بها البارحة فاطرق جذيمة الى الارض وعرف عديّ الشرّ في وجههِ فعمد الى الفرار ودخل جذيمة الى رقاش وهو يقول

خبّريني وانتِ غير كذوبِ أبِحُرٍّ زنيتِ ام بمجيبِ

ام بعبدٍ فانت اهلٌ لعبدٍ ام بدونٍ فانت اهلٌ لدونِ

فقالت رقاش لا والله بل زوّجتني كفوًا كريمًا من ابناء الملوك فنفلها جذيمة اليه وخصّنها في قصره وكانت قد علقت بولد فلما حان

وضعها ولدت غلامًا وسمّته عمرًا وربته حتى ترعرع فأَنِفَ جذيمة منه وطرده عن وجههِ فهام فى البرية وكان عمره تسع سنين ولما فقدته امه اشتدَّ حزنها عليهِ فقلق جذيمة لذلك وندم على طردهِ وارسل فى طلبهِ رجالًا فى كل ناحيةٍ فلم يقع له على اثرٍ وما زال جذيمة يطلبه زمانًا ونذرت امه زقاش ان ردَّهُ الله عليها ان تطوّقه بطوقٍ من ذهب وجعل جذيمة لمن ياتيهِ بهِ ما يتمنّاه فتطلّبته العرب رغبةً فى ذلك ولم يجده احدٌ ومضى على ذلك سبع سنواتٍ فاتفق ان وفد على جذيمة مالك بن فارج واخوه عقيل من بنى قضاعة فى حاجةٍ لهما فنزلا فى بعض الطريق ومعهما امراةٌ يقال لها امُّ عمرٍو فقدّمت اليهما طعامًا وجلسا ياكلان واذا هما بفتًى حسن المنظر عريان لايستتر بشىءٍ وقد طال شعره على وجههِ وطالت اظفاره حتى صارت كالمخالب فدنا منهما واستأذن ان يجلس معهما على الطعام فأذنا له وجعلت ام عمرٍو تسقيهما ولا تسقيهِ فقال

صددتِ الكاس عنا أُمَّ عمرٍو وكان الكاس مجراها اليمينا

وماشرُّ الثلثة أُمَّ عمرٍو بصاحبك الذى لا تصحبينا

فقالت المراة لا تطعم العبد الكراع فيطمع فى الذراع فارسلتهما مثلاً وكان قد حامر نفس الرجلين انهُ ابن اخت الملك فاستعرفاهُ واذا هو كذلك فقصّا شعرهُ وقلّما اظفارهُ والبساهُ من خير ثيابهما واقبلا بهِ حتى دخلا على جذيمة فسرَّ بهِ وقال ان للقضآء عينين وقد جعلتُ لمن اتانى بهِ حكمهُ فاحتكما فقالا قد احتكمنا عليك

منادمتك ما بقينا وبقيت قال ذاك لكما فكانا نديميهِ حتى مات

وفى ذلك يقول متمّم بن نُوَيرة

لقد لَفَّتِ المنهال تحت ثيابـــهِ فتىً غير مبطان العشيّات أَروَعَا

وكُنّا كَنُدمَانَىْ جذيمة حُقبَـــةً من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تـفرّقـنـــــا كانى ومالـكًا لطول اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةَ معـا

قيل انهما نادماهُ اربعين سنةً لا يفارقانهِ حتى ضُرِب بهما المثل وادخل جذيمة عمرًا على امّهِ رقاش فاخذتهُ وجعلت فى عنقهِ الطوق الذى نذرته له وكان فى ايام جذيمة قد ملك الجزيرة واعالى الفرات رجلٌ من العمالقة يقال لهُ عمرو بن الظرب بن حسّان العمليقىّ محرت بينهُ وبين جذيمة حروبٌ كثيرة وانتصر جذيمة على عمرو فقتلـهُ وكان لعمروٍ ابنةٌ تُسَمّى نايلة وكانت تُلَقّب بالزَبّآء لكثرة ما عليها من الشَعر فملكت بعد ابيها وبَنَت على الفرات مدينتين متقابلتين واخذت فى الحيلة على جذيمة لعلها تدرك منه ثار ابيها فكتبت اليهِ ان النسآء لا تصلح للملـك ولا تقوم بحق السياسة وانها لم تجد لملكها موضعًا ولا لنفسها كفوًا غيرهُ ودعتهُ ان يقدم اليها لتجمع ملكها الى ملكهِ وتقلّدهُ امرها فلما اتى كتابها جذيمة استخفّهُ الطمع وجمع اهل الراى من ثقاتهِ وهو يومئذٍ فى مكانٍ على شاطى الفرات يقال لهُ بَقّة واستشارهم فى ما دعتهُ اليهِ فاجمع رايهم على المسير اليها وكان عندهُ قصير بن سعد اللخمىّ وكان حازمًا لبيبًا فانكر ما اشار بهِ القوم وقال رأىٌ فاتر وغدرٌ حاضر ونهى جذيمة

عن ذلك وقال الراى ان تكتب اليها فان كانت صادقةً فلتُقبِل اليك والّا فلا تمكّنها من نفسك ولا تقع فى حبايلها وقد وترتها بقتل ابيها فلم يلتفت جذيمة الى قولهِ ومضى وقد استخلف ابن اختهِ عمرًا على مملكتهِ وجعل معهُ عمرو بن عبد الجن على خيلهِ وسار جذيمة فى وجوه اصحابه على شاطى الفرات من الجانب الغربى فلما نزل دعا قصيرًا وقال ما الراى ياقصير فقال ببقّة خلّفتَ الراى فذهبت مثلًا ومضى جذيمة حتى دخل عليها وهى فى قصرها فامرت جواريها فاجتمعن عليهِ ليكتّفنه فامتنع عليهنّ فلم يزلن يضربنه بالاعمدة حتى تهشّم فاوثقته واجلسته على نطعٍ وامرت بهِ فقُطِعَت رواهشه وجعلت دمآوهُ تشخب فى طَسْتٍ اعدّته له لان الملوك لا تقتل بضرب الاعناق الا فى الحرب تكرمةً للمُلك ولما ضعفت يداه سقطتا فجعل دمه يقطر على الارض حتى مات ولما احسّ قصيرٌ بقتلهِ احتال حتى ركب العصا فرس جذيمة وانطلق يعدو وكان عمرو بن عدى يركب كل يوم فياتى طريق الحيرة ملتمسًا خبر خالهِ فبينما هو ذات يومٍ اذ نظر الى فارسٍ قد اقبل فلما دنا عرف الفرس فقال ما وراءك ياقصير قال قُتِل والله خالك فاطلب ثارك من الزبّاء العفلاء فقال عمرٌو من لى بها وهى امنع من عقاب الجوّ فذهب قوله مثلاً ولما علم قصير ان عمرًا لا يقدر عليها عمد الى انفهِ فقطعهُ ثم ركب وسار نحو الحيرة حتى اتى الزبّاء فاستأذن عليها وقال ايتها الملكة ان عمرَ بن عدى قد فعل بى ما ترين يزعم انى اشرت عليكِ بقتل خالهِ وقد حمت ان

يقتلني ففررت اليكِ لاخدمك واستأمن على نفسي وستجدين عندي كفايةً في كل ما تفوّضينه اليّ وكانت قد امرت باصحاب جذيمة فقُتِلوا عن اخرهم وطلبت قصيرًا فلم يُلحَق ولما راته حينئذٍ كذلك اغترّت بصدقهِ فَعفَت عنه وقالت له اقِم فلك عندي كل ما تحبّ وفوّضت اليهِ نفقتها فنصح لها ورات منه الشهامة فاقام عندها حولاً ثم قال لها ياسيدتي ان لي بالعراق مالاً اريد ان اخرج اليهِ فاذنت له ودفعت اليهِ مالاً يشتري لها بهِ ثيابًا من الخز والوشي وقِطَعًا من الياقوت والمسك والعنبر فانطلق حتى اتى عمرو بن عديّ فاخذ منه ضعف مالها واشترى لها ما امرته به وانصرف اليها فظنّت ان ذلك كله اشتراه بمالها فاسترخصته وردّته الثانية والثالثة وهو يفعل كذلك فوقع من قلبها موقعًا جليلاً حتى بعثت بهِ في المرّة الرابعة بمالٍ جزيلٍ وامرته ان يشتري لها امتعةً كثيرة فانطلق الى عمرٍو وقال قد قضيت ما عليّ وبقي ما عليك قال ماذا عليّ فقال اخرج معي بالرجال في الرحال فاختار عمرٌو الف رجلٍ من اصحابهِ وحرجوا معه بسبوفهم في الصناديق فكان يسير بهم في النهار واذا امسى اخرجهم حتى اذا كان على ميلٍ من مدينتها تقدّم حتى دخل عليها وقال اصعدي اعلى القصر لتنظري ما اتيتك بهِ فصعدت تنظر من اعلى قصرها فرأت نقل الاحمال فانشدت تقول

ما للجمال مشيها وئيدا أجندلاً يحملن ام حديدا

ام صَرفانًا باردًا شديدا ام الرجالَ رُتّصًا قعودا

ثم امرت بالرحال فأُدخِلَت قصرها وقت مسآء وقالت اذا كان الغد نظرنا الى ما اتيتنا بهِ فلما جنَّ عليهم الليل فتحوا مكامنهم وخرجوا فقتلوا جميع من كان فى القصر من جواريها وكان لها سربٌ قد اعدَّته لخوفٍ يحلُّ بها لتخرج من المدينة وكان قصير قد عرفه ووصفه لعمرٍو فصار اليهِ فلما احسَّت بالامر بادرت الى ذلك السرب فلما رات عمرًا مصَّت سمًّا كان فى خاتمها وقالت بيدى الابيد عمرٍو فقام اليها بالسيف فقطَّعها اربًا وغنم ما فى مدينتها وانصرف الى ارضهِ وهو يقول

الا يا ايُّها الغرُّ المرجّـــى الم تسمع بخطب الاوَّلينـــا
دعا بالبَقَّـة الوزرآء يومًـــا جذيمة يستشير الناصحينـــا
فطاوع امرهم وعصى قصيـــرًا وكان يقول لو نفع اليقينـــا
لقد خطب التى غَدَرَت وخانت وهُنَّ ذوات غدرٍ يزدهينـــا
فخطَّت فى صحيفتهـا اليـــهِ ليملك بضعها او ان يدينـــا
ففاجأها وقد جَمَعت جموعًـــا على ابواب حصنٍ مصلتينـــا
وحكَّمَتِ الحديدَ براهشَيـــهِ فاضحى قولها كذبًا ومينـــا
وخَبَّرَتِ العصا الابنآء عنـــهُ ولم أَرَ مثل فارسها هجينـــا
فبات نسآؤهُ ثُكلاً عليـــهِ مع الابنآء يُعلِينَ الانينـــا
فوَلَّى انفهُ الموسى قصيـــرٌ ليخدعها وكان بهِ ضنينـــا
فقاتلة ابنة الريّان مكـــرًا فأَذهَل عقلها الوافى الرصينـــا
اتتها العير تحمل ما دهاهـــا رجالاً فى المسوح مُسَوَّمينـــا

وفاجأها على الأنفاق عمرٌو بشكّتهِ ولم تخشَ الكمينا
فجدّلها عتيق الحدّ عضبًا يشقّ بهِ الحواجب والجبينا
الم تَرَ أنّ ريب الدهر يُوذِي ويورد للفتى الحَينَ المبينا
ولم تَرَ لاهيًا يلهو بشيء ولو اثرى ولو ولد البنينا

وكانت مدة ولاية جذيمة ستين سنة وتولّى بعدهُ ابن اخته عمرو بن عدىّ وكان يغزو المغازى ويصيب الغنايم وتُجبَى اليهِ الاموال ولما تُوُفّي عمرو قام بعدهُ بالملك ابنهُ امرء القيس بن عمرو بن عدىّ وكانت امّهُ مادية بنت عمرو الازدىّ ولما توفى امرُ القيس ملك بعدهُ ابنهُ عمروٌ وكانت امّهُ هند بنت كعب بن عمرو وكان ملكهُ ستين سنة ثم ملك بعدهُ اوس بن تلام العمليقىّ فخرج الملك حينئذٍ من آل ببتهِ غير انه لم يقم من العماليق سوى ملكٍ اخر حتى رجع الملك الى بنى عمرو بن عدىّ فملك منهم امرء القيس من ولد عمرو بن امرء القيس المذكور آنفًا وكان يُلقّب بالمحرّق لانه اول من عاقب بالنار وكان ملكه عشرين سنة ثم ملك بعده ابنه النعمان الاعور وهو الذى بنى الخورنق والسدير وامّهُ شقيقة بنت ابى ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة وكان من اشد ملوك العرب نكايةً فى الاعداء وابعدهم مغارًا غزا الشام مرارًا كثيرة واكثر المصايب فى اهلها وسبى وغنم كثيرًا من الاموال وهو الذى نهض بثار الضيزن الغسّانى واخذ دِيته ماية الف دينار من سابور ذى الاكتاف وكان صارمًا حاذمًا ضابطًا لملكهِ واجتمع له من الاموال

والذخاير ما لم يجتمع لاحدٍ من ملوك الحيرة واليهِ يشير المتنخل اليشكريّ فى قولـهِ

واذا سكرت فاننـــى ربّ الخَوَرْنَق والسديرِ
واذا صحوت فاننـــى ربّ الشُوَيهةِ والبعيرِ

ولما اتى على الملك النعمان ثلثون سنةً فى الملك صعد على مجلسهِ فى الخورنق وتأمّل فى الملك الذى له والاموال والذخاير التى عنده فقال فى نفسه ايُّ خيرٍ فى هذا الذى ملكته اليوم ويملكه غيرى غدًا وزهد فى الملك فبعث الى حُجّابهِ ونَحّاهم عن بابه حتى اذا جنّ الليل التحف بكساء وساح فى الارض فلم يَرَهُ احدٌ بعد ذلك وبقى فى سياحتهِ ثلثين سنةً الى ان مات واليهِ اشار عديّ بن زيد التميمى حيـث يقول

اين كسرى تاج الملوك بنى سا سان ام اين قبلـــهُ سابورُ
واخو الحضر اذ بناه واذ دجلة تُجبَى اليـــهِ والخـــابورُ
شادهُ مرمرًا وجلّلـــهُ تبرًا وللطيـــر فى ذراهُ وكورُ
وتذكّرْ ربَّ الخورنق اذا شرف يومًا وللهدى تفكيـــرُ
سَرّهُ مالهُ وكثرة ما يملـك والبحر معرضٌ والسديـــرُ
فارعوى قلبه فقال وما غبطة حيّ الى الممات يصيـــرُ
ثم بعد الفلاح والملك والامّة وارتهُمُ هنـــاك القبـــورُ
ثم صاروا كانهم وَرَقٌ جَـــفّ فألْوَت بهِ الصبـــا والدبورُ

والى المُحرّقِ يُنسب النعمان ومن يليهِ من عَقَبهِ فيقال لهم آل محرّق

فيهم يقول الاسود بن يعفر الدارمىّ بعد نكبة الاكاسرة لهم

ماذا نُؤمّل بعد آل محرّقٍ تركوا منازلهم وبعد أيادِ
اهل الخورنق والسدير وبارقٍ والقصر ذى الشرفات من سنداد
نزلوا بأنقرةٍ يسيل عليهِم ماء الفرات يجىء من اطوادِ
جرت الرياح على رسوم ديارهم فكانهم كانوا على ميعادِ
ولقد غَنُوا فيها بانعم عيشةٍ فى ظلّ ملكٍ ثابت الاوتادِ
فاذا النعيم وكلّ ما يُلهَى بهِ يومًا يصير الى بِلىً ونفادِ

ولما تزهّد النعمان الاعور واعتزل بنفسهِ عن الملك تولّى ابنه المنذر بن النعمان وامّه هند بنت ذيد مناة الغسّانى فاقام المنذر على ملكهِ اربعًا واربعين سنةً ثم توفّى فملك بعده ابنه الاسود وكان مغوارًا فاتكًا وهو الذى انتصر على بنى غسّان عرب الشام واسر عدّةً من ملوكهم فقتل بعضهم وعفا عن بعضٍ وكانوا قد قتلوا ابن عمٍّ له فى بعض الوقايع وله اخٌ يقال له ابو أُذَينة فلما راى الاسود يريد ان يعفو عن اسرائهم وقف عليهِ وانشأ يقول

ما كُلّ يومٍ ينال المرء ما طلبا ولايسوّغهُ المقدار ما وهبا
واحزم الناس مَن ان فرصةٌ عرَضت لم يجعل السبب الموصول مُقتضبا
وانصف الناس فى كل المواطن من سقى الاعادىَ بالكاس الذى شربا
وليس يظلمهم من راح يضربهم بحدّ سيفٍ بهِ من قبلهم ضُربا
والعفو الّا عن الاكفآء مكرمةٌ من قال غير الذى قد قلتهُ كذبا
فنلتَ عمرا وتسنبقى يريد لقد رايتَ رايًا بجرّ الويل والحَرَبا

لا تقطعَنْ ذَنَب الافعى وترسلها ان كنت شهمًا فأتبعْ راسها الذَنَبا
هم جرّدوا السيف فاجعلهم له جُزُرًا واوقدوا النار فاجعلهم لها حطبا
ان تعفُ عنهم يقول الناس كلهمُ لم يعفُ حلمًا ولكن عفوهُ رَهَبا
هُمُ أَهِلَّـــةُ غسّانٍ وهجدهُـــمُ عالٍ فان حاولوا ملكًا فلا عجبا
قد عرّضوا بغدآه واصفين لنـــا خيلاً وإبلاً تروق العُجمَ والعَرَبـا
ايحلبون دمًا منـــا ونحلبهـــم رسلاً لقد شَرَفونا فى الورى حَلَبا
على مَ تقبل منهم فِديةً وهُـــمُ لا فضةً قبلوا منا ولا ذهبـــا

واقام الاسود فى الملك عشرين سنةً ثم توفّى فقام مكانه على الملك اخوه المنذر بن المنذر بن النعمان الاعور وكان ملكه سبع سنين ثم ملك بعده النعمان بن الاسود وكان ملكه اربع سنين ثم ملك بعده يعفر بن علقمة الذميلىّ من احد بطون بنى لخم وذلك سنة خمسماية وثلث للمسيح وكان ملكه ثلث سنين فملك بعده امرء القيس بن النعمان بن امرء القيس المحرق وهو الذى غزا بنى بكرٍ يوم اوارة فى ديارهم وبنى الحصن المعروف بالصِنْبَرّ الذى يقول فيهِ الشاعر

ليت شعرى متى تخبُّ بنا النا قة نحو العُذَيب والصِنْبَـــرّ

وقتل سِنِمّار الرومّى الذى بناه له حين فرغ من بنآيهِ وفيهِ يقول المتلّمس

جزتنا بنو سعدٍ بحسن فعالنا جزآء سِنِمّارٍ وما كان ذا ذنبِ

وقيل ان سِنِمّار بنى الخورنق للنعمان بن امرء القيس بظاهر الكوفة فلما فرغ من بنآيهِ القاه من اعلاه فخرّ ميّتًا ليلا يبنى لغيرهِ مثله فضُرِب بهِ المَثَل قال بعضهم

جزى بنوهُ ابا الغيلان من كبرٍ وسوء فعلٍ كما جوزِى سِنِمَّارُ

وفى زمان امرء القيس بن النعمان المذكور كثر النصارى فى مملكة الفرس وظهرت النصرانية جدا فى العراق وكان ملكه خمسا وعشرين سنة ثم ملك بعده ابنه المنذر وكانت امه ماوية بنت عوف بن جشم وقيل بل هى بنت ربيعة التغلبىّ اخت كليب والمهلهل وكانت تُلَقَّب بماء السماء لجمالها وقد غلب لقبها على المنذر فقيل له المنذر بن ماء السماء وبعد ما استولى المنذر على ملك ابيهِ طرده قبّاذ كسرى عن الملك واقام مكانه الحرث بن عمرو بن حِجْر الكندىّ الذى يقال له آكِل المرار وكان الحرث قد وافق كسرى على دينهِ بخلاف المنذر فَولّاه ملك الحيرة مكانه وكان ملك المنذر اثنتين وثلثين سنة ولما توفى ملك ابنه عمرو بن هند وهى امّهُ واليها يُنسَب وكان جلوسه على سرير المملكة سنة خمسماية واثنتين وستين للمسيح وكان مقدامًا شديد السلطان كثير المغازى مهيبًا وكانت العرب تسميه مضرط الحجارة لشدة ملكه وهو الذى غزا بنى تميم فى ديارهم فاوقع بهم وكان السبب فى ذلك ان عمرًا كان له اخٌ من امه يدعى مالكًا نازلٌ فى بنى دارم وهم حىٌّ من تميم عند زرارة بن عدس وكان عمْرو قد ضمّه اليهِ لِيُحسِن ادبَه وكانَ القوم يومئِذٍ نازلين باوارة وهو مكانٌ بالقرب من البحرين فاغتاله احدهم سويد بن ربيعة يومًا وقتله لاجل ناقةٍ له كان مالكٌ قد نحرها وغمض خبره زماناً فبلغ بنى طى ذلك وكان فيهم عمرو بن ثعلبة الفارس المشهور

فكتب الى عمرو بن هند يعلمه بقتل اخيهِ

من مبلغٌ عمرًا بان المرء لم يُخلق صباره
وحوادث الايام لا تبقى لها الا الجاره
ان ابن عجزة امّه بالسفح اسفل من اواره
تسفى الرياح خلال كشحيه وقد سلبوا ازاره
فاقتل زرارة لا ارى فى القوم افضل من زراره

فلما وقف عمرو على هذه الابيات ثارت بهِ الحميَّة وجمع اهل مملكتهِ وسار طالبًا القوم حتى اتى ديارهم فغزاهم وقتل اكثرهم وكان سويد وزرارة قد بلغهما خبر قدومهِ فتفرقا فى نواحى البلاد فلم يقدر ان يقف لهما على خبر وكان لسُوَيد سبعة اولادٍ فقتلهم وكانت امراة زرارة حاملاً فعلا بالسيف بطنها فشقها ثم ان عمرًا حلف ان يحرق منهم ماية رجلٍ بثار اخيهِ وجعل يلتمس من ثار منهم فى تلك الاطراف ويُلقِى فى النار من وقع فى يدهِ حتى ادرك تسعة وتسعين رجلاً وتعذَّرت عليهِ تتمة الماية ولما كان ذات يومٍ اخر النهار اقبل راكبٌ يقال له عَمَّار وكان من البراجم وهم قومٌ من بنى تميم واتفق ان عمرًا كان قد القى رجلاً فى النار فسطع الدخان وفاح القتار فظنَّ ذلك مأدبةً للطعام فاسرع اليها حتى اناخ الى عمرٍو فقال عمرٌو ممن انت قال من البراجم قال فبماذا جيّت قال سطع الدخان واناجايعٌ فظننته طعامًا فقال عمرٌو ان الشقىّ وافد البراجم فدهست متلا وامر بهِ فأُلقِى فى النار وصار ذلك عارًا

لبنى تميم بحبّ الطعام قال الشـــــــــــــــــــــــــــــــاعر

اذا ما مات حيٌّ من تميمٍ وسرّك ان يعيش نجيء بزادِ

ترَاه ينقـــــب الافاق حولاً ليأكل راس لقمان بن عادِ

وفى السنة التاسعة من ملك عمرو المذكور ولد محمد بن عبد الله بن عبد المطّلب صاحب الشريعة الاسلامية وعمرو بن هند هو الذى اصلح بين بنى بكرٍ وتغلب بعد ما تفانوا فى حرب البسوس واقام بالملك اثنتى عشرة سنة ثم قتله عمرو بن كلثوم التغلبى الشاعر لسببٍ يطول شرحه وتولى بعده اخوه قابوس بن المنـــذر من هند بنت الحرث بن عمرو الكندى التى هى ام اخيهِ عمرو بن هند وكان قابوس ضعيفًا مهينًا مولعًا باللهو والشراب والصيد وفيهِ يقول طرفة بن العبد البكرىّ

لعمرك ان قابوس بن هندٍ ليخلط ملكه حمقٌ كثيرُ

قسمت الدهر فى زمنٍ رخيٍّ كذاك الحكم يقصد او يجورُ

لنـــا يومٌ وللكروان يـــومٌ تطير الرايشات ولا نطيـــرُ

فامّا يومهـــنّ فيوم سوءٍ تطاردهنّ بالخَرَب الصقورُ

واما يومنا فنظلّ فيـــهِ وقوفًا ما نحلّ ولا نسيـــرُ

واقام قابوس فى الملك خمس سنين ثم قتله رجل من بنى يشكر فملك بعده المنذر بن المنذر اخو عمرو بن هند وكان معتدل القامة صبيح الوجه كريمًا وكان ملكهُ ثلث سنين ثم ملك بعده ابنه النعمان بن المنذر بن ماء السماء وذلك سنة خمسمائة وثلث

وثمانين للمسيح وكان يُكنَى بابى قابوس وهو الذى يقول فيه النابغة الذبيانىّ

الم اُقسِم عليك لتُخبِرَنّى احمولٌ على النعش الهُمَامُ
فانى لا الومك فى دخولٍ ولكن ما وراءك يا عصامُ
فان يهلك ابوقابوس يهلك ربيع الناس والشهر الحرامُ
ونمسك بعده بذناب عيشٍ اجبّ الظهر ليس له سنامُ

وكانت امّ النعمان سلمى بنت واثل بن عطيّة الصايغ من اهل فدك وهى التى يقول فيها عمرو بن كلثوم التغلبىّ

حلّت سُلَيمى بخبتٍ بعد فرتاجِ وقد تكون قديمًا فى بنى ناجِ
اذ لا ترجى سليمى ان يكون لها من بالخورنق من قينٍ ونسّاجِ
ولا يكون على ابوابها حرسٌ كما تلفّف قبطىٌّ بديباجِ
تمشى بعدلين من لؤمٍ ومنقصةٍ مشى المقيّد فى اليلبوت والحاجِ

وكان النعمان احمر ابرش قصيرًا ذميمًا سيّئ الخلق وهو الذى قتل داهية العرب عُبَيد بن الابرص العامرىّ فى يوم بُؤسهِ الذى جعله على نفسهِ حزنًا على نديميه اللذين قتلهما وكان احدهما خالد بن المضلّل والاخر عمرو بن مسعود وهما من بنى اسد اغضباه فى حال سكرهِ فامر ان يُحفَر لكل واحدٍ منهما حفرةٌ فى ظهر الحيرة ويُدفَن بها ففُعِل بهما كذلك ولما اصبح النعمان سأل عنهما فاخبروهُ بخبرهما فندم على ذلك وحزن عليهما حزنًا شديدًا ثم امر ببناء قبّةٍ عليهما وجعل لنفسهِ يومين من السنة يجلس فيهما

عند القبة احدهما يوم نعيمٍ والاخر يوم بُؤسٍ فكان اول من يطلع عليهِ يوم نعيمهِ يعطيهِ مايةً من الابل واول من يطلع عليهِ يوم بُؤسه يقتلهُ ويطلى بدمهِ تلك القبة وما زال على ذلك حتى مرَّ بهِ فى يوم بُؤسٍ اعرابىٌّ من طىّ يقال له حنظلة فامر بقتلهِ فقال حيّى الله الملك ان لى صبيةً صغارًا ولم أُوص بهم احدًا فان رايت ان تأذن لى فى اتيانهم واعطيك عهد الله انى ارجع اليك اذا اوصيت بهم فرقَّ له النعمان وقال اذهب ولكن بشرط ان يضمنك احدٌ ممن معنا وكان مع النعمان وزيره شريك بن عمرٍو فنظر اليهِ الطآئىّ وانشد

ياشريكُ بنَ عُمَيرٍ هل من الموت محاله
يا اخا كلّ مُصَابٍ يااخا من لا اخا له
يااخا النعمان فيك ال يوم عن شيخٍ كفاله
ان شيبان قبيلٌ اكرم اللهُ رجاله

فقال شريك علىّ ضمانه ايها الملك فمضى الطآئىّ وأجّل اجلاً ياتى فيهِ فلما كان ذلك اليوم احضر النعمان شريكًا وجعل يقول له ان مضى هذا اليوم ولم يحضر الاعرابىّ جعلتك مدآء له لضمانك اياه وشريك يقول ليس للملك علىّ سبيلٌ حتى يمسى المسآء فلما امسى اقبل شخصٌ من بعيد والنعمان ينظر اليهِ والى شريك فقال شريك ليس لك علىّ سبيلٌ حتى يدنو هذا الشخص فلعله صاحبى وبينما هما فى الكلام اذ اقبل الطآئىّ وهو يشتدُّ فى عدوهِ حتى وصل وقال خشيت ان ينقضى النهار قبل وصولى ثمّ ايّها الملك دامرك فاطرق

النعمان برهةً ثم رفع راسه وقال والله ما رايت اعجب منك فماذا حملك على الرجوع الى القتل قال دينى فان من لا وفآء له لا دين لهُ قال وما دينك ياأخا العرب قال النصرانية فقال اعرضها علىَّ فاعرضها فتنصَّر النعمان واطلق الاعرابىَّ واحسن اليهِ وابطل تلك السُنَّة من ذلك اليوم واقام النعمان فى الملك الى ان قتله ابرويز كسرى بسبب قتلهِ عدىَّ بن زيد العبَّادى ترجمان كسرى بينه وبين العرب وكان قتل النعمان سببًا لحرب ذى قار بين العرب والفرس على اثر ظهور الاسلام وكانت مدة ملك النعمان فى العراق اثنتين وعشرين سنة ولما قُتِل النعمان اقام ابرويز كسرى مكانه فى الحيرة اياس بن قبيصة الطآءىَّ وذلك سنة ستماية وخمس للمسيح وكان اياس من اشراف طى فصيحًا جوادًا مشهورًا بالشجاعة عالمًا بايـــام العرب ووقايعهم واكثر شعره فى الحماسة ومنه قوله

وما ولَدَتنى حاصنٌ رَبَعيَّـــةٌ لئن أَنا مالأَت الهوى لاتّباعِهَا
الم ترَ ان الارض رحبٌ فسيحةٌ فهل تُعجزَنّى بقعةٌ من بقاعِهَا
ومبثوثةٍ بَثَّ الدَّبـــا مُسبطَّرةٍ رددتُ على بطآيها من سراعِهَا
وأَقدمتُ والخطىَّ يخطر بيننـا لأَعلم مَنْ جَبانُها من شُجاعِهَا

واقام اياس بالملك الى ان وقعت حرب ذى قار وظفرت العرب بالفُرس فانهزم اياس مع المنهزمين وعاد الملك الى اهله فملك الاسود بن المنذر اخو الملك النعمان وفى ايامهِ اشتهر الحرث بن كلدة الثقفى بالطب اخذ ذلك عن اهل جند سابور وكانت العرب تقصده من

اماكن بعيدة فيستوصفه من كان بهِ علة ثم ملك بعد الاسود المذكور المنذر بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء المُلقَّب بالمغرور وكانت امه المتجردة بنت زهير بن جذيمة سيد بني عبس وقيل اسمها هند والمتجردة لقب لها وفيها يقول المتلمس الشكريّ

يارُبَّ يومٍ للمتلمس قد لها فيهِ قصيرِ
يا هند هل من نائلٍ يا هند للعاني الاسيرِ

واستمر المنذر على ملك الحيرة الى ان قُتِل بالبحرين يوم جُوَاثَى وكان يُلَقَّب بالمغرور وهو اخر ملوك اللخميين الذين كانوا عُمَّالاً للاكاسرة على عرب العراق واستولى بعد المنذر خالد بن الوليد تحت راية الاسلام واخذت من هنالك دولة المسلمين

فصل

في ملوك عرب الشام

ملوك عرب الشام آل جفنة وهم من بني الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن أَدَد بن زيد بن كهلان بن سبا غير انهم لما تفرقوا من اليمن نزلوا على ماء بالشام يقال له غَسَّان فاشتهروا به حتى غلب اسمه عليهم فقيل لهم آل غسَّان وكان بالشام قوم من سليح يقال لهم العجاعمة وكانوا من ملوك الطوايف الذين قتل اسعد الحميري من كان منهم باليمن وقتل اردشير كسرى من كان منهم بارض العجم فنهض آل غسَّان على العجاعمة واخرجوهم عن الشام وقتلوا

ملوكهم وكانوا ثلثة من ولد نزار بن معدّ وفهر بن مالك والقلمس بن عامر من ملوك الحجاز وتهامة وملكوا مكانهم بالشام وكان اول من ملك من آل غسّان جفنة بن عمرو بن ثعلبة بن عمرو بن مُزَيقيآء وتمهّدت له الديار الشاميّة بعد قتل ملوك الضجاعمة وعظمت دولته وبنى بالشام مصانع كثيرة وكان ملكه خمسًا واربعين سنةً وثلثة اشهر ثم ملك بعده ابنه عمرو بن جفنة ثم ملك بعده ابنه ثعلبة بن عمرو وهو الذى بنى صرح الغدير فى اطراف حوران مما يلى البلقآء وكان ملكه سبع عشرة سنة ثم ملك بعده ابنه الحرث بن ثعلبة وكان ملكه عشرين سنة ثم ملك بعده ابنهُ جَبَلة بن الحرث وهو الذى بنى القناطر واذرح والقسطل وكان ملكه عشر سنين ثم ملك بعده ابنه الحرث بن جبلة وكانت امه مارية ذات القرطين اللذين يُضرَب بهما المَثَل فى التنافس وهى بنت عمرو بن جفنة وقد ذكرها حَسّان بن ثابت الانصارىّ فى قصيدتهِ التى يمدح بها آل جفنة حيث يقول

لله درُّ عصابةٍ نادمتهم يومًا بِجُلّقَ فى الزمان الاولِ
اولاد جفنة حول قبر ابيهمِ قبر ابن مارية المُعِمّ الخَوِلِ
يسقون مَن وَرَد البريص عليهمِ بَرَدَى تُصَفّق بالرحيق السلسلِ
بيض الوجوه كريمةٌ احسابهم شُمُّ الانوف من الطراز الاول
يُغشَون حتى ما تهرُّ كلابهم لا يسألون عن السواد المقبلِ

وكان مسكن الحرث بالبلقآء فبنى بها الحمير ومصنعه وقصر ابير

ومعان وكان ملكه عشرين سنة ثم ملك بعده ابنه المنذر الاكبر
بن الحرث بن مارية وكان ملكه ثلث سنين ثم ملك بعده اخوه
النعمان بن الحرث وكان ملكه خمس عشرة سنة وستة اشهر ثم اخوه
المنذر الاصغر ثم اخوه جبلة بن الحرث ثم اخوه الايهم بن الحرث
ثم اخوه عمرو بن الحرث وكان شديد التكبر ذميمًا قبيح السيرة
والمنظر انشأ فى دمشق وضواحيها ومعاملاتها عدة قصور شاهقة
منها قصر الفضا وصفات الحجلات وقصر منار وصوّر فى بعض هذه
القصور مجالسه وجلساء دولته واشكال صورتهِ فكانت مُنتَرهاتٍ لا
يوجد مثلها وكان قد رسم لنفسهِ فى كل ليلة جاريةً عذراء من
السبايا التى تصيبها خيله المغيرة فى البلاد على العصاة من اهلها
فلم يزل ذلك دأبه حتى وقعت عنده فى السبى اخت عمرو بن الصعق
العدوانى فلم يشعر الا واخوها قد وقف بهِ وهو يقول

يا ايها الملك المهيب اما ترى صبحًا وليلاً كيف يختلفانِ
هل تستطيع الشمس ان يُؤتى بها ليلاً وهل لك بالصباح يدانِ
فاعلم وايقن ان ملكك زايلٌ وكما تُدين تدان عفد رهانِ

فوقعت هذه الابيات فى قلبه وقال له قد امنك الله على من لك عندى
وامن كل الناس على من وقع لهم من السبايا وابطل تلك السنّة من ذلك
اليوم وكان ملكه ستًا وعشرين سنة وشهرين ثم ملك بعده جفنة الاصغر
ابن المنذر الاكبر وهو الذى احرق الحيرة وبذلك سمى الحرق
وكان ملكهُ ثلثين سنة ثم ملك بعده اخوه النعمان الاصغر ابن

المنذر الاكبر ثم ملك النعمان بن عمرو بن المنذر وهو الذى بنى قصر السُوَيدآء وقصر حارب ولم يكن عمرو ابو النعمان ملكًا لكنه كان من كرام العشيرة وفيهِ يقول النابغة الذبيانى

علىَّ لعمرٍو نعمةٌ بعد نعمةٍ لوالدهِ ليست بذات عقاربِ

وكان ملك النعمان بن عمرو سبعًا وعشرين سنة وملك بعد النعمان ابنه جبلة وكان ينزل بصفّين وهو صاحب يوم عين اباغ الذى فتك فيهِ ببنى لخم وغزار وكان ملكه ست عشرة سنة ثم ملك بعده النعمان بن الايهم بن الحرث وكان ملكه احدى وعشرين سنة ثم ملك بعده اخوه الحرث بن الايهم ثم النعمان بن الحرث وهو الذى اصلح صهاريج الرصافة وكان قد اخربها بعض ملوك الحيرة اللخميين ثم ملك بعده ابنه المنذر بن النعمان وكان ملكه تسع عشرة سنة ثم ملك بعده اخوه عمرو بن النعمان ثم ملك اخوهما جر بن النعمان ثم ملك ابنه الحرث بن جر ثم ملك ابنه جبلة بن الحرث وكان ملكه سبع عشرة سنة وشهرًا واحدًا ثم ملك بعده ابنه الحرث بن جبلة بن ابى شمر وهو الذى اوقع ببنى كنانة وكان يسكن احيانًا فى الجابية واحيانًا فى عمان التى تُعرَف بالبلقآء وكان ابتدآء ملكه فى عصر النعمان بن المنذر ملك الحيرة فكانت بينهما مغايرةٌ فى الشرف وكان الحرث كثير الغزو والغارات على قبايل العرب وكان كريمًا جوادًا كثير المواهب فكانت العرب تدعوه الوهّاب وقيل لم يجتمع من الشعرآء بباب احد من ملوك عصرهِ ما كان يجتمع

ببابهِ وكان حسّان بن ثابت الانصارى الشاعر المشهور منقطعًا اليهِ وله فيهِ مدايح كثيرة ومن ذلك قوله يمدحه ويهجو النعمان بن المنـــــذر

ونُبِّئتُ ان ابا منـــــذرٍ يساميك للحرث الاصغرِ
فذالك احسن من وجههِ وامّك خيرٌ من المنـذرِ
ويسرى يديك على غيرها كيمنى يديهِ على الميسرِ

وذلك ان الحرث قال يومًا لحسّان يريد ان يمتحنه بلغنى انك نسبت الى النعمان رفعة شانٍ وبلغت فى مدحه الغاية فقال حسّان الابيات وكان ملك الحرث المذكور احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ثم ملك بعده ابنه النعمان بن الحرث وكان شديد الاجتهاد فى انتشار النصرانية فى البلاد اكثر من اجدادهِ وكان ملكًا عادلاً شجاعًا فاضلاً كثير الخير قليل الشرّ حسن الصورة والسيرة وكان يحبُّ العلمآء والفضلآء ويقدّمهم على اشراف الناس وفيهِ يقول النابغة الذبيانى والنعمان اذ ذاك فى غيبةٍ له

فان يرجع النعمان نفرح ونبتهج وياتى معدًّا ملكها وربيعها
ويرجع الى غسّان ملكٌ وسوددٌ وتلك المُنَى لو اننا نستطيعها

ثم ملك بعده الايهم بن جبلة بن الحرث وهو صاحب تدمر وقصر بركة وذات انمار وكان له عاملٌ يقال له القبن بن جسر بنى له بالبرية قصرًا عظيمًا قيل انه قصر برقع وهو الذى يقول فيهِ النابغة الذبيانى وكان حينئذ حديث السنّ

هذا غلامٌ حَسَنٌ وجهـهُ مستقبل الخير سريع التمام
للحرث الاكبر والحرث ال اعرج والاصغر خير الانام
ثم لهندٍ ولهنـد انتمى جدّات صدقٍ وجدودٌ كرام
خمسـة آباءٍ هُمُ ما هُمُ وخير من يشرب مآء الغمام

وملك بعد الايهم اخوه المنذر بن جبلة وذلك سنة ستماية وعشرين للمسيح وكان ملكه ثلث عشرة سنة ثم ملك اخوهما شرجبيل بن جبلة ثم ملك بعده اخوه عمرو بن جبلة ثم ملك بعده ابن اخيهِ جبلة بن الحرث وكان ملكه اربع سنين ثم ملك بعده جبلة بن الايهم بن جبلة وهو اخر ملوك غسّان وكان طويل القامة نحيف الجسم يلبس الثياب الفاخرة وهو الذى بنى مدينة جبلة بين طرابلس واللاذقية وسمّاها باسمهِ وقيل انه اسلم فى خلافة عُمَر بن الخطّاب فسار الى مكة يريد الحجّ بمايتين وخمسين نفرًا من اصحابهِ فلما قرب من المدينة قلّد اعناق خيله بقلايد الذهب والفضة ووضع تاجه على راسهِ ولما بلغ عُمَر قدومه التقاه بمن عنده ورفع مقامه حتى كان يوم الطواف فبينًا جبلة يطوف بالبيت مُحرِمًا متّزرًا اذ وطئ رجلٌ من فزارة طرف ازاره فانحلّ عنهُ الازار حتى بدت عورته فغضب جبلة من ذلك ولطم الفزارىّ لطمةً هشم بها انفه فتعلق بهِ الرجل وانطلق الى عُمَر ودمه يسيل على وجههِ فقال لهُ عُمَر انت بين ان يلطمك الرجل كما لطمته او تفتدى اللطمة منه فقال جبلة افلا يُفصَّل عندكم ملكٌ على سوقة قال كَلّا بل كلاهما

في الحق سواء فأنِف جبلة من ذلك ولما جنّه الليل خرج بقومهِ حتى لحق بالشام فارتدَّ عن اسلامهِ فكتب عُمَر الى عاملهِ بالشام ابى عبيدة بن الجرّاح ان يستتيب جبلة فان تاب والّا ضرب عنقه وبلغ ذلك جبلة فخرج هاربًا الى قيصر ملك الروم واقام عنده وكانت ملوك غسّان عُمّالًا للقياصرة على عرب الشام وكانت ايام دولتهم نحو ستماية سنة

فصل

في ملوك كندة

اول ملوك كندة حجر بن عمرو الملقّب بآكل المرار وهو من ولد كندة بن ثور بن عفير بن الحرث من ولد زيد بن كهلان بن سبا وكان بنو كندة قبل ان يملك عليهم حُجْرٌ هَمَلًا لا يملك عليهم احدٌ فاهلك القويَّ الضعيف فلما ملك حجرٌ سدّد امورهم واحسن سياستهم وانتصف للمظلوم من الظالم وكان ابتدا ملكه سنة اربعماية وستين للمسيح وقيل انه لُقّب آكل المرار لانه كان قد بلغته خيانةٌ من زوجته فاستشاط غضبًا وجعل ياكل المرار وهو نبات مرّ الطعم فقيل له ذلك وكان ملك حجر عشرين سنة ولما توفي ملك بعده ابنه عمرو بن حجر وكان يُلقّب بالمقصور لانه قُصِر على ملك ابيهِ فلم يتجاوزه فاقام في الملك ما شآء الله حتى قتله الحرث بن ابي شمر الغسّاني فملك بعده ابنه الحرث بن عمرو وكان شديد

البأس كثير الغزوات ولما ملك قباذ كسرى بن فيروز خرج فى ايامهِ مزدك يدعو الى الزندقة فاجاب كسرى دعوته وكان المنذر بن ماء السماء عاملاً لكسرى على الحيرة فدعاه الى الدخول معه فى مذهب مزدك فأبَى فدعا الحرث بن عمرو فاجابه فسدَّد ملكه وطرد المنذر عن مملكتهِ وملَّكه مكان المنذر كما سبقت الاشارة الى ذلك فى الكلام على ملوك العراق وعظم شان الحرث بعد ذلك واقام على مملكتهِ عزيزًا حتى ملك انوشروان كسرى فقبض على مزدك وصلَبَهُ فى جذعٍ وامر بقتل الزنادقة فقُتِل منهم فى نحوةٍ واحدةٍ ماية الف زنديقٍ فى امكنةٍ شَتَّى من بلادهِ وطلب الحرث بن عمرو يريد ان يقتلهُ ايضًا وكان الحرث بالانبار فلما بلغهُ ذلك خرج هاربًا فى اصحابهِ ومالهِ واولادهِ وكان كسرى قد اعاد المنذر الى ملك الحيرة فخرج فى طلب الحرث بالخيل من تغلب وبهرآء واياد حتى ادركه بارض بنى كلب ولم يتمكن منه فنجا وانتهبوا ماله وظعاينه واخذت تغلب ثمانية واربعين نفرًا من بنى آكل المرار وقدمت بهم على المنذر فضرب رقابهم بجفر الاملاك فى ديار بنى مرين بين دير هند والكوفة وكان فيهم اثنان من اولاد الحرث المذكور وفى ذلك يقول حفيده امرؤ القيس

ملوكٌ من بنى حجرٍ بن عمرٍو يساقون العشيَّة يُقتَلونا
فلو فى يوم معركةٍ أُصِيبوا ولكن فى ديار بنى مرينا
ولم تُغسَل جماجمهم بغسلٍ ولكن فى الدماء مُزَمَّلينا
تظلّ الطير عاكفةً عليهم وتنتزع الحواجب والعُيُونا

وصار الحرث الى مسحلان فقتله بنو كلب وقيل انهُ مكث عندهم حتى مات وكان الحرث قد ملّك اولادهُ فى قبايل العرب فملّك ابنهُ جرًا على بنى اسد وغطفان وملّك ابنهُ شُرَحْبِيل الذى قُتِل يوم الكلاب على بكر بن وائل باسرها وملّك ابنهُ معدى كرب وكان يُلَقب غلفآء لانه كان يغلّف راسهُ بالطيب على بنى تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة وطوايف بنى دارم بن حنظلة والصقايع وهم بنو رقيّة وملّك ابنهُ عبد الله على بنى عبد القيس وملّك ابنهُ سَلَمة على بنى قيس وكان جر بن الحرث بعد ابيه فى بنى اسد وقد اسآء معاملة القوم وكان لهُ عليهم اتاوةٌ فى كل سنة فاقصروا عنها وهربوا فبعث اليهم جابيَهُ الذى كان يخدمهُ فامتنعوا عليهِ وضربوهُ واهانوا اصحابهُ وكان جر يومئذٍ بتهامة وهى خطة متسعَة بين الحجاز واطراف اليمن فلما بلغهُ ذلك سار اليهم برجالٍ من ربيعة وجُندٍ من رجال اخيهِ فظفر بهم واخذ سُرَاتهم وجعل يقتلهم بالعُصِىّ فقيل لهم عبيد العَصَا واستباح اموالهم وسيّرهم الى تهامة واقسم لا يساكنونهُ ابدًا فى بلدٍ وحبس منهم عمرو بن مسعود بن كلدة بن فزارة الاسدى وكان سيد قومهِ وعُبَيد بن الابرص الشاعر فقام عُبَيد بن الابرص وقال ايها الملك اسمع مقالتى وانشد يقول

ياعين ما فابكى بنى اسدٍ فهم اهل الدامه
اهل القباب الحُمر وال نَعَم المؤثّل والمدامه
وذوى الجياد الجُرد وال أَسل المنقّفه المُقَامه

حلَّا ابيت اللعن حلَّا ان فى ما قلـــت آمه
فى كل وادٍ بين يثر بَ فالقصور الى اليمامه
تطريبُ عانٍ او صيا حُ محرّقٍ او صوت هامه
ومنعتهم نجـدًا فقد حلّوا على وَجَلٍ تهامه
بَرِمَت بنو اسدٍ كما برمت ببيضتها النعامه
جَعلَت لها عُودَين من نَشَمٍ وآخرَ من ثمامه
مهما تركت تركت عفوًا او قتلت فلا مـلامه
انت المليك عليهِـم وهم العبيد الى القيامه
ذلّوا لسطوتكم كمـا ذلّ الأُشَيقِرُ ذو الخزامه

فرقّ لهم حجر حين سمع قولهُ واطلقهم واما بنو اسد فلما راوا ما كان منهُ توامروا وقالوا والله ان قهركم هذا ليحكمَنّ عليكم حكـم الصبىّ فما خير عيشٍ يكون بعد قهر وانتم بحمد الله اشد العرب فموتوا كرامًا ثم ساروا الى حجر وقد ارتحل نحوهم فى بنى كندة فالتقوا بهِ واقتتلوا قتالًا شديدًا وكانت المعركة بين ابرَقين من بلادهم يُدعَيان الى اليوم أَبرَقَىْ حُجرٍ وكان صاحب امر الاسديين علبآء بن الحرث الكاهلىّ فحمل على حجر وطعنهُ بالرمح فى شاكلتهِ فخرّ قتيلًا وقيل ان قاتلهُ كان ابن اخت علبآء وكان حجر قد قتل اباهُ

ولما قُتِل حجر انهزمت بنو كندة وفيهم امرُؤ القيس بن حجر فهرب على فرس لهُ اشقر فلم يدركوهُ واسروا من اهل بيتهِ رجالًا واغتنموا مالًا كثيرًا وسبوا جوارى حجر ونسآءهُ وفى ذلك يقول امرؤ القيس

يالهف هندٍ ان نلاقى كاهلا القاتلين الملـــك الخُلاحِلا
تالله لا يذهب شيخى باطلا ياخير شيخٍ حسبـــًا ونائلا
وخيرهم قد علموا فواضـــلا يحملنا والأَسَلَ النواهـــــلا
وحَىَّ صعبٍ والرشيج الذابلا مستثغراتٍ بالحصى جوافـــلا

وقيل ان امرء القيس لما قُتِل ابوهُ كان بارض اليمن فى مكانٍ يقال لهُ دَمُّون وكان قد خرج مغاضبًا اباهُ فلما اتاهُ الخبر بقتلهِ انشد يقول

تطاول الليل علىَّ دَمُّون دَمُّونُ إِنَّا معشرٌ يمانون
واننا لاهلنا مُحِبُّون

ثم قال ضيَّعنى صغيرًا وحمَّلنى دمهُ كبيرًا والله لا اشرب خمرًا ولا اصيب امراةً ولا اغسل راسى حتى ادرك بثارى فلما جنَّ الليل راى برقًا يتلألأ فى جوانب الافق فقال

أَرِقتُ لبرقٍ بليلٍ أَهَل يُضِىء سناهُ باعلى الجبل
اتانى حديثٌ وكُذِّبتهُ بامرٍ تُزعزَعُ منهُ القُلَل
بقتل بنى اسدٍ رَبَّهـــم الا كل شىء سواهُ جَلَل
فاين ربيعة عن ربهـــا واين تميـــمٌ واين الحُوَل
الا يحضرون لدى بابـــهِ كما يحضرون اذا ما بَذَل

ولما راى امرء القيس ضعف امرهِ وطلب القوم لهُ لجأَ الى ابن عمتهِ عمرو بن المنذر وكانت امهُ هند بنت الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار وكان عمرٌو حينئـذٍ خليفةً لابيهِ المنذر ببَقَّة وهى بين الانبار وهَيْت فاجارهُ ومكث عندهُ زمانًا ثم بلغ المنذر مكانهُ عندهُ

فطلبهُ فانذرهُ عمرٌو فهرب واخذ يستنصر قبايل العرب فلم ينصروهُ ولما راى تخاذل العرب عنهُ استاجر رجالاً وسار بهم الى بنى اسد فظفر بهم وانثنى عنهم غانمًا ولجّ المنذر بطلبهِ فتفرّق اصحابهُ عنهُ ونجا فى عصبةٍ من بنى آكل المرار حتى نزل بالحرث بن هشام من بنى يربوع بن حنظلة وكان مع امرء القيس خمس دروعٍ وهى الفضفاضة والصافية والحصنة والخريق وام الذيول وكانت هذه الدروع لبنى آكل المرار يتوارثونها ملكٌ عن ملكٍ فما لبث عند الحرث الا قليلا حتى بعث المنذر الى الحرث مايةً من اصحابهِ يتوعدهُ بالحرب ان لم يسلّم اليهِ بنى آكل المرار فاسلمهم ونجا امرء القيس ومعهُ يزيد بن معوية وبنتهُ هند بنت امرء القيس والدروع والسلاح وما كان قد بقى معهُ من المال وخرج على وجههِ حتى وقع فى ارض طيّ فنزل برجلٍ من بنى جديلة يقال لهُ المعلّى بن تيم وفى ذلك يقول

كانى اذ نزلـــتُ على المُعَلَّى نزلت على البواذخ من شمامِ
فما مَلِكُ العراق على المُعَلَّى بمقتدرٍ ولا ملـــــك الشآمِ
اصدَّ نشاص ذى القرنين حتى تولّى عارض الملـــك الهُمَام
افرَّ حشى امرء القيس بن حُجرٍ بنو تيمٍ مصابيح الظـــــلامِ

ولبث امرء القيس عند المعلّى واتخذ ابلاً هناك فغدا قومٌ من بنى جديلة يقال لهم بنو زيد وطردوا الابل وكان لامرء القيس رواحل مقيّدة عند البيوت خوفًا من ان يدهمهُ امرٌ فيسبق عليها فخرج بها ونزل بنى سنبان من طى فخرج نفر منهم وركبوا تلك الرواحل

يطلبون لهُ الابل فاخذتها جديلة ايضًا فرجعوا اليه بلا شيء فقال في ذلك

عجبت لهُ يمشي الحُزُقَّة خالدٌ كمشي اتانٍ خُلِّيَت عن مناهلِ
فدع عنك نهبًا صِيحَ في عجراتهِ ولكن حديثًا ما حديث الرواحلِ
كانَّ دثارًا حلَّقت بلَبُونهِ عُقابٌ تَنُوفَى لا عقاب القواعل
أَبَت أَجَأٌ ان تُسلِم العامَ جارَها فمن شآء فلينهض لها من مقاتلِ
يبيت لبوني بالقُرَيَّة آمنًا واسرحها غِبًّا باكناف حايل
بنو ثُعَلٍ جيرانها وحُمَاتُها وتمنع من رُمَاة سعدٍ ونابلِ
تلاعب اولاد الوعول رباعها دُوَينَ السمآء في رؤوس الحلادلِ
مكلَّلةً حمرآء ذات أَسِرَّةٍ لها حُبُكٌ كانها من وصايلِ

ففرَّقت بنو نبهان على امرء القيس فُرَقًا من المعزى يحتلبها فاخذها وقال

اذا ما لم تكن إِبِلٌ فمعزَى كانَّ قرون حُلَّتها عُصِيُّ
اذا ما قام حالبها ارَنَّت كانَّ القوم صبَّحَهم نِعِيُّ
فتملأُ ببتنا اقطًا وسمنًا وحسبك من غنَى شبعٌ وريُّ

فاقام امرؤ القيس في بني نبهان ما شآء الله ثم خرج من عندهم وجعل ينتقل من قبيلةٍ الى اخرى حتى نزل برجلٍ من بني فزارة يقال له عمرو بن جابر بن مازن وطلب منه الجوار فقال له الفزاري يا ابن حر اني اراك في خللٍ من قومك وقد كدت بالامس تُوكَل في ديار بني طي وقد علمت ان اهل البادية اهل وبر لا حصون تمنعهم

فليس لك الا السموأل بن عادياء صاحب حصن تيماء فانه يمنع ضعفك ويحول دون من يطلبك وانا اوصلك الى من يقدم بك عليه فاجاب امرؤ القيس الى ذلك واوصله عمرٌو الى رجلٍ من قومه بنى فزارة يقال له الربيع بن ضُبَيع الفزارى وكان ممن يزور السموأل فيكرمهُ بالعطايا فقال الربيع لامرء القيس ان السموأل يحبهُ الشعر فهلم نتناشد اشعارًا فقال امرء القيس حبًّا وكرامةً فقال الربيع

قل للسَمَوْأل ايَّ حينٍ نلتقى بفناء بيتك فى الحضيض المزلقِ

وهى طويلةٌ يقول فيها

ولقد اتيت بنى المضاف مفاخرًا والى السموأل زرتهُ بالابلقِ
فاتيت افضل من تحمَّل حاجةً ان جئتهُ فى غارمٍ او مُرهقِ
عرفت له الاقوام كلَّ فضيلةٍ وحوى المكارم سابقًا لم يُسبَقِ

فقال امرء القيس قصيدته التى يقول فى مطلعها

طرقتك هندٌ بعد طول تجنُّبٍ وهنًا ولم تكُ قبل ذلك تطرُق

وهى طويلةٌ لا حاجة الى استيفآيها ثم وفد الفزارىُّ بامرء القيس على السموأل فاكرمهم وانزلهم فى مجلسٍ لهُ واقام امرُؤ القيس عندهُ ايامًا ثم طلب اليهِ ان يكتب الى الحرث بن ابى شمر الغسَّانى بالشام ان يوصلهُ الى قيصر ملك الروم ويشرح لهُ قصتهُ ويستنجدهُ لهُ فكتب لهُ السموأل واستودعهُ امرُؤ القيس الدروع والمال والمرأة التى كانت معه وترك عندها يزيد بن معوية بن الحرث من بنى عمهِ ومضى حتى انتهى الى بلاد الروم وكان فى صحبتهِ عمرو بن قميَّة فانشد

امرؤ القيس يقـــــــــــــــــــــــول

سما لك شوقٌ بعد ما كان اقصرا وحلّت سُلَيمَى بطن قوٍّ فَعرعَرا
كنانيّةٌ بانت وفي الصدر ودُّها مجاورةٌ غسّانَ والحيَّ يَعمُـــــرا
تذكّرتُ اهلي الصالحين وقد اتت على جملي خُوصُ الركاب واوجرا
فلما بَدَت حوران في الآل دونها نظرتَ فلم تنظر بعينيك منظرا
تـــقطّع اسباب اللبانة والهوى عشيّةَ جاوزنا حماة وشيـــــزرا
لقد انكـــرتنـــي بعلبكٌّ واهلها ولآبن جُريجٍ في قرى حمص انكرا

وهي طويلةٌ اقتصرنا منها على هذه الابيات ولما دخل امرؤ القيس على قيصر شكا اليهِ حالهُ وسالهُ ان يمدّهُ بجيشٍ الى بلاد العرب فلم يجبهُ فعاد راجعًا حتى انتهى الى بلدةٍ من بلاد الروم يقال لها انقرة وكان بهِ مرض السلّ فاشتدَّ عليهِ هناك فلبث بها مدةً الى ان انهكهُ السقمُ فعلم انهُ ميتٌ لا محالة وكان قد أُخبِر بان امراةً من بنات الملوك ماتت هناك فدفنت في سفح جبلٍ يقال له عسيب فقال

اجارتنا ان الخطوب تـنوبُ واني مقيمٌ ما اقام عسيبُ
اجارتنا انّا غريبان ههنا وكل غريبٍ للغريب نسيبُ
فان تصلينا فالقرابة بيننا وان تهجرينا فالغريب غريبْ

ثم مات فُدفِن هناك الى جانب قبر المراة وكان ذلك سنة تسع وثلثين وخمسماية للمسيح وكان امرؤ القيس نحيف الجسم معتدل القامة صبيح الوجه حسن الاخلاق كريمًا مشهورًا بالفصاحة وكان من فحول الشعرآء في الجاهلية واحسنهم نظمًا وهو اول من احكم

القواق على ما قيل وكانت امهُ فاطمة بنت ربيعة بن الحرث بن زهير اخت كليب والمهلهل التغلبيين وكان يُكنّى بابى وهب وقيل بابى الحرث وكان يقال لهُ الملك الضِلّيل ويقال لهُ ايضًا ذو القروح واياهُ عنى الفرزدق بقوله

وهب القصايد لى النوابغ اذ مضوا وابو يزيد وذو القروح وجَرْوَلُ

وكان مولدهُ ببلاد بنى اسد وكان ينزل فى حصنٍ بالبحرين وكان ينازع الشعرآء قيل انهُ نازع التوأم اليشكرىّ فقال ان كنت شاعرًا فأَجِز انصاف ما اقول فقال التوأم قل ما شئت

فقال امرُّ القيس

أَحارِ ترى بُرَيقًا هبَّ وهنـــا

فقال التوأم

كنار الفُرس تستعر استعـارا

فقال امرُّ القيس

أَرِقتُ لهُ ونام ابو شـــــريحٍ

فقال التوأم

اذا ما قلتُ قد هَدَأَ استطارا

فقال امرُّ القيس

كأَنَّ هزيزهُ بورآء غيـــــبٍ

فقال التوأم

عشارٌ وُلَّهٌ لاقت عشـــــارا

فقال امرؤ القيس

فلما ان دنا لقفا اضـــــاخٍ

فقال التوأم

وَهَت اعجـاز رَبِّقِهِ فحـــــــارا

فقال امرؤ القيس

فلم يترك بذات السرّ ظبيا

فقال التوأم

ولم يترك بجهلتها حمـــــارا

واحاديث امرئ القيس ومفاوضاتهُ مع الشعرآء كثيرةٌ لا حاجة الى استيفآيها بالتفصيل

فصـــل

فى ذكر ملوكٍ متفرقة من العرب

من ملوك العرب عمرو بن لحى بن حارثة من ولد كهلان بن سبا كان ملكاً فى الحجاز وكان شايع الذكر فى الجاهلية واليهِ تُنسب خزاعة فيقال انهم من سلالتهِ وكان جلوسه على سرير الولاية سنة مايتين وسبع للمسيح وهو اول من اتى بالاصنام الى مكة اتى بها من ارض الشام واقامها فى البيت الحرام ودعا الناس الى تعظيمها والتقرب اليها والتوسل بها الى الله تعالى وكان منها صنمٌ على صورة رجل يقال لهُ إساف وصنمٌ على صورة امرأة يقال لهُ نايلة وضعهما

عمرو على الصفا والمروة وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة وكان عمرو ينكر بعث الاجساد وهو القايل

حيوةٌ ثم موتٌ ثم حشرٌ حديث خرافةٍ يا أُمَّ عمرِو

وكان ملكهُ ثلثًا وثلثين سنة انتهى ومن ملوك العرب ملوك جرهم واشهرهم مضاض بن عمرو بن الحرث الجرهمىّ وكان قد خرج بقومهِ من اليمن الى الحجاز فنزل باعلى مكة وخرج معهُ السَمَيْدَعَ ببنى قطور فنزل باسفلها ولبث كلٌّ فريق فى مكانهِ حينًا من الدهر فوقع الخصام بين جرهم وقطور وانتشبت بينهم الحرب فاقتتلوا قتالا شديدًا وقُتِل السميدع فسلَّم قومهُ امرهم الى مضاض واصطلحوا فسرَّ مضاضٌ بذلك ونحر الجُزُر وطبخ الاطعمة للناس فدُعِى ذلك المكان بالمطابخ وفى ذلك يقول مضاض

ونحن قتلنا سيّد القوم عنوةً فاصبح منا وهو حيران يجزعُ
وما كان يبغى ان يكون سِوآؤُنا بها ملكًا حتى اتانا السَمَيْدَعُ
فذاق وبالاً حين حاول ملكنا وعالج منا غصّةً تتجرَّعُ
ونحنُ عَمَرنا البيتَ كُنَّا ولاتَهُ نقاتل عنهُ من اتانا وندفعُ
وما كان يبغى ذاك فى الناس غيرنا ولم يَكُ حَىٌّ قبلنا فيهِ يطمعُ

واقام مضاض بقومه فى مكة ما شآء الله من الزمان حتى خرج عمرو بن عامر بن ثعلبة الخزاعى من اليمن فارسل ابنهُ ثعلبة الى الجرهميين يطلب النزول عندهم الى ان ترجع رُوَّادهُ من الشام فيرحل الى حيثما اصابوه له من الارض فأَبَت جرهم ذلك ابآء شديدًا

واستكبروا فى انفسهم وقالوا لا والله لا نحبُّ ان تنزلوا معنا فتضيقوا علينا مراعينا ومواردنا فارحلوا حيث شئتم من البلاد فاغار عمرو الخزاعىّ عليهم والتقوا بهِ فاقتتلوا ثلثة ايام فكانت الدايرة على جرهم فانهزموا ولم يفلت منهم الا الشريد وكان مضاض قد اعتزل عن الحرب لانهُ لم يكن لهُ رايٌ فى ذلك ولما ظفرت بهم خزاعة رحل باهل بيتهِ ونزل فى ما يلى مكة عن بعدٍ من القوم ونادى عمرٌو فى قومهِ ان من وجد جرهميًّا فى جوار الحَرَم فدمهُ مباح لهُ وفى تلك الايام نزعت ابلٌ لمضاض فخرج فى طلبها حتى وجد اثرها وقد دخلت الى مكة فمضى على الجبال من نحو اجياد حتى وقف على ابى قُبَيس فرأى ابلهُ تُنحر فى مكة ولا سبيل لهُ اليها فولّى منصرفا الى اهلهِ وانشا يقول

كأنْ لم يكن بين الحجون الى الصفا انيسٌ ولم يسمر بمكة سامرُ
ولم يترنّع واسطًا فحنونَهُ الى المُنحنى من ذى الاراكة حاضرُ
بلى نحن كُنّا اهلها فأبادَنا صروف الليالى والجدود العوائرُ
وابدَلنا ربى بها دار غربةٍ بها الذيب يعوى والعدوُّ الحاصرُ
اقول اذا نام الخلىُّ ولم أَنَمْ أَذا العرشِ لا يَبعُدْ سُهَيلٌ وعامرُ
فنحن ولاة البيت من بعد نابتٍ نطوف بهِ والخير اذ ذاك ظاهرُ
وابلج جدّى خير شخصٍ علمتهُ فآبناوه منا ونحن الاواصِرُ
واخرجنا منها المليك بسبهِ كذلك بين الناس تجرى المقادرُ
فسَحّت دموع العين تبكى لبلدةٍ بها حَرَمٌ امنٌ وفيها المشاعرُ

To: www.al-mostafa.com

وبطنُ مِنًى امسى كَأَنْ لم يكن بهِ مضاضٌ ولا من حيّ عمرٍو عمايرُ
فهل فرجٌ ياتى بشيء نحبُّهُ وهل حذرٌ ينجيك ممّا تحاذرُ

انتهى ومن ملوك العرب زهير بن حباب بن هَبَل بن عبد الله بن عذرة الكلبيّ وكان يقال له الكاهن لصحة رأيهِ غزا غزواتٍ كثيرة وكان ميمون النقيبة سعيدًا فى غزواتهِ وفد على ابرهة الاشرم الحبشى بنجد فاكرمهُ وفضّلهُ على من اتاهُ من العرب وقلّدهُ امارة بنى بكر وتغلب فاقام بهم واصابتهم سنةٌ جديبة فثقل عليهم ما كان يطلبهُ منهم فخلعوا طاعتهُ وانتشبت بينهم الحرب وجرت لهم وقايع يطول شرحها ثم جمع زهير بنى كلب واحلافهُ من القبايل وغزاهم على مآءٍ يقال لهُ الحِنَيّ فاقتتلوا قتالاً شديدًا ثم انهزمت بكر وقاتلت تغلب بعض القتال فانهزمت ايضًا وقتل منهم خلقٌ كثير وساقوا اموالهم ونسآءهم وحدث فى ايام زهير ان بنى بغيض بن ريث بن غطفان خرجوا من تهامة فتعرضت لهم قبيلةٌ من مذحج فقاتلوهم واستظهرت غطفان واصابت غنايم كثيرة فاعتزّ القوم وقالوا والله لنتّخذنّ حَرَمًا مثل حرم مكة لا يقتل صيدهُ ولا يعضَد شجرهُ ولا يُهَاج عايذهُ واقاموا على بنآيهِ رجلاً منهم يقال لهُ رباح بن ظالم وبلغ ذلك زهير بن حباب فقال والله لا يكون ذلك ابدًا وزحف بقومهِ حتى وقع على بنى غطفان فقاتلهم وظفر بهم فقتل وسبى ونهب كثيرًا ثم مَنّ على غطفان فردّ النسآء واستاق الاموال وانصرف الى ديارهِ وهو يقول

ولم تصبر لنا غَطَفانُ لمّـا تلاقينا واحرزَتِ النسـآء
ولولا الفضل منا ما رجعتم الى عذراءَ شيمتها الحيـآء
فكم غادرت من بطلٍ كميٍّ لدى الهيجآء كان لهُ غناء
فدونكُمُ ديونًا فاطلبوها وآثارًا ودونكمُ اللقـآء
وانّا حيثُ لا يخفى عليكم ليوثٌ حيث ينهصر اللوآء
فخلّى بعدها غطفان ريثًا وما غطفان والارض الفضآء
وقد اضحى لحَيّ بنى حبابٍ فضآء الارض والمآء الـروآء
نفينا نخوة الاعدآء عنـا بارماحٍ أسنَّتُهَـا ظِمـآء
ولولا صبرنا يوم التقينـا لقينا مثلما لَقِيَت صدآء
غداة تعرَّضوا لبنى بغيضٍ وصدق الطعن للحَمْقَى شفآء
وقد هربت حذار الموت قينٌ على آثار ما ذهب العفآء
وقد كنّا رجونا ان يُمِدُّوا فاخلفنـا من القوم الرجآء

وكان زهير من المعمرين فى العرب عاش عمرًا طويلاً وغزا غزوات كثيرة حتى كان قلّ ما تمضى عليهِ سنةٌ لا يغزو فيها ومن ملوك العرب كُلَيب بن ربيعة بن الحرث بن زهير بن جُشَم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب كان سيد بنى ربيعة فكانوا لا ينزلون ولا يرحلون الا بامرهِ وكان عزيزًا مهيبًا بينهم لا توقد نارٌ مع ناره ولا ترد ابلٌ مع ابلهِ ولا يحتبى احد فى مجلسهِ ولا يتكلم الا ان يسألهُ وفى ذلك يقول اخوه المهلهل

نُبِّيتُ ان النار بعدك أُوقدت واستبَّ بعدك يا كليب المجلس

وتحدَّثوا فى امرِ كل عظيمـةٍ لو كنت حاضرِ امرهم لم ينبسوا
وبغى كليبٌ على قومهِ فصار يحمى عليهم مواقع السحاب فلا يُرعَى
حماهُ ويجيرِ الوحش فلا يصاد وكان يُلقِى كلبًا صغيرًا فى اطراف
مراعيهِ فاذا اقبل الرعاة سمعوا صوتهُ فتاخروا عنها وكان كليب
المذكور اسمهُ وائل فكانت الرعاة اذا سمعت صوت كلبهِ تقول هذا
كُلَيب وائلٍ فلما كثرِ استعمال ذلك صار لقبًا لهُ وما ذال كليبٌ
فى عزتهِ وزهوهِ حتى قتلهُ جسّاس بن مرّة البكرىّ كما سياتى فى ذكرِ
وقايع العرب ومن ملوك العرب زُهَيرِ بن جذيمة بن رواحة بن
ربيعة بن الحرث العبسىّ وكان ملكه سنة خمسماية واربع وستين
للمسيح وكان لهُ اتاوةٌ على بنى هوازن ياتونهُ بها كل سنةٍ الى عكاظ
فى ايام موسم الحج فى الحجاز فلما كان بعض السنين اتتهُ امرأةٌ من
بنى زُهَيس بن بكرِ من هوازن بشىءٍ من السمن فلم يرضهُ وكان
فى يدهِ قوس فدفعها بها فى صدرها فاستلقت على قفاها وانهتك
سترها فغضبت هوازن من ذلك واضمرت عليهِ السوء وكان ابنهُ
شاس قد اقبل فى تلك الايام من عند النعمان بن المنذرِ ومعهُ
قطيفةٌ حمرآء وطيوبٌ قد اهداها لهُ فورد مآءً فى الطريق عند
الظهيرة وعليهِ خبآءٌ لرياح بن الأَشَلّ الغَنَوىّ فاسآء شاس الادب
وزجرهُ الغنوى فلم يزدجرِ فرماهُ بسهمٍ فقتلهُ ودفنهُ فى رملةٍ هناك
واحرز ما كان معه فى بيتهِ وغمض خبرهُ عن ابيهِ زمانًا حتى خرجت
امراة رباح بشىءٍ مما كان مع شاس تبيعهُ فى سوق عكاظ وكان لزهيرٍ

ارصادٌ على ذلك فاعلموهُ بهِ فتجهز لادراك ثارهِ من بني غني وقال يرثيه

بكيت لشاسٍ حين خُبِّرتُ انهُ بمآء غنيٍّ اخر الليل يشرَبُ
لقد كان مأتاهُ الردىٰ بحتفهِ وما كان لولا غرَّة الليل يُسلَبُ
قتيل غنيٍّ ليس شكلٌ كشكلهِ كذاك لعمري الحَينُ للمرء يُجلَبُ
سابكي عليهِ ما بقيت بعبرةٍ وحَقَّ لشاسٍ عبرةٌ حين تسكبُ
اذا سِيمَ ضيمًا كان للضيم منكرًا وكان لدى الهيجآء يُخشَى ويُرهَبُ

ثم اغار زهير على الغنويين فاتفقت هوازن مع خالد بن جعفر الكلابي وبني عامر على قتال زهير لما كان في انفسها منه واقتتلوا جميعًا فاعتنق زهير وخالد واعتركا طويلاً على الارض فنادى خالد بقومهِ فاقبل عليهِ جندح بن البَكّآء وضرب زهيرًا بسيفهِ ضربةً شقَّ بها راسهُ ثم ركبوا وتركوهُ فاخذتهُ اصحابهُ ومات بعد ايام وكان ابنهُ ورقآء قد ضرب خالد بن جعفر ضربةً بسيفه فلم تؤثر فيهِ شيًا فقال في ذلك

رايت زهيرًا تحت كلكل خالدٍ فاقبلت اسعى كالظليم ابادرُ
فشلَّت يميني يوم اضرب خالدًا وشلَّ ثناياها وشلَّ الخناصرُ
وياليتني من قبل ايام خالدٍ ويوم زُهَيرٍ لم تلدني تُماضِرُ
فَطِرْ خالدٌ ان كنت تستطيع طيرةً ولا تَقَعَنْ الا وقلبك حاذرُ
اتتك المنايا ان بقيت بضربةٍ تفارق منها العيشَ والموتُ حاضرُ

وبعد قتل زهير بن جذيمة جرت وقايع كثيرة بسببهِ لم نتعرض لذكرها خوف الاطالة وكان ملكه ثلث سنين ومن ملوك العرب قيس بن

زهير بن جذيمة العبسيّ كان من دهاة العرب وكان يقال لهُ قيس الراي لصحة رايهِ استولى على ملك ابيهِ زهير بعد قتلهِ في بني عامر ونهض لادراك ثارهِ فاستجاش احلافهُ وغزا العامريين فجرى بينهم قتالٌ شديدٌ ولم يُصِب حاجتهُ فانثنى عنهم واقام في ديارهِ ماشآء الله حتى وقعت الحرب بين عبس وفزارة بسبب سباق الخيل كما سياتي فلحق ببني النمر بن قاسط وكان قد افتقر وساءت حالهُ فلما تمكّن بينهم قال لهم يابني النمر بن قاسط قد علمتم انني رجلٌ أَنوفٌ غيورٌ ولكنني لا آنَفُ حتى أُظلَم ولا اغار حتى ارى فانظروا لي امراةً من نسآيكم قد أَدَّبها الغنى واذلّها الفقر فاصابوا لهُ امرأةً كما اراد فاقام بينهم وتنصّر وما زال عندهم الى ان مات على دين النصرانية والله اعلم

باب وقايع العرب المشهورة

حرب حزاز

اذ قد فرغنا من الكلام على دُوَل ملوك العرب راينا ان نُلحق به ما وقع في ايامهم من الحروب الشهيرة فمن ذلك حرب حزاز وهو جبلٌ بين البصرة الى مكة وقعت فيهِ الحرب بين بني نزار وملوك اليمن وكان السبب في ذلك ان صهبان بن محرث احد ملوك اليمن كان قد استعمل على جدَّة وما يليها من تهامة عاملاً يقال له عمرو بن عنق الحيَّة واقام عاملاً اخر على ربيعة ومضر يقال لهُ لبيد بن عنبسة الغسّاني وكان روسآء ربيعة يَفِدُون على الملك تُبَّع الاكبر

ويطلبون نوالهُ ويتحفونهُ بالهدايا وكان يخلع عليهم الحلل ويعطيهم الاموال ويحسن جوايزهم فاخذ عليهم العهد وحالفهم دون غيرهم من القبايل لانهم كانوا اشد العرب باسًا وامنعهم جوارًا وكان سيدهم يومئذ ربيعة بن مرة التغلبى وهو ابو كُلَيب والمهلهل ولما نزل لبيد بن عنبسة ببنى ربيعة تزوَّج بامراةٍ من اشراف تغلب يقال لها زهرآء بنت الحرث التغلبى وكانت امُّها الوجيهة بنت عمرو بن عامر سيد الازد واقام عندهم لبيدٌ برهةً من الزمان وكان عاتيًا جبَّارًا فاخذ فيهم بالعَنَف والظلم واسآء المعاشرة بينهم فزجروه عما هو فيهِ فلم يزدجر فنبذوا طاعتهُ وامتنعوا من تأدية الخراج اليهِ فكتب الى ابن عنق الحيَّة ان ربيعة ومضر خرجوا عن طاعتهِ وامتنعوا من تسليم الخراج اليهِ وكانا كلاهما تحت لوآء سُلَيمة بن الحرث بن عمرو ابن الملك المقصور ابن حجر آكل المرار وهو عمُّ امرء القيس الشاعر فكتب اليهِ ابن عنق الحية يخبرهُ بذلك فكتب سلمة الى روسآء ربيعة يلومهم ويذكّرهم العهد وامر بتجهيز الجنود خفية يريد مخادعة القوم فلما بلغهم ذلك اجتمعت نزار من عشائر مضر واياد ونزلوا تهامة واخذوا فى المشورة فاجمع رايهم ان يرسلوا نفرًا من اشرافهم الى ربيعة يعرّفونهم بما فى انفسهم ويستنجدونهم فانطلق الرسل وهم عمرو بن منقذ التميمى وهو ابو البسوس خالة جساس بن مرة وسُوَيد بن عمرو العامرى وعدس بن زيد الحنظلىّ والابرص الاسدىُّ ومالك الاسجعىُّ وعبد الله بن عالب الفهرىُّ ومعهم

سادةٌ من اياد ومضر فلما انتهوا الى ديار ربيعة نزلوا على كليب فوجدوهُ جالسًا فى وجوه قومهِ حتى اذا اخذوا مجالسهم قام عمرو بن منقذ التميمى وانشد يقول

أَبلغ ربيعة عنا ان وادِيَنَـــا ان سال يومًا بنا لم يُخطِ واديها
وان ارحامنا يومًا وان بَعُدَت فاننا سوف نُدنيها ونحميهـــا
الأُمّ واحدةٌ والاب يجمعنـــــا الى نزارٍ وما تدعو اقاصيهـــا
قد صار صهبانُ يبغينا بداهيةٍ من الامور التى لا شىء يفنيها
فاستجمعوا لنُوَلّى منكـــم رجلاً أَعِنَّةَ الخيل يتلوها ويهديهـــا

وجلس عمْرو فقام سويد بن عمرو العامرىّ وقال

تَجَافَ مِرفَقَايَ عن الوســـادِ وبعتُ النوم منى بالسهـــادِ
الا أَبلِغ ربيعة ان جيشًـــا يُجهّز مخلبًا فى كـــل وادِ
يريد بوارنا ان لم تعينوا بنصرِكُمُ على رغم الاعادى
نُذَكِّرُكم اقرابتنـــا وآلاً وارحامًا تدانـــت للولادِ
وان اخاكمُ لَأَخُو ابينـــا فشدّوا عقدنـــا ببنى ايادِ
ووَلّوا امرنا منكم رئيسًـــا طويل الباع مسترخى النجادِ

وجلس فقام عدس بن سُوَيد الحنظلى وقال

الا أَبلِغ ربيعة حيث حلّوا على بعد الديار من الديارِ
فناشدكم بارحـــامٍ دوانٍ عواطف ليس بالبُعد الصوارى
فما الرحم التى اشتملت علينا احقّ بنصركم لبنى نزارِ
فرُدّوا الأَصرَ والارحام عينـــا لنسلم عند ذاك من البوارِ

ولما فرغوا من انشادهم قال كليبٌ مرحبًا بالاخوة والاحبة قدمتم على من يواسيكم بالانفس والاموال ومن لا يُحبُّ البقآء بعدكم وقد نقضت عهدى مع ملوك اليمن فليس لهم عندى عهدٌ ولا ذمّـــة ثم ان كليبًا اوفد رسولاً الى لبيد بن عنبسة يقول اننا قد عاهدناك وحالفناك فيما سبق بزعمنا انك نعم الصديق واما الان فقد تبيّن لنا جوركم وغدركم فنبذنا عهدك وذمتك ورفضنا محالفة قومك وانت فيما بيننا خليعٌ وقد انذرناك فكن من ذلك على يقينٍ فشقَّ ذلك على لبيدٍ وغضب غضبًا شديدًا وكتب الى تُبَّع يخبره بان كليبًا قد خلع الذمام واجتمعت تحت لوايهِ كل قبايل نزار واقام ينتظر الجواب ثم اقبل لبيدٌ على شرابهِ ذات ليلةٍ فلما اخذت منهُ الخمر جعل يشتم بنى ربيعة ويتهدَّدهم فانكرت عليهِ ذلك زوجته الزهرآء فقال لها ما بال كليبٍ ينتصر لمُضَر ويتهدد الملوك كانهُ يعتزُّ بغيرهم فقالت ما اعرف اعزَّ منهُ وهو كفوٌ لما اراد فغضب لبيدٌ ولطمها على وجهها فاغشت عينها وخرجت باكيةً الى كليب بن ربيعة وهى تقول

ما كنت احسب والحوادث جمَّةٌ انَّا عبيد الحىّ من قحطـانِ
حتى اتتنى من لبيدٍ لطمـةٌ اغشت لها من وقعها العينانِ
ان ترضَ اسرة تغلب ابنة وائلٍ تلك الدنيَّة او بنو شيبـــانِ
لا يبرحوا الدهر الطويلَ أَذِلَّةً هُذلَ الاعنَّة عند كل رهـانِ

فلما سمع كليبٌ قولها ورأى ما بها من اثر اللطمة اخذتهُ الحميَّـة وسار الى ابيات لبيد حتى انتهى اليها واذا هو قد جلس مـــان

الخدر يتغنّـــى بهذه الابيـــــــــــــــــــــــات

طال ليلى فما احسّ الهجودا ارقب النجم فى المغار عميدا
لحديثٍ مراوحٍ قد اتانـــى من كليبٍ فزاد عينى سهودا
نحن كُنّا الملوك من سالف الدهر وكنتم لنا قديمًا عبيدا
فاقبلوا اليوم ما اتاكم بهِ القَيـلُ ولا تهلكوا هـــلاك ثمودا

فلما اتمّ انشادهُ هجم عليهِ كليبٌ وعلا راسهُ بالسيف فقتلـــهُ وانشا يقـــول

ان يكن قتلنا الملوك خطآء او صوابًا فقد قتلنا لبيـــدا
وجعلنا مع الملوك ملوكـــًا بجيادٍ جُردٍ تقلّ الحديـــــدا
او تردّوا لنا الاتاوة والفـــىء ولا نجعل الحروب وعيـــــدا
ان تلمنـــى عجايزٌ من نزارٍ فارانى فيما فعلت مُجِيـــدا

ولما علمت ربيعة ان كليبًا قتل لبيدًا ايقنت بانتشاب الحروب وخرج اخٌ للبيد حتى اتى ابن عنق الحية فسجد لهُ وقال قتلت ربيعة لبيدًا فاما ان تدرك ثارك واما ان ترجع منهزمًا الى الملـك فقال ابن عنق الحية اسكن فلن يضيع دم اخيك ثم كتب الى الملك صهبان بن حرث يخبرهُ بقتل لبيد فلما بلغ صهبان ذلك غضب غضبًا شديدًا وقال ان كليبًا قد ابدى لنا صفحته وتعرّض للملوك وارسل الى سُلَيمة بن الحرث وعمرو بن عنق الحية قايدًا من قُوّاده وضمّ اليهِ رجلًا اخر من اكابر قومهِ وجهّز معهما عشرين الفًا من الخيل فسارت جنود الملك صهبان حتى وردت على سليمة

وابن عنق الحية فنهضا معهم حتى قربوا من تهامة ولما بلغت كليبًا اخبار اهل اليمن نادى فى قومه بالغارة وعَقَد الالوية فاجابتهُ القبايل من ربيعة ومضر واياد وتتابعت اليهِ الرجال من كل جانبٍ وساروا وفى مقدَّمتهم كليب ورهطهُ الاراقم فالتقتهم جنود اليمن فى مكانٍ يقال لهُ السلاَّن من ارض تهامة فاقتتلوا قتالاً شديدًا وقُتِل من الفريقين خلقٌ كثيرٍ وقُتِل فى ذلك اليوم ربعية بن مرَّة ابو كليب صاحب لوآء ربيعة وفارسها وكانت الدايرة على اهل اليمن فانهزم ابن عنق الحية واسرت ربيعة منهم كثيرًا من الفرسان وانصرف كليب من السلاَّن بقومه ظافرًا منصورًا فعزَّتهُ قبايل عن ابيهِ ربيعة ودانت لهُ بالرياسة بعد ابيهِ وفى ذلك يقول كليب

دعانى داعيا مُضَرٍ جميعًا وانفسهم تدانت لاختناقِ
فكانت دعوةً جمعت نزارًا ولَمّت شعثها بعد الفراقِ
اجبنا داعِيَىْ مضر وسرنا الى الاملاك بالقُبّ العتاقِ
عليها كل ابيض من نزارٍ يُسَاقِى الموت كرهًا من يُسَاقى
امامهمْ عقاب الموت يهوى هوىَّ الدلو اسلمها العراقى
فاردينا الملوك بكل عضبٍ وطار هزيمهم حذر اللحاقِ
كانهم النعام غداة خافوا بذى السلاَّن قارعة النلاقى
فكم ملكٍ اذقناهُ المنايا وآخَر قد جلبنا فى الوثاقِ

وبعد ذلك تجمعت قبايل اليمن وبلغ خبرهم بنى نزار فالتقوهم على مآء يقال لهُ الكلاب واقتتلوا قتالاً شديدًا ثم شدَّ كليب على فارس

من لحم فطعنهُ طعنةً دقَّ بها صلبهُ واستنزلهُ عن فرسه فاعترك عليهِ الحيَّان وكثر القتل فانهزم ابن عنق الحية باصحابهِ وحامت بنو قابس من همدان عن لوآيها الى ان جزّ الليل ولما اصبحوا اقبل عمرو بن بابل اللخميّ وكان من خواص صهبان وفرسانه فصاح في آل ذي نواس وقبايل اليمن فاقبلوا عنقًا واحدًا وقاتل بهم حتى كثر القتل وحمل كليب على عمرو بن بابل وكان من الملوك فحالت اصحابهُ دونهُ بالرماح فشقَّ كليبٌ رماحهم حتى طعنهُ فدقَّ صلبهُ وحملت ربيعة في اثرهِ حملة رجلٍ واحد فتفرَّقت عند ذلك جموع حمير واسرت ربيعة منهم اسارى كثيرة ومرَّ عليهم كليب فاذا هو بالاسعد اللخمي يحجو ابن عنق الحية ويمدح عمرو بن بابل حيث يقول

ان القتيل الذي جرَّت مصيبتهُ يوم الكلاب على ابن الحية العارا
اهدى كليبٌ لهُ نجلاء فاغرةً تحكي القليب وما احكاهُ فرَّارا
يدعون باسمك والخطّيّ شاجرةٌ لله درُّك ان لم تحمِ عمَّارا
هذا اعتذارك في قومٍ قصدت بهم خوض المنيَّة ايرادًا واصدارا
حتى اذا الخيل ابدت عن سرايحها الفيت نصلك بين القوم خوَّارا
ما كان والدك الادنى بذي فشلٍ بل كان يعتدُّ للانصار انصارا
غسَّانُ صبرًا فحيَّا وايلٍ صبرا كلٌّ يُجَدِّد انيابًا واظفارا
يكسون هام ملوك الناس ضاحيةً بيض الصفايح ضربًا يشعل النارا
ان الكلاب بها قَتْلَى مصرَّعةٌ كانوا لنا سُبَّةً قد خلَّدت عارا
ياليت امك لم تقبل تنفُّسَها ايدي القوابل او لم تلقَ اطهارا

وقال مهلهل بن ربيعة فى ذلك

لو كان ناءٍ لابن حية زاجرٌ لنهاهُ عنا وقعة السـلّان
يومٌ لنا كانت رياسة اهلـهِ دون القبايل من بنى عدنانِ
غضبت مُعَدٌّ غَثّها وسمينها فيهِ ممالاةً على غسّـانِ
فازالهم عنا كليب بطعنةٍ فى عمرو بابلٍ من بنى قحطانِ
ولقد مضى عنها ابن حية مدبرًا تحت العجاجة والحتوف دوانِ
لما رآنا بالكلاب كأنّنا اسدٌ ملاويةٌ على خفّانِ
ترك التى سحبت عليهِ ذيولها تحت العجاج بذلّةٍ وهوانِ
ونجا بمهجتهِ واسلم قومهُ متسربلين رواعف المُرّانِ
يمشون فى حلق الحديد كانهم جُرب الجمال طُلِينَ بالقطرانِ
نعم الفوارس لا فوارس مذحجٍ يوم الهياج ولا بنو هَمَذانِ
نهضوا الغداة بكل اسمر مارنٍ ومهنّدٍ مثل الغدير يمانِ

ولم يزل ابن عنق الحية فى هزيمتهِ حتى دخل على الملك صهبان واخبرهُ بذلك فامتلأ غيظًا وغضبًا وبعث الى اليمن اقصاها وادناها وساق اليهِ الجيوش وسار الملك المقصور ابن آكل المرار فى قبايل اليمن حتى التقوا فى بطن ذى اراط فاقتتلوا سبعة ايامٍ تباعا حتى كثرت بينهم القتلى ولم يظفر بعضهم ببعضٍ حتى كان اليوم السابع فانهزمت قبايل اليمن وظفرت بها ربيعة فلما بلغ ذلك تُبّعًا ابرق وارعد ونادى فى الجيوش وامر بعقد الالوية وتجهيز العساكر الى نزار فالتقوا بثنيّة الجبلين واقتتلوا قتالاً شديدًا وكان ذلك اليوم على مقدّمة

نزار عتبة بن ربيعة بن زهير فلقى مقدّم جيش فقتلهُ وأُسِر فى ذلك اليوم النمر بن عثمان سيد اليمن فقال التُبّع اليمانى فى ذلك

ان بيتى الذى بنى لىَ قحطا ... نٌ طويل العماد صعب المراقى
هو سهلٌ علىّ حَزنٌ لغيرى ... مستظلٌ منطّقٌ بنطاقِ
ليس حىٌّ يرومهُ ولهُ با ... بٌ من العزّ مرصدٌ بالوثاقِ
كل من رام فتحهُ او اذاهُ ... خرجت نفسهُ من الاشفاقِ
دونهُ عسكرٌ تضيق بهِ الار ... ضُ عظيمٌ مسوّرٌ برواقِ
ذاك بيتى وأىُّ بيتٍ كبيتى ... او مذاقٍ فى الطعم مثل مذاقى
ذاقنى الناس فاحتسوا يوم سمٍّ ... سمّ افعى يعيى بها كلُّ راقِ
سار شمرٌ من الاقاصى الى الار ... ضِ بخيلٍ تُقَاد فى الآفاقِ
لست بالتُبّع اليمانىّ ان لم ... تصبح الخيل فى سواد العراقِ
وعليها شباب صدقٍ كرامٌ ... يحسنون الطعان يوم التلاقى
انما النمر خيرنا وهو منّا ... انّ فقد الكرام فى القلب باقِ
سرقوهُ منا وآباؤهُ الشُمّ ... فعندى عقوبة السُرّاقِ
سوف ارميهِمِ بشُعثٍ ومُردٍ ... فوق جُردٍ مسوّماتٍ عتاقِ
واذا ما الحروب شبّت فكانت ... مُهَجات النفوس عند التراقى
لفحوا نارها وشبّوا لظاها ... برماحٍ مسنونة الارواقِ
ليس حىٌّ مفاخرٌ لرجالى ... او مجارٍ لهم غداة السباقِ

فلما بلغت هذه الابيات كليبًا غضب من ذلك وقدّم النمر فضرب عنقهُ وانشا يقولُ

غضب التُبّع اليمانيّ جهـلا اذ ثوى النمر عندنا فى الوثاقِ
برهةً ثم صار بعدُ قتيـلاً ليس حيٌّ على المنون بباقِ
ايها المُوعِد الذى ليس يُخشَى قد نهيناك عن سواد العراقِ
أَبلِغ التُبّع اليمانىّ انّـا فوق جُردٍ مسوّماتٍ عتـاقِ
نضرب الهام بالمهنّد ضربًا ونسوم العدوّ طول السباقِ
رُبّ ملكٍ متوّجٍ قد قتلنـا كان ذا عزّةٍ عظيم الرواقِ
فسلبناهُ ملكهُ واستبحنـا دمهُ لا يقيهِ من ذاك واقِ

ولما انتهت هذه الابيات الى التُبّع ثارت بهِ الحميّة وسار فى قبايل اليمن ومعهُ تسعة اخوةٍ لهُ متوّجون وهو العاشر كل واحدٍ منهم مقدّمٌ على فرقةٍ من حميرٍ واقبلوا وقد ضربت بين ايديهم الطبول وخفقت الرايات والبنود حتى نزلوا حزاز وبلغ ذلك كليبًا فالقى النفير فى قبايل ربيعة ومضر واياد وطى وقضاعة وكانوا جمبعهم حلفآء لنزار فاقبلت عليه الجيوش من كل جانبٍ وامر كليب باحضار روسآء القبايل وقال يابنى الاعمام قد بلغكم مسير الملك تُبّع الينا بجنودهِ ومعهُ قبايل اليمن وسادات العشاير وقد استعدوا لحربنا بكل عدّةٍ وقادوا الينا كل صعبٍ وذلول وخرج الملك بنفسهِ الينا فى سبعة الوية غير الرايات وتحت كلّ منها عشرة آلاف مقاتل فهذه الوقعة لبست كغيرها من الوقايع واننا نخشى ان تكون الدايرة علينا فماذا ترون قالوا ذاك فما من يخلف لك امرًا فارسل كليب رجلاً يهوديًا يرصد الملك ويانى بخبرهِ فسار اليهودىّ حتى اشرف على حقبعه امرد وعلم

انه قد طلب وادى حزاز يريد ان ينزل على مآء الذنايب فرجع واخبر كليبًا فصاح فى قومهِ وتداعت احلاف ربيعة للرحيل وساروا طالبين مآء الذنايب وكان على كعب وغطفان الاخوص بن جعفر بن كلاب فسار فى مقدمة اصحابهِ وهو يقول

سارت نزار برايـــةٍ منصورةٍ عقد اللوآء لها كُلَيبٌ واتلُ
اسيافهم بيضٌ صوارمُ بُتَّرٌ ورماحهم يوم النزال عواملُ
ودروعهم مسرودةٌ وخيولهم من تحتهم يوم اللقآء صواهلُ
وصوارمٌ واسنّةٌ وقبايـــلٌ وذوابلٌ من دونهم وعواسلُ
وسواعدٌ مجدولةٌ وهياكلٌ وغلاصمٌ محزوزةٌ وكواهـــلُ

ولم يزل كليبٌ سايرًا واصحابهُ يتتابعون قبيلة بعد قبيلة حتى انتهوا الى الذنايب وكان اول من نزل عليهِ من ربيعة ابنآء وايل فحفظوا النهر والمرصد وكان قد سبقهم الى هناك طلايع وملوك من اهل اليمن فقتلوهم عن اخرهم وكان كليب قد قدَّم السفَّاح بن خالد بن ربيعة الى حزاز وامرهُ ان يوقد نارًا على الجبل ليهتدوا بها فان غَشِيَهُ العدو اوقد نارين فسار فلما اوقد حملت عليهِ اليمن فاوقد اخرى فاتته ربيعة وتتابعت نزار وفى ذلك يقول الفرزدق

لولا فوارس تغلب ابنة وايلٍ اخذ المليك عليك كل مكانِ
قتلوا الطلايع والملوك واوقدوا نارين قد عَلَتا على النيرانِ

وقال فى ذلك السفاح بن خالد

ولبلة بـــتُّ اوقد فى حزارٍ هدبتْ كتايبًا متحيّراتِ

ضللن من السهاد وهنّ لولا سهاد القوم امست هاديات
فكُنّ مع الصباح على جذامٍ ولخمٍ بالسيوف مشهّرات

فلما اصبحوا ظهرت جيوش اليمن فقدم كليب على كل قبيلة قايدًا قدّم على بنى ذهل وبنى شيبان مرّة بن ذهل ابا جسّاس وعلى بنى ربيعة ذهل بن حارثة وعلى بنى قيس طرفة بن العبد ونزل كليبٌ ممن معهُ على النهر فلما اقبل الملك رأوا اعلامهُ وجنودهُ فقام كليب وركض فى ميمنة القوم وميسرتهم وهو يحرّضهم على القتال وقام بعدهُ همام بن مرّة والسفّاح بن خالد والأشوَس العبدىّ ومسعود بن عبد القيس وعمرو بن عثمان والحرث بن عبّاد وجعلوا يحثّونهم على الصبر والثبات ويحذّرونهم سوء العاقبة وبينما هم كذلك اقبل الملك بمواكبهِ وجنودهِ وقد ملأ الفضآء وسدّ الوادى واحاطت عساكرهُ بكليب وقومهِ فعند ذلك صاح كليبٌ باعلى صوتهِ وقال يامعاشر نزار كونوا اليوم اعوانًا على كشف العار فقد انتكم ملوك اليمن تريد قتلكم ونهب اموالكم وسبى نسآيكم فاياكم والجزع فلعبت بالقوم نخوة الجاهلية وشدّدوا عزايمهم ووطّنوا انفسهم على الموت وناروا الى خيلهم وسلاحهم والتقوا بقبايل اليمن فاقتتلوا قتالًا شديدا وابلى كليبٌ فى ذلك اليوم بلآءً عظيمًا فكان لا يبارز فارسًا منهم الا قتلهُ وما زالوا يومهم فى اشدّ كفاحٍ حتى دفعت نزار حمير عن النهر ثلثة امبالٍ وباتوا تلك الليلة يتحارسون ثم تصابحوا فى اليوم الثانى فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل وقد كثر القتل والجراح ممن

الحيّين ثم تعاودوا فى اليوم الثالث فتطاعنوا بالرماح ثم تجالدوا بالسيوف وصَمَدت مضر وعبد القيس لمذحج واقبل الافوه جريحًا حتى لحق بقومهِ وصابرت همذان الى المسآء وحامت عن احسابها وثبتت قضاعة فى عشايرها فقتلت بُجَير الشيبانى فى جماعةٍ من قومهِ ثم تعاودوا فى اليوم الرابع وكان يومًا عظيمًا كثر فيهِ القتل والجراح وهلكت اكابر اليمن وكثيرٌ من سادة نزار وقُتِل عمرو بن مطاع الهمذانى واخوهُ حسّان فى وجوه همذان وشدَّ كليبٌ بتغلب على حمير وقد صابرت على الموت وكثر القتل فيها واسر سبعةٌ من اقيالها فانهزمت وقد قتلت ربيعة منها خلقًا كثيرًا وفى ذلك يقول كليب

لقد عَرَفت قحطان صبرى ونجدتى غداة حزاز والحتوف دوان
غداة شفيت النفس من حىّ حمْيَرٍ واورثتها ذلًّا بصدق طعانِ
زلفت اليهم بالصفايح والقنا على كل ليث من بنى غَطَفانِ
وائل قد جدَّت مقادم يعربٍ فصدَّقها فى فخرها الثَقَلانِ

ولما رجع الأغرّ الأَوَدىّ الى ابنتهِ قالت اين اخوتى فقال قتلوا جميعًا قالت فابن الملوك قال قُتِلوا كذلك قالت فاين الاقيال من حمير قال كم اسارى فى حوف كليب قالت فاين حقك ونصيبك قال هذه الجراحات وانشأ يقول

لما رات بشرى تغيّر لونهُ من بعد بهجتهِ فاقبل احمرا
الوت باصبعها وقالت انما يكفيك مما لا ارى ما قد ارى
عولى لمذحج عاودوا لدحولكم لو لم تجيبوا دعوتى خُلتَ الصَرى

كان الخمار يمانيًا متقحطنًا فاراهُ اصبح شاميًا مستنزرا
ما خير حميرَ ان تسلّم مذحجًا او خير مذحج ان تسلّم حميرا

فاجابهُ مرّة بن ذهل الشيبانى يقول

شَفَتِ النفوس سيوفنا من مذحجٍ والحىّ همذانٍ وذروة حميرا
فالقوم بين مُجدَّلٍ ومصفَّدٍ بالقيد يختار النوارى بالثرى
ما انصفت احكامكم فاستنصفت منها الاسنة والسيوف بلا افترا

وكان ممن قتل فى تلك الوقايع الملك صهبان بن محرث وانتصرت نزار على قبايل اليمن ورجعت ظافرةً غانمة وانتشر ذكر كليب بن ربيعة وارتفع شانهُ ووقعت هيبتهُ فى قلوب العرب وتواردت اليهِ التهانى من كل جانبٍ وانفرد بالرياسة فى نزار ودانت له جميع القبايل وكان ذلك سنة اربعماية واحدى وثمانين للمسيح انتهى

فصل

فى حرب البسوس بين بنى بكر وتغلب

كان كليب بن ربيعة قد استطال على العرب بعد انفصال نوبة اليمن وعقدت لهُ نزار ولاتها وفوّضت اليهِ امرها بعد ابيهِ وكان عزيز النفس شجاعًا مهيبًا ولهُ ثلثة اخوة وهم امرُ القيس وعبد الله وعدىٌّ الملقّب بالمهلهل لُقِّبَ بذلك لرقّة شعرهِ من قولهم ثوبٌ مهلهل اذا كان رقيق النسج وقيل بل لقب بذلك لقولهِ

لما توغّل فى الكراع هجمنهم هلهلت أنأرْ مالكا اومسلا

وكانت بنو جُشَم رهط كليب من تغلب وهى الاراقم وكان لمرَّة بن ذهل عشرة اولاد منهم همَّام وهو اكبرهم وكان سيد بكر وفارسها بعد ابيه وعمرو وهو الملقَّب بجسَّاس وكان فارس شيبان ومفتاح الفتنة العظمى بين بكر وتغلب ومنهم ثعلبة ونضلة والحرث وجندب وشيبان وذُوَيب ونهشل وُبَجَير وكانوا فرسان وائل واشرافها وكانت الجليلة بنت مرَّة تحت كليب واختها ماوية بنت مرة تحت اخيه المهلهل وكانت دارهم ببطن شبيب مما يلى تهامة ولما عظم شان كليب بغى على قومه فصار يحمى عليهم المراعى ويجير الوحش فلا يُصَاد وكان قد حمى ارض العالية كما مرَّ فى ترجمتهِ فكان لا يدنو احدٌ من حماهُ حتى ضُرب بهِ المثل فيقال امنع من حمى كليب وكان كليب لا يزال يطوف بهذا الحمى فراى فيهِ ذات يوم قنبرةً على بيض لها فلما راته طارت فابتعد عنها كرمًا حتى عادت الى بيضها وانشا يقول

يالك من قنبرةٍ بمحجـــرِ خلالكِ الجوَّ فبيضِى واصفرى
ونقّرى ما شئتِ ان تنقّرى لا ترهبى خوفًا ولا تستنكرى
عانت جارى من صروف الحَذَرِ الى بلوغ يومـك المقـدَّرِ

وكان رجلٌ من جَرْم يقال لهُ سعد بن شمر بن قدامة قد نزل باهلهِ وماله على جساس وابيهِ واخوتهِ آل مرَّة بن ذهل بن شيبان وكان من اخوال جساس فاقام مع الهالة ام جسَّاس واختها الهيلة ابنتى منقذ التميمى من سعد مناة بن تميم وكانت الهيلة تُلَّقب بالبسوس

فلما نزل الجرميّ بآل مرّة جاورها وكان له ناقةٌ يقول لها سراب فخرجت مع ابل جسّاس ترعى فى حمى كليب وكان كليب لا ياذن فى دخول الحمى الا لإبِل اولاد مرّة لما بينهم من المصاهرة ولما طافت الناقة بالحمى وطئت عشّ تلك القنبرة فشدخت ما فيه من البيض ووافق ذلك دخول كليب الى الحمى فرأى ذلك ولم يعرف الناقة فنادى بجسّاس وسالهُ عن خبرها فاعلمهُ بها فقال كليبٌ أَولَى لها ثم أَولَى والله لقد هممت بقتلها فلا تَعُد هذه الناقة فى هذا الحمى ابدًا بعد اليوم فظنّ جساس انه قال ذلك ليخرج ابلهُ من الحمى فقال بالله لتعودَنّ مرّةً بعد مرّةٍ ولا تضع ابلى رؤوسها الا وهى معها قال كليب وانصاب وايل لئن عادت لأَ ضَعَنّ سهمى فى ضرعها وانشا يقول

انى وربّ القمر المنـــــيرِ والحجر الاسود ذى الســـــترِ
لئن رَعَت فى البلد الحجورِ وافزعت جارى من الطيورِ
لاهتكنّ الضرع بالمطرورِ

فاجابهُ جساس يقول

انى وربّ الشاعـــــر الغرورِ وباعث الموتـــى من القبورِ
وعالم المكنون فى الضمـــيرِ ان رمت منها معقر الجزورِ
لَاثْبَتَنّ وثبة المُغِـــــــيرِ الذيب اوذى اللبدة الهصورِ
بصارمٍ ذى فَنَنٍ مشهورِ

فانصرف كليب الى اهلهِ مغضبًا حتى دخل على امراته الجليلة اخت جساس فعرفت الغيظ فى وجهه وقالت يا ابن العم ما اغاظك قال

ويحك اترين احدًا من العرب مانعًا مني جارًا قالت لا اعلم الا ان يكون العمّ او بنيهِ تعني اباها واخوتها فقال كليب

قد قال والقول هذارٌ زاهقْ الا لمن كانت لهُ حقائقْ

فاتّصل قولهُ بجسّاس فاجابهُ يقول!

عند الزحام تُحمَد السوابقْ وفي الوعيد تُعرَف الحقائق

والناس منهم كاذبٌ وصادقْ

فلما بلغ قولهُ كليبًا خرج الى الحمي مغضبًا لا يلوى على احدٍ وتبعهُ اخوهُ المهلهل وقد علم بما كان من امره وامر جسّاس فوعظهُ وعظّم عليهِ الصهر والقرابة فاستشاط كليب وقال انما انت زير نساء والله لَئِن قُتِلت انى اخاف ان لا تطلب دمي فانشا المهلهل يقول

اخٌ وحريمٌ سَبِيٌّ ان قطعتهُ وسنّة عزمٍ هدمها لك هادمْ

وقفت على ثِنتين احداهما دمٌ واخرى بها منا تُحَزّ الغلاصمْ

فما انت الا بين هاتين غائصٌ وكلتاهما بحرٌ وذو الغيّ نادمْ

وكل حميمٍ او اخٍ ذي قرابةٍ لك اليوم حتى اخر الدهر لائمْ

فأخّرْ فان الشرّ يحسن آخرا وقَدِّم فان الحرّ للغيظ كاظمْ

ففكر كليبٌ في امرهِ عند ذلك وعاد الى ابياتهِ وخرجت الجليلة حتى دخلت على جسّاس ولامتهُ في ما فعل فقال تبًّا لكِ ياجليلة انعدليني في منع حاري ان فعل ولم اقتلهُ فامّي مثل امّهِ وكانت ام كليب امة قالت إذَن يسلّمك قومك ويخذلك ابوك قال وان

خُذِلتْ قالت لأظنّك شرَّ مولودٍ في وائل قال نعم ان لم امنع جاري فان منعتهُ فخيرِ مولودٍ من مَنَع من كُلَيبٍ فذهَبَت مثلاً فخرجت الجليلة مغضبةَ وقالت تَعِسَ جسّاس فسالها كليب عن شانها واين خرجت فقالت خرجت لحاجتي فالحّ عليها حتى اعلمتهُ واتّصل بهِ قول جسّاس ان فعل ولم اقتلهُ فامي مثل امّهِ فخرج الى الحمى وترك قول المهلهل ورصد على الماء حتى وردت الابل وكانت سراب ناقة البسوس قد عُقِلَت خوف الفتنة فلا ترد الماء فلما مرّت بها ابل كليب عركت العقال وتصرّعت فيهِ حتى حلّتهُ وتبعت ابل كليبٍ لِمَا عَلِم الله ولم تكن ابلٌ ترد الماء مع ابل كليب حتى تصدر فسارت الناقة حتى اختلطت بالابل ولا علم لاهلها بشيء فلما وردت الماء عرفها كليبٌ وظنّ ان جسّاسًا اطلقها كيدا لهُ فاتّبعها لما صدرت وتَعدّت الطريق حتى دخلت الحمى وهو يتلوها فرعت من شجرة القنبرة التي اهلكت اولادها اول مرّةٍ عن عشٍ قد عملتهُ ثانيًا لافراخٍ فيهِ فأنفَ كليبٌ عند ذلك وغضب ورماها بسهم معتمدًا فاصاب ضرعها وردّت الناقة راسها الى مناخها مذعورة يشخب ضرعها دما ولبنا حتى انتهت الى مكانها بفناء البسوس ولها عجيج ورغاء شديدٌ واسمعها كليبٌ نظرهُ بعد ان رماها وانشأ يقول

ياطيرة بين نبات اخضرِ جاءت عليها ناقة بمنكرِ
انكِ في حمى كليب الازهرِ حميته من مدجٍ وحميرِ
فكيف لا امنعهُ من معشري

ولما سمعت البسوس عجيج الناقة طرحت خمارها واقبلت اليها مسرعةً واذا السهم معتدلٌ فى ضرعها وطرفاهُ بارزان من جانبيهِ وعيناها تبتدران دموعًا واخلافها تشخب دمًا ولبنًا فصكّت وجهها وصاحت واجوار جسّاس واجوار همّام واجوار مرّة واجوار بنى ذهل بن شيبان فاندرت اليها رجال الحىّ واقبل جارها الجرمىّ صاحب الناقة ورأى ما حلّ بها فصاح بالويل والثبور وكان قد اشرك البسوس فيها واقبل جسّاس على فرسهِ فقال ما دهاكِ ياخالة قالت هذا الباغى الذى حمى عليكم الماء والكلأ وسامكم الخسف عقر سراب وقلدكم بها قلايد الجوارى لا بنتثر نظامها ولا ينقص تمامها ثم جعلت تعنّف فى مرة وتقول

لعمرىَ لو اصبحت فى دار منقرٍ لما ضِيمَ سعدٌ وهو جارٌ لابياتى
ولكننى اصبحت فى دار غربةٍ متى يعدُ فيها الذيب يعدُ على شاتى
فيا سعدُ لا تغرر بنفسك وارتحل فانك فى قومٍ عن الجار اموات
ودونك اذوادى اليك فاننى محاذرةٌ ان يغدروا ببنيّاتى
وسر نحو جرم ان جرمًا اعزّةٌ ولا تك فينا لاهيًا بين نُسوات

ولما انشدت البسوس هذه الابيات اوغرت صدور القوم وكانت العرب تسمى ابياتها هذه بالمؤنبات وأنف لذلك جسّاسٌ واخوتهُ وازدادوا عصبا وحميّة واقبل جسّاس على خالته وسكّن روعها وقال اقصرى باحالناة فسنبفتل غدا حبلٌ اعظم من ناقتك فسكتت وكان لكليب نعمٌ من كرام الابل يقال لهُ عُلَبّان فلما بلغهُ قول جسّاس ظنّ انهُ

يريد ان يعقر ذلك البعير فقال ما يتمنّى جسّاسٌ عُلَيّان ودون عقرهِ
خرط القتاد فى الليلة الظلماء ولما ماتت ناقة الجرميّ انشا يقول

جسّاسُ اين العهد والولاء جسّاسُ من شيمتك الوفاء
ليس انتهار الجار والجلاء كمنعهِ عمّا بهِ يُسَاء
تبًّا لمن قالَ هما سواء

فقام جساس الى خالتهِ وجارها واقتطع لهما من ابلهِ قطيعًا يرضيهما وكان كليب قد استطال لما عقر الناقة وانشا يقول فى ذلك

ستعلم آل مرّة حين اضحت بان حمای ليس بمستباحِ
وان لقاح جارهِمِ ستغدو على الاقوام غدوة كالرواحِ
وتضحى بينهم لحمًا عبيطًا يقسّمهُ المقسّم بالقداحِ
وظنّوا اننى بالخير اولى وانى كنت اولى بالنجاحِ
اذا عجّت وقد جاشت عقيرًا تَبيّنَتِ المراضُ من الصحاحِ
وما يُسرَى اليدين اذا أضرّت بها اليُمنَى بمدركة الفلاحِ
بنى ذهل بن شيبان خذوها فما فى ضَرْبَتِيهَا من جُنَاحِ

فلما بلغ جسّاسًا قول كليب انشا يقول

انما جارى لعمرى فاعلموا ادنى عيالى
وارى للجار حقًّا كيمينى من شمالى
وارى ناقة جارى فاعلموا مثلَ جمالى
انما ناقة جارى فى جوارى وظلالى
ان للجار علينا دفع ضيم بالعوالى

فأقِلّى اللومَ مهـــلاً دون عرض الجار مالى
سَأُؤدّى حـقّ جارى ويدى رهنٌ فعـــالى
أوّ أرَى الموتَ فيبقى لُؤمهُ عند رجـــالى

واقام جسّاس بعد ذلك يتوقع خروج كليب الى الحمى حتى بلغهُ انهُ قد ركب اليهِ فخرج فى طلبهِ وتبعهُ عمرو بن الحرث لينهاه عن التعرض لكليب فركض جسّاس وعمروٌ فى اثرهِ حتى دنا من كليب وقد دخل الحمى فسمع كليب وقع الفرسين وكان لا يلتفت الى اقلّ من اربعين فارسًا لجرآتهِ ولا يبالى بما دون ذلك فاقتحمهُ جسّاس وعمروٌ يناشدهُ الله ان لا يفعل فلم يسمع لهُ وعرف كليبٌ هجوم جسّاس فقال يا ابن عمى قد علمت ما آليتُ بهِ على نفسى فان كنت من رجالى فأتِنى من قدامى فقال جساس وددت ان اقتلك ولا اراك مدبرا فكيف مقبلاً ثم وضع سنانهُ فى صلبهِ فصرعهُ ووقع كليب يغمص الارض برجله ونادى يا جسّاس اغثنى بشربة مآء قبل الموت قال هيهات تجاوزت شُبَيثًا والأحَصّ يريد منهلين كانا لهم من المآء فذهب تولهُ مثلاً واراد عمرو بن الحرث ان يسقى كليبًا فمنعهُ جساسٌ ثم وقف جساسٌ على راس كليب وانشا يقول

أبجارنا تبغى كليب سفاهـــة فاذهب بها نجلاء من جسّاسِ
قد رمت امرا كنت تضعف دونهُ صعب المراقى ذاهبًا فى النـــاسِ
سُقيت كاسا للمنيّـــة مـــرّة فاشرب هديتَ من المَنون بكاس
واعلم دانًا لا تستـم حارنـــا فِعل اللئيم به ولا الانكـــاس

ولَنَحْنُ اصبر فى المواطن واللقا فى كل يوم حفيظـــــةٍ ومراسِ
نحمى الذمار فلا يُرَام جنابنـــا ونذبُّ عنـــــهُ ذوايب الابلاس
اعقرت ناقـــة جارنا وزعمت ان تبقى لها بحماقـــــةٍ ومكاسِ
وسنان رمحى كالشهاب أُدِيـــرُهُ بيدى اغرّ مهـــذَّبٍ ذى باسِ
ارويتهُ منك الغداة بطعنـــــةٍ من بعد طول تجَهُّمٍ وعـــباسِ

وانصرف جسّاس وابن عمهِ عمرو بن الحرث عن كليب وتركاهُ مُجدَّلاً يجود بنفسهِ واقبل الرعاة بعد ذلك فكانوا كلما نظروا كليبًا على تلك الحال يهربون عنه وكليب يشير اليهم بيدهِ ان يسقوهُ فلم يسقهِ احدٌ منهم حتى مات وكان ذلك سنة اربعماية وتسعين للمسيح هذا وان جسّاسًا لما انصرف هو وابن عمهِ عمرو بن الحرث الى اهلهما يركضان كان مرة بن ذهل ابو جسّاس فى نادى قومهِ فنظر الى جساس يركض وقد بدت ركبتاهُ وكان فيهما بياضٌ من اثر السرج فقال لمن حولهُ ان لهذا الفارس شانًا وانى لَأَظُنُّهُ جسّاسًا فان يكن كذلك فقد جآءكم بالداهية العظمى التى تذلّ لها رقاب وايل قالوا من اين عرفت ذلك قال اراه قد بدت ركبتاهُ ولم يفعلها منذ ركب الخيل فلما انتهى اليهم قال ابوهُ ما ورآءك ياجسّاس قال شرٌّ عظيمٌ والله لقد طعنت اليوم طعنةً ترقص لها عجايز وائل قال وما هى لأمّك الويل قتلت كليبًا قال اى وانصاب وايل واىّ قتلٍ قال إذَنْ نسلّمك بجريرتك ونريق دمك فى صلاح العشيرة لا باقتى فيها ولا جملى ولا انا منك ولا انت منى والله لَبِئْسَ ما فعلت غرّقت

جماعتك واطلت حربها وقتلت سيدها ورئسها فى شارفٍ من الابل والله لا تجتمع وايل بعدها ابدًا ولايقوم لها عمادٌ فى العرب فقال لهُ قومهُ لا تقل هذا ولا تفعل فيخذلوهُ واياك فامسك مرَّة وغمس يدهُ مع ابنهِ فى الحرب واستعدَّ لها وانشا جسَّاس يقول

تَأَنَّبْ مثل اهبة ذى كفاحٍ فان الامر جلَّ عن التلاحى
وانى قد جنيت عليك حربًا تُغِصُّ الشيخ بالمآء القراحِ
مذكّرةٌ متى ما تضع منها تشبّ لها باخرى غير صاحِ
نسعّر نارها وهجًا وجآءت اذا خمدت كنيران الفصاحِ
وما تنفكُّ نايحةٌ تعزّى لما نَدَبت وتعلن بالنواحِ
نعَدَّت تغلبٌ ظلمًا علينا بلاجرم يُعَدُّ ولا جناحِ
سوى كلب عوى فى بطن قاعٍ ليمنع حميةَ القاع المُبَاحِ
فلمّا ان رأينا واستَبَنَّا عقاب البغى رافعة الجناحِ
صرعت اليهِ نحسا يوم سوء لهُ كاسٌ من الموت المُتَاحِ
تُشكّل دانيات البغى قومًا وتدعو آخرين الى الصلاحِ
ذريني قد طَرِبتُ وحانَ منى طراد الخيل عارضة الرماحِ
وما لى همَّةٌ ارجو اخاها سوى الخطّىّ والفرس الوقاحِ

فاجابهُ ابوهُ مرة من ذهل يقول

لئن تلكَ يابنىَّ جنيت حربًا فلا وَكِلٌ ولا رِثٌّ السلاح
ولكنى الى العلّات اجرى الى الموت الحيط مع الصباحِ
وانى حين تشتجر العوالى اعيد الرمح فى اثر الجراحِ

شديد الباس ليس بذى عيآه ولكنى أبُوء الى الفـــلاحِ
سَأَلبِسُ ثوبها واذبُّ عنهـــا باطراف العوالى والصـــفاحِ
فما يبقى لعزّتـــه ذليـــلٌ فيمنعهُ من القَدَر المُتَـــاحِ
واجمل من حيوة الذل موتٌ وبعض العار لا يحوهُ مـــاحِ

ثم قال مرّة لبنيهِ اظعنوا بنا عن مجاورة القوم حتى ننظر ما يصنعون فظعنوا وكان همّام بن مرّة اخو جسّاس والمهلهل بن ربيعة اخو كليب متنادمين متصاحبين على اللهو والشراب لا يكتم احدهما عن صاحبهِ شيًا ولا تطيب نفسهُ بالانفراد عنهُ فلما ظعن مرّة باهلهِ ارسل الى ابنه همام فرسهُ مع الجارية وامرهُ ان يظعن ويلحق اهلهُ فلما انتهت الجارية بالفرس اليهما وهما معتزلان فى جانب الحى وثب همّام اليها وقال ما دهاكِ قالت شرٌّ طويلٌ قَتَل جساس كليبًا وقد ظعن ابوك واخوتك وارسلوا اليك الفرس لتلحق بهم فاخذ همام الفرس وربطهُ الى خيمتهِ ورجع الى مهلهل فقال مهلهل ما شان الجارية والفرس وما بالك متغيرًا قال اشرب ودع عنك الباطل قال وما ذلك قال زعمت ان جساسًا قتل كليبًا اخاك فضحك وقال يد جساس اقصر من ذلك ولكن اليوم خمرٌ وغدًا امرٌ فذهبت مثلا ثم اقبلا على شرابهما فجعل مهلهل يشرب شرب الآمن وهمام يشرب شرب الخايف فلما سكر المهلهل ركب همام ولحق باهلهِ فى اليمن وشاع قتل كليبِ فى الحىّ وقامت عليهِ النوايح وخرجت العواتق من الخدور وصكت عليهِ الوجوه وشقّـــت الجيوب

ورجع المهلهل بن ربيعة الى قومهِ سكران وهم يعقرون خيولهم ويكسرون رماحهم وسيوفهم فقال ويحكم ما الذى دهاكم فلما اخبروهُ الخبر قال لقد ذهبتم شرَّ مذهبٍ اتعقرون خيلكم حين احتجتم اليها وتكسرون سلاحكم حين افتقرتم اليهِ فانتهوا عن ذلك ورجع الى النسآء فنهاهنَّ عن البكآء وقال استبقين للبكآء عيونًا تبكى الى اخر الابد فظنَّ قومه ان ذلك على وجه السكر لانه لم يكن يُعرَف بالشجاعة فى الحرب وكان كليب قد كفاهُ الحروب والغزوات وكان يسمّيهِ ربيع النسآء اى جليسهنَّ لانه كان صاحب لهوٍ ونسآء وكان اصبح اهل زمانهِ وجهًا وافصحهم لسانًا وارقّهم شعرًا وحديثًا وبلغ الخبر الحرث بن عباد من بنى عكانة بن صعب بن علىّ بن بكر بن وايل وكان من اشدّ العرب باسًا ونجدةً فقال لا ناقتى فيها ولا جملى واعتزل بقومهِ بنى قيس بن ثعلبة ورجع المهلهل يومه الى شرابهِ وهو يقول

دعينى فما فى اليوم مَعجًى لشاربٍ ولا فى غدٍ ما اقرب اليوم من غدِ
دعينى فانى فى سمابر سكرةٍ بها جلَّ همّى واستبان تجلّدى
فان يطلع الصبح المنير فاننى ساغدو الهُوَينا غير وانٍ مفرّدِ
وأُصبح بكرًا غارةَ صيلميَّـــةً ينال لظاها كل شيخٍ وامردِ

ولما ناحت النسآء على كليب وخمشن الوجوه ونشرن الشعور خرجت البهنَّ الجليلة بنت مرّة امرأة كليب تبكى معهنَّ فقلن لها ابعدى منا فانك شامتة وقد حرَّضتِ اخاكِ على قتل سيدنا فخرجت حتى لحقت باهلها وانشأت تقول

يااابنة الاقوام ان لمتِ فلا تجلى باللوم حتى تسألى
فاذا انتِ تبيَّنتِ التـــى عندها اللوم فلومى واعذلى
جلَّ عندى فعل جسَّاس بنا غمَّةٌ للدهر ليست تنجلى
فِعلُ جسَّاسٍ وما جآء بـــهِ قاطعٌ ظهرى ومُدنٍ أُجَلى
ياقتيلاً هدم الدهرُ بـــهِ سقف بيتَىَّ جميعًا من عَلِ
هدم البيت الذى استحدثتهُ وبدا فى هدم بيتى الاولِ

ولما اصبح المهلهل غدا الى اخيهِ فدفنهُ وقام على قبرهِ يرثيهِ ويقول

اهاج قذآء عينـــى الآذِكارُ هُدُّوا فالدموع لها انحدارُ
وصار الليل مشتملاً علينا كأنَّ الليل ليس لـــهُ نهارُ
ارقت ونامت الشعرآء عنى وللباقين بعدُ بنا اعتبارُ
وبتُّ اراقب الجوزآء حتـــى تقارب من اوايلها انحدارُ
اصرِّف مقلتـــى فى اثرِ قومٍ تباينت البلاد بهم فغاروا
وابكى والنجوم مطلَّعـــاتٌ الى ان تحْوِها عنى البحارُ
على من لو نُعِيتُ وكان حيًّا لقاد الخيل يحجبها الغبـــارُ
دعوتك يا كليبُ فلم تجبنى وكيف يجيبنى البلد القفارُ
أَجِبنى يا كليب خلاك ذمٌّ ضنينات النفوس لها مدارُ
اجبنى يا كليب خلاك ذمٌّ لقد فُجِعَت بفارسهـــا نزارُ
سقاك الغيث انك كنت غيثًا ويسرا حين يُلتَمس اليسارُ
أَبَت عيناى بعدك ان تكفَّا كأنَّ قِذَى القتاد لها شفارُ
وانك كنت تحلم عن رجال ونعفـــو عنهُم ولك اقتدارُ

وتمنع ان يمسّهُمْ لسانٌ مخافةَ من يجير ولا يُجَارُ
وكنت اعدُّ قربى منك ربحًا اذا ما عدَّت الربح التجارُ
فلا تبعد فكلٌّ سوف يلقى شَعُوبًا يستدير بها المدارُ
يعيش المرءُ عند بنى ابيهِ ويوشك ان يصير بحيث صاروا
ارى طول الحيوة وقد تولّى كما قد يُسلَب الشيء المُعَارُ
كانى اذ نعى الناعى كليبًا تطاير بين جنبَىَّ الشرارُ
فدرت وقد غشى بصرى عليهِ كما دارت بشاربها العقارُ
سألت الحىَّ اين دفنتموهُ فقالوا لى بسفح الحىّ دارُ
فسرت اليهِ من بلدى حثيثًا وطار النوم وامتنع القرارُ
وحادت ناقتى عن ظل قبرٍ ثوى فيهِ المكارم والفخارُ
لدى اوطان أروَعَ لم يشنهُ ولم يحدث لهُ فى الناس عارُ
ذُكِرتَ فخفتُ ايامًا طوالا يخالطهنَّ آفاتٌ كبارُ
اتغدو يا كليب معى اذا ما جبان القوم انجاهُ الفرارُ
اتغدو يا كليب معى اذا ما فسيل القوم شطَّ بهِ المزارُ
اتغدو يا كليب معى اذا ما حلوق القوم يشحذها الشفارُ
اقول لتعلبٍ والعزُّ فيها اثيروها لذلكمُ انتصارُ
تتابع اخوتى ومضوا لامرٍ عليهِ تتابع القوم الحسارُ
خذ العهد الاكيد علىَّ عمرى اتركى كلَّ ما حَوَتِ الديارُ
وهجرى العانيات وشرب كاس ولبسى جبَّةَ لا تستعارُ
ولست بحالع درعى وسيفى الى ان يخلع الليل النهارُ

والّا ان تبيد سراة بكرٍ فلا يبقىٰ لهـا ابدًا إثارُ

فاجابهُ جساس بن مرة يقول

الا أبلِغ مهلهل ما لدينا فادمعنا كادمعـهِ غزارُ
بكينا وايل الباغى علينا وشرّ العيش ما فيهِ الغيارُ
ونحن مع المنايا كلَّ يومٍ ولا ينجى من الموت الفرارُ
وكلٌّ قد لقى ما قد لقينا وكلٌّ ليس منهُ لهُ اصطبارُ

وقال المهلهل يرثى اخاهُ ايضًا من ابياتٍ

كُلَيبُ لا خيرٍ فى الدينا ومن فيها ان انت خلّيتها فى من يخلّيها
كليب ايّ فتى عزٍّ ومكرمـةٍ تحت الصفاة التى يعلوك سانيها
نعى النُعَاة كليبًا لى فقلت لهم مادت بنا الارض ام مادت رواسيها
ليت السمآء على من تحتها وقعت وحالت الارض فانجابت بمن فيها
الناحر الكُوم ما ينفكّ يطعمهـا والواهب المِئة الحمرا براعيهـا
الحلم والجود كانا من طبايعهِ ما كل آلآئهِ ياقوم نحصيهـا
اصحت منازل بالسلّان قد دُرِسَت تبكى كليبًا ولم تفزع افاصيها
قد كان يصبحها شعوآء مشعلـةً تحت العجاجة معقودًا نواصيها
من خيل تغلب ما تلقى اسنّتها الا وقد خضبتها من اعادبها
كليب ايّ فتى زينٍ ومكرمةٍ تقود خيلاً الى خبـلٍ تلاقيها
تكون اولها فى حين كرّتها وانت بالكرّ يوم الكرّ حاميها
حتى تكسّر شزرًا فى نحورهـمِ زرق الاسنّة اذتروى صواديها
امست وقد اوحشت جردآء بلقعة للوحش منها مقيلٌ فى مراعيها

ينفرن عن امّ هامات الرجال بها والحرب يفترس الاقران صاليها
يارُبَّ يومٍ يكون الناس فى رَهَجٍ به جعلت على نفسى مكاويها
مستقدمًا غصصًا للحرب مقتحما نارًا اهيّجها حينًا واطفيها
لا اصلح الله منا من يصالحكم حتى يصالح ذيب المعز راعيها

فاجابهُ جساس بن مرة يقول

أبلغ مهلهل عن بكرٍ مغلغلةً مَنّتك نفسك من غىٍّ امانيها
تبكى كليبًا وقد شالت نعامتهُ حقًا وتضمر اشياءً ترجّيها
فاصبر لبكرٍ فان الحرب قد لقحت وعَزِّ نفسك عمّن لا يواليها
فقد قتلنا كليبًا لم نُبَال بهِ بناب جارٍ ودون القتل يكفيها
نحمى الذمار ونحمى كل ارملة حقًا وندفع عنها من يعاديها

وقال المهلهل يرثى اخاهُ ايضا

ان تحت الاحجار حزمًا وعزمًا وقتيلاً من الاراقم كهلا
قتلتهُ ذهلٌ فلست مراضٍ او نبيد الحيَّين قيسًا وذهلا
ويُطير الحريق منا شرارًا فينال الشرار بكرًا وعجلا
قد قتلنا به ولا نار فيهِ اِ تعمَّ السيوف شيبان قتلا
ذهب الصلح او تردُّوا كليبًا او تحلُّوا على الحكومة حلَّا
ذهب الصلح او تردُّوا كليبا او أُذِيق الغداة شيبان ثكلا
ذهب الصلح او تردُّوا كليبًا او تنال العداة هونًا وذلَّا
ذهب الصلح او تردّوا كليبًا او تذوقوا الوبال وِردًا ونهلا
ذهب الصلح او تردُّوا كليبا او تبلوا عن الخلايل عرلا

اوارى القتل قد تقاضى رجالا لم يميلوا عن السفاهة جهلا
ان تحت الاجار والترب منهُ لدنينًا علا علاه وجـــلّا
عزَّ والله يا كليب علينا ان ترى هامتي دهانًا وكحلا

وما زال المهلهل يبكي اخاهُ ويندبهُ ويرثيهِ بالاشعار ولا يفعل شيًا سوى الوعيد في اشعارهِ حتى يَئِس قومه منهُ وقالوا انهُ زير النسآء وسخرت منه بكر وقالوا انما المهلهل نايحةٌ ليس عندهُ خيرٌ ولا شرٌ وهمَّ آل مرَّة بالرجوع الى الحمى وبلغ المهلهل ذلك فانتبه للحرب وشمَّر ذراعيهِ وتوسَّط نادي قومه وآلَى على نفسهِ ان لا يقرب النسآء ولا يشمَّ الطيب ولا يشرب الخمر حتى يقتل بكل عضوٍ من كليب رجلاً من بني بكر بن وايل فقال لهُ اكابر قومهِ اننا نرى ان لا تعجل بالحرب حتى نُعذَر الى اخواننا فبالله ما تجدع بحرب قومك الا انفك ولا تقطع الا كفك فقال جدَعهُ الله انفًا وقطعها كفًا والله لا تحدَّثَت نسآء تغلب اني اكلت لكليبِ ثمنًا ولا اخذت لهُ دِيَةً فقالوا لهُ لا بد ان تغضَّ طرفك وتخفض جناحك لنا ولهم فكره المهلهل ان يخالفهم فيغضبوا عليهِ وقال دونكم ما اردتم فانطلقوا في جماعة من اشراف تغلب حتى دخلوا على مرة بن ذهل وجماعة قومهِ واولادهِ فقالوا ياقوم قد جنيتم امرًا عظيمًا وقتلتم رئسنا ورئسكم في نابِ من الابل وقطعتم الرحم والحرمة بيننا وبينكم ونحن نكره العجلة عليكم دون الاعذار واننا نعرض عليكم احدى ثلث لكم فيها مخرجٌ ولنا مرضاةٌ قال مرة وما هي قالوا تدفعون الينا حسّاسا

قاتل كليبٍ فليقتلهُ بهِ فانهُ لا يُوتِر قومٌ قتلوا قاتل صاحبهم
او تدفعون الينا اخاهُ همّامًا فانهُ ندٌّ لكليب او تُفِيدنا انت من
نفسك يامرّة فانك رِضىً للقوم فقال لهم مرّة اما جسّاسٌ فغلامٌ
مايقُ طعن طعنةً ثم ركب فرسهُ هاربًا فوالله ما ادري ايّ البلاد
انطوت عليهِ واما همّامٌ فحاله ما قد علمتم وهو ابو عشرة واخو
عشرة وعمّ عشرة وخال عشرة فلا تقيدونهُ بجريرة غيرهِ ولو اردت
ان اقيدهُ كرهوا ذلك ومنعوني ولو قلتها هرّوا في وجهي هرير الكلاب
النوابح واما انا فوالله ما هو الّا ان تجول الخيل جولةً فاكون اول
قتيل لكبري وضعفي ولكني اعرض عليكم غير هذا قالوا وما
ذلك قال اعطيكم الف ناقةٍ سود المُقَل تضمنها لكم بكر ابنة وائل
والّا فهولآء بنيّ فاقتلوا ايّهم شئتم فقال التغلبيون والله ما جئنا
نساومكم بكليب ولا نطلب منكم ثمنهُ اما بنوك هولآء فبنو عمنا
ولا نرضى بكليب جميعهم ولا نطلب الا مثلهُ او دونهُ بقليلٍ ثم
انصرفوا عنه وقد ايقنوا بالحرب والهلَكَة واخبروا المهلهل بذلك فقال
والله ما كان كليب بجزور ناكل لهُ ثمنًا وتعاظمت الامور بين
الحيّين وآذن بعضهم بعضًا بالحرب وغضبت قبايل ربيعة لقتل كليب
وراوا ان بني شيبان قد ظلموهم اذ قتلوهُ في شارفٍ من الابل
فطعنت النمر بن قاسط وعقيل بن قاسط حتى انضمّوا الى تغلب
فصاروا يدا واحدة على بني شيبان واعتزلت عن حرب التغلبيين
قبايل من بكر منها بشكر وعجل وقيس بن ثعلبة وراسها الحرث بن

عباد بن ضبيعة فارس النعامة وكان فارس ربيعة وشاعرها فى زمانهِ وكان من شجاعتهِ اذا دخل بين الصفوف وتمنّى عليهِ قومهُ فارسًا من الاعدآء حمل عليهِ فلم يَعُد حتى ياتيهم بهِ فاعتزل الحرث فى من اطاعهُ من قبايل بكر ونزع سنان رمحهِ ووتر قوسهِ ولما اعتزلت هذه القبايل عن الحرب اتتهم شيبان تستنصرهم فقالوا لهم يابنى شيبان ظلمتم قومكم وقتلتم سيدكم وهدمتم عزكم ونزعتم ملككم فوالله لا نساعدكم على ذلك ابدًا فانصرفوا خايبين ولم يحارب احدٌ منهم مع شيبان حتى اسرف المهلهل فى القتل واما المهلهل فاغار بتغلب الى الذنايب وهى اول وقعةٍ فالتقتهُ شيبان واقتتلوا قتالاً شديدًا وكثر بينهم سفك الدمآء فانهزمت بنو شيبان وكثر القتل فيهم وكان يومًا عبوسًا على القوم واشتهر المهلهل ذلك اليوم بالبأس ووقعت هيبته فى قلوب البكريين وقال فى ذلك

مَن مُبلِغٌ بكرا وآل ابيهِمِ عنى مُغلغلة الردىّ الافعسِ
وقصيدةَ شعثآء باق نورها تبلى الجبال واثرها لم يُطمسِ
اكليبُ ان النارِ بعدك اخمدت ونسيت بعدك طيّبات المجلسِ
اكليب من يحمى العشيرة كلها اومن يكرّ على الخميس الأشوَسِ
من للارامل والنسامى والحمى والسيف والرمح الدقيق الاملسِ
ولقد شفيت النفس من سروانهم بالسيف فى يوم الذنَيب الاغبسِ
ان القنابل اضرمت من جمعنا بوم الذنايب حرّ موت احمسِ

فالانس قد ذلّت لنا وتقاصرت والجنّ من وقع الحديد الملبسِ

وفى هذا اليوم لبس مهلهل لأمتهُ من الدرع والبيضة العاديّة والجوشن وآلى على نفسهِ لا ينزع البيضة عن راسهِ والدرع عن جسدهِ حتى يموت فيلحق بكليبِ اخيهِ ثم اغار المهلهل ثانيةً فكانت بينهم وقعةٌ بجانب اليمن ادار بها رحى الموت على بنى ذهل بن شيبان وقتل فرسانهم مبارزةً ثم كثرت بينهم الوقايع والغارات واشتعلت نار الحرب وكثر بينهم القتل والسبى حتى التقوا يوم عُنَيزة فدنا بعضهم من بعضٍ واشتبك الجمعان فتجالدوا بالسيوف وبرز مهلهل يهدر كالفنيق ويقول واكليباه فتيل الجزور ثم حمل على مرّة بن ذهل وضرب هامتهُ بالسيف فنفذ السيف من البيضة الى دماغهِ وصرعهُ قتيلا وحملت اولادهُ دونهُ فقتل منهم ثلثة وانهزم عنه همّام وجساس ثم اغارت بنو تغلب فالتقوا فى واردات وكان مقدم التغلبيين ناشرة بن اغواث من بنى غنم وهو فارس تغلب وفاتكها وكانت امهُ مولاة لهمّام بن مرّة ولدتهُ فى سنةٍ شديدة مرّ بها همّام حين وضعتهُ وهى تقول للقابلة اقتليهِ فقال لها ويحك لماذا تقتلين ولدك قالت انى اخاف عليهِ الجوع فاستبقاهُ وامر لها بناقة حلوب وجمل ذلول ونشا الغلام حتى بلغ فكان فارسًا من الفرسان المعدودين فى ربيعة ودخل مع قومهِ بنى تغلب فى الحرب فلما كان يوم واردات خرج همّام بن مرة يسقى الناس اللبن فراهُ ناشرة فقصد اليه فقتلهُ فقالت ام ناشرة فى ذلك

ألاَ ضيَّع الايتام طعنة ناشرة أناشِرَ لا زالت يمينك واترة
قتلت رئيس الناس بعد رئيسهم كليبٍ ولم تشكر وانى لشاكرة

وعظمت مصيبة همَّام فى بنى ذهل فحمل عباد بن الجهم اليشكرى على ناشرة فقتلهُ بين الصفَّين وكان بنو يشكر معتزلين الحرب فحمل المهلهل على اليشكرى فقتلهُ وتجالد الحيَّان الى المسآء ثم افترقوا وانصرف المهلهل يقول

لما نعى الناعى كليبًا اظلمت شمس النهار فما تريد طلوعا
فتلوا كليبًا ثم قالوا ارتعوا كذبوا لقد منعوا الجياد رتوعا
كَلَّا وانصابٍ لنا عاديَّةٍ معبودةٍ قد قُطِّعت تقطيعا
حتى ابيد قبيلةً وقبيلةً وقبيلةً وقبيلتين جميعا
وتذوق حتفًا آل بكرٍ كلها ونهدَّ منها سمكها المرفوعا
حتى ترى اوصالهم وجماجمًا منهم عليها الخامعات وقوعا
وترى سباع الطيرِ تنقر اعينًا وتجرُّ اعضآء لهم وضلوعا
والمشرفية لا تعرّج عنهمُ ضربًا يقدُّ مغافرًا ودروعا
والخيل تقتحم الغبار عوابسًا يوم الكريهة ما يردن رجوعا

ومرَّ المهلهل فى طريقه بهمَّام بن مرَّة وهو قتيلٌ وكان صهرهُ ونديمهُ وصفيَّهُ فارتجع لهُ وبكى ثم قال والله ما قُتِل فى وائل بعد كليبٍ احدٌ اعزُّ على منك ولا اعظم فقدا والله لا تجتمع وايل على خير بعدكما ابدًا وقُتِل فى ذلك اليوم عمرو بن السدوس الذهلىّ سيد بنى ذهل عثرت به فرسهُ فادركهُ المارودت بن عمرو التغلبىّ وطعنهُ

فقتلهُ وقتل المهلهل الشعثمين ابني معوية وكانا من سادات بني ذهل وفرسانهم واسر ثعلبة بن عوف والمرقش الاكبر وهو عمرو بن سعد بن مالك فقتل ثعلبة واطلق المرقش فطلب المرقش بدم ثعلبة حتى قتل رجلاً من بني تغلب يقال لهُ عمرو بن عوف وقُتل ذلك اليوم الحرث بن مرة اخو جساس واصاب المهلهل منهم جماعة اسرى وقتلى فحمد بعض ما عنده من الغليل وقال قصيدةَ يذكر فيها اخاه كليبًا وغدر بني شيبان ويحرّض قومهُ على طلب دم كليب وكانت العرب تسمى هذه القصيدة بالداهية وكانوا يتناشدونها اذا ارادوا حربا او محالفة او ضرب قداحٍ واذا ارادوا انشادها اغتسلوا لها وهي القصيدة التي يقول فيها

جارت بنو بكرٍ فلم يعدلوا والمرُّ قد يعرف قصد الطريق
حلّت وكان البغي من وايل في رهط جسّاس ثقال الوسوق
يا ايها الجاني على قومه ما لم يكن كان له بالخليق
خيانةٌ لم يدرِ ما كُنْهَهَا جانٍ ولم يصح لها بالمطيق
كقاذف يوما باجرامهِ في هُوَّةٍ ليس لها من طريق
من شآء ولّى النفس في مَهْمَه ضنكٍ ولكن من له بالمضيق
ان ركوب البحر ما لم يكن ذا مصدرٍ من مهلكات الغريق
اني رئيس الناس والمرتجى العاقد الشدِّ ورتق الفتوق
من عرفت يوم حراري لهُ عليا مُعدٍّ عند اخذ الحقوق
اذ اصلت حمير في جمعها ومذحجٌ كالعارض المستحيق

وجمع همدان لهُ لجبـــةٌ ورايـةٌ تهوِي هوىَّ الانوق
يلمع لمع الطير عقبانها على اواذى لجّ بحرٍ عميق
فاحتـــــلَّ اوزارهمُ ازرهُ برای محمودٍ عليهم شفيق
وقد علتهم للّقـــا هبوةٌ ذات جناحٍ كلهيب الحريق
يقلّد الامر بنو هاجـــرٍ منهم رئسًا كالحسام الفتيق
مضطلعًا بالامر يسمو لـهُ فی يوم لا ينساق حَلقٌ بِرِيق
ذاك وقد عنَّ لهم عارض فی جنح ليلٍ فی سماءٍ بَرُوق
فذاك لا يُدفَى بـــهِ غيرهُ وليس يُلفَى مثلهُ فی فريق
فل لبنی ذُهلٍ يردُّونـــهُ او يصبروا للصيلم الخنفقيق
فقـــد تَروَّوا من دمٍ محرمٍ وانتهكوا حرمتهُ من عقوق
ان آمرًا ضرَّجتمُ ثوبـــه بعاتكٍ من دمهِ كالخلوق
سيّد ساداتٍ اذا ضمَّهـــم معظم امرٍ يوم بُؤس وضيق
لم يَكُ كالسيد فی قومـهِ بل ملكٌ دِينَ له بالحقوق
ان نحن لم نثأر بهِ فاشحذوا شفاركم منا لحزّ الحلوق
ذبحًا كذبح الشاة لا يتّقی ذابحها الا بشحب العروق
اصبح ما بين بنی وائـلٍ منقطع الحبل بعيد الصديق
غدًا نساقی فاعلموا بيننا رماحنا من قانیء كالرحيق
بكل مغوار الضحی فاتـــكٍ شمردلٍ فوق طرفٍ عتيق
ليسَ اخوهُ تاركـــًا وِترهُ وليس عن تطلابكم بالمفيق

فاجابهُ جسّاس من مرة يقول

انّا على ما كان من حادثٍ لم نبدأ القوم بذات العقوق
قد جرّبت تغلبُ ارماحنا بالطعن اذ جاروا وحزّ الحلوق
لم ينههم ذلك عن بغيهم يومًا ولم يعترفوا بالحقوق
واسعروا للحرب نيرانها للظلم فينا باديًا والفسوق
اليس من اردى كليبًا لمن دون كليبٍ منكمُ بالمطيق
من شَرَع العدوان فى وائلٍ اقترف الظلمَ وضنك المضيق
بدأتمْ بالظلم فى قومكم وكنتم مثل العدوّ الحنيق
والظلم حوضٌ ليس يُسقَى بهِ ذو منعةٍ فى كل امرٍ يطيق
فان ابيتم فاركبوها بما فيها من الفتنة ذات البروق

ولما قتل المهلهل بنى بكر يوم واردات حميت لذلك قبايل وائل واسخطهم ما بلغهم من قول المهلهل وتولّى امرهم حينئذٍ الحرث بن همّام بن مرّة وكان شجاعًا كريمًا ونهض سعد بن مالك بن ضبيعة جدّ طرفة بن العبد الشاعر وكان من فرسان ربيعة وجعل يحرّض من اعتزل من قبايل بكر حتى اجتمعوا على حرب تغلب الا الحرث بن عباد فانه لم يزل معتزلاً بقومهِ واهل بيتهِ فاقبل سعد بن مالك يحرّضه على حرب تغلب فلم يجبهُ الحرث الى ذلك ولبث معتزلا بقومهِ عن حرب التغلبيين واتفق بعد ذلك ان ابلاً للحرث صلّت من المراعى فخرج ابنهُ بُجَير فى طلبها وكانت امهُ امة ربيعة بن مرة اخت كليب والمهلهل وكان المهلهل يومئذٍ قد خرج فى كتيبة من نعلب تطلب غرّةً من بنى بكر بن وائل

فصادف بُجَيراً فى بعض الطريق فصاح باصحابه فاخذوا الغلام واتوهُ بهِ ولم يكن خالهُ المهلهل رآهُ قبل ذلك لانهُ ولد بعد قتل خالهِ كليب فلما رآهُ اعجبهُ ما راى من جماله وهيئتهِ فقال لهُ من انت ياغلام قال انا بُجَير بن الحرث بن عباد قال فمن امك قال امُّ الاغرّ بنت ربيعة بن مرة قال فمن خالك قال مهلهل بن ربيعة سيد بنى تغلب فاهوى اليهِ بالرمح فقال الغلام لماذا تقتلنى ولا ذنب لى وقد اعتزل ابى حربكم وكفَّ يدهُ فى من اطاعهُ من قومهِ وكان مع المهلهل امرء القيس بن ابان بن زهير بن جُشَم وهوفارس تغلب وشاعرها بعد المهلهل فقال ويحك يا مهلهل اتريد ان تهلك نفسك وقومك وتعين اعداءك بنى شيبان بالحرث بن عباد وقد علمت مكانهُ فى نزار وبطشهُ فى الحرب وطاعة قومه لهُ وهو لم يتعرض لنا بسوء فخلِّ سبيل الغلام فقال المهلهل ياابن ابان اذا لم اقتل ابن الحرث فمن اقتل والله لا تركتهُ ابدا علينا وعليهم الصبر وعلى نسايناَ ونسآيهم البكآء ثم قام لبُجير بن الحرث فضرب عنقهُ واخذ راسهُ فعلَّقهُ على ناقتهِ ومضت الناقة حتى اتت اهلها فلما راها الحرث بن عباد وراس بجيرٍ معلَّقٌ بها عرف قاتلهُ فقال نفسى الفدآء لقتيلٍ بين قومه واجتمع اليهِ قومهُ وخرجت النسآء صايحاتٍ فاسكتهنَّ الحرث وقال خير مولود فى وايل من اصلح امرها وكفَّ حربها وحبس دمآءها وكان الحرث سيدا شريفا حليمًا وقورًا كريمًا شديد الباس والنجدة فاراد ان يصلح عشيرتهُ

دم ولدهِ حتى بلغهُ ان المهلهل لما قتل بُجَيرًا قال بشسع نعل كليبٍ فغضب الحرث واخذتهُ حميَّةُ الجاهليَّة وبلغ ذلك قومهُ فطرقوهُ ليلًا على خيولهم مستلئمين للحرب وقالوا ارضيت ان يكون ولدك بشسع نعل كليب وهو ليس بدون كليب وانت سيد ربيعة وفارس نزار فقال لا تعجلوا عليَّ فقد ياتي الحديث عن غيرِ اهلهِ وارسل الى مهلهل يقول ان كنت قتلت بجيرًا بخالهِ كليب وطابت نفسك بثارك وقطعت الحرب عن بني عمك فما ارضاني بذلك واطيب نفسي بهِ ونعم القتيل من ارضاك واصلح امرٍ واثل فارسل اليهِ المهلهل انما ولدك بشسع نعل كليب فاصنع ما بدا لك فلما انتهى ذلك الى الحرث قام نهِ الغضب وكانت الجارية حينئذٍ قد سرحت بابلهِ فقال ويحك ردّي جمالك فما لي اليوم من حمل فذهبت مثلًا ونادى في قومهِ بالحرب وانشأ يقول

كل شيءٍ مصيرهُ للزوال غير ربي وصالح الاعمالِ
وترى الناس ينظرون جميعًا ليس فيهم لذاك بعض احتيالِ
هل لامّ الاغرّ تبكي بُجَيرا حبلَ بين الرجال والاموالِ
ولعمري لابكبَنّ بُجَيرًا ما اتى الماء من رؤوس الجبال
لهف نفسي على بُجَير اذا ما جالت الخيل يوم حربٍ عضال
وتساقي الكماة سمًا نقيعا وبدا البيض من قباب الجمال
وسعت كل حرّة الوجه تدعو يا لبكرٍ غرّاء كالتمثالِ
ب بُجَير الخيرات لا صلحَ حتى نملأ السهل من رؤوس الرجال

وتقرّ العيون بعد بكاهـــا حين نسقى الدما صدور العوالى
اصبحت وايلٌ تعجّ من الحر بِ عجيج الجمال بالاثقـالِ
لم اكن من جُناتها عَلِمَ الله وانى لحرّهـــا اليوم صالِ
قد تجنّبت وايلاً كى يفيقوا فأبَت تغلبٌ علىّ اعتزالى
واشابوا ذوّابتى ببُجَـــير قتلوهُ ظلمًا بغيـــر قتالِ
قتلوهُ بشسع نعل كليبٍ ان قتل الكريم بالشسع غالِ
يابنى تغلبِ خذوا الحذر انّا قد شربنا بكاس موتٍ زلالِ
يابنى تغلبٍ قتلتم قتيلا ما سمعنا بمثله فى الخوالى
قرّبا مربط النعامة منـــى لقحت حرب وايلٍ عن حيالِ
قربا مربط النعامة منـــى ليس قولى يراد لكن فعالى
قربا مربط النعامة منـــى جدّ نوح النسآء بالاعوالِ
قربا مربط النعامة منـــى شاب راسى وانكرتنى القوالى
قرّبا مربط النعامة منـــى للسُرَى والغدوّ والآصـــالِ
قرّبا مربط النعامة منـــى طال ليلى على الليالى الطوالِ
قرّبا مربط النعامة منـــى لاعتناق الابطال بالابطالِ
قرّبا مربط النعامة منـــى واعدلا عن مقالة الجُهّالِ
قرّبا مربط النعامة منـــى ليس قلبى عن القتال بسالِ
قرّبا مربط النعامة منـــى كلما هب ريح ذيل الشمالِ
قرّبا مربط النعامة منـــى لبُجَيـــر مفكّك الاغلالِ
قرّبا مربط النعامة منـــى لكريـــم متوّج بالجمالِ

قرّبا مربط النعامة منـــى لا تباع الرجال بيع النعالِ
قرّبا مربط النعامة منـــى لبُجَيـــر فداهُ عمى وخالى
قرّباها لحيّ تغلب شوسًـــا لاعتناق الكماة يوم القتالِ
قرّباها وقرّبـــا لامتى در عا دلاصًا تردُّ حدَّ النبالِ
قرّباهـــا بمرهفات حداد لقراع الابطال يوم النزالِ
زُبّ جبش لقيتهُ يمطر المو تَ على هيكلٍ خفيف الجلالِ
سائلوا كندة الكرام وبكرًا . واسألوا مذحجا وحيَّ هلالِ
اذ اتونا بعسكر ذى رهآء مكفهرّ الاذى شديد المصالِ
فقريناهُ حبن رام قرافـــا كل ماضى الذباب عضب الصقالِ

وهى طويلة اقتصرنا منها على هذه الابيات فاجابهُ المهلهل يقول

هل عرفت الغداة من اطلالِ دهن ريحٍ وديمـــةٍ مهطالِ
يستبين الحليم غبها رسوما دارساتٍ كصنعـــة العُمَّالِ
قد رآها واهلها اهل صدق لا يريدون نيَّـــة الارتحالِ
يا لقومى للوعـــة البلبالِ ولقتـــل الكماة والابطالِ
ولعينٍ تَبادَرَ الدمع منها لكليب اذ غاتها بانهمالِ
لكليب اذ الرياح عليه ناسفات التراب بالاذيـــالِ
اننى زايرٌ جموعا لبكر بينهم حارثٌ يريد نضالى
قد شفيت الغليل من آل بكر آل شيبان بين عمٍّ وخالِ
كيف صبرى وقد قتلتم كليبًا وشفيتم بقتلـــه فى الخوالى
لعمرى لاقتلنّ بكليب كل فيل تسمّى من الاقيالِ

ولعمرى لقد وطئت بنى بكرٍ بما قد جنوهُ وطئَ النعالِ
لم أدَعْ غير أكلُبٍ ونساءٍ وامآهٍ حواطـــــبٍ وعيالِ
فاشربوا ما وردتم اليوم منا واصدروا خاسرين عن شرّ حالِ
زعم القوم اننـــا جارِ سوءٍ كذب القوم عندنا فى المقالِ
لم يرَ الناس مثلنا يوم سرنا نسلب الملك بالرماح الطوالِ
يوم سرنا الى قبايل عوفٍ بجموعٍ زهآوهـــا كالجبالِ
بينهم مالكٌ وعمرٌو وعوفٌ وعقيـــلٌ وصالح بن هلالِ
لم يَقُم سيف حارثٍ بقتالِ اسلم الوالدات فى الاثقالِ
صدق الجار اننا قد قتلنا بقبال النعال رهط الرجالِ
لا تملَّ القتال يا ابن عبادٍ صبرّ النفس اننى غير سالِ
ياخليلىَّ قرّبا اليوم منـــى كل وِرد وادهـــمِ صَهّالِ
قرّبا مربط المشهّر منـــى لكليب الذى اشاب قذالى
قرّبا مربط المشهّر منـــى واسألانى ولا تطيلا سوالى
قرّبا مربط المشهّر منـــى سوف تبدو لنا ذوات الجمالِ
قرّبا مربط المشهّر منـــى ان قولى مطابـــقٌ لفعالى
قرّبا مربط المشهّر منـــى لكليب فداهُ عمى وخالى
قرّبا مربط المشهّر منـــى لاعتناق الكماة والابطالِ
قرّبا مربط المشهّر منـــى سوف اصلى نيران آل بلالِ
قرّبا مربط المشهّر منـــى ان تلاقت رجالهم ورجالى
قرّبا مربط المشهّر منـــى طال ليلى واقصرت غدّالى

قرّبا مربط المشهّر منـــى يا لبكرٍ واين منكم وصالى
قرّبا مربط المشهّر منـــى لنضـــالٍ اذا ارادوا نضالى
قرّبا مربط المشهّر منـــى لقتيلٍ سَفَتهُ ريح الشمالِ
قرّبا مربط المشهّر منـــى مَعَ رمحٍ مثقّفٍ عسّـــالِ
قرّبا مربط المشهّر منـــى قرّباهُ وقرّبـــــا سربـــالى
ثم قولا لكل كهلٍ وناشٍ من بنى بكرٍ جرّدوا للقتالِ
وخذوا حذركم وشدّوا وجدّوا واصبروا للنزال بعد النزالِ
قد ملكناكمْ فكونوا عبيدًا ما لكم عن ملاكنا من مجالِ
ياكليب الخيرات لاصلحَ حتى اسكن اللحد فى التراب المُهَالِ
فلقد اصبحت جماتع بكرٍ مثل عادٍ اذ مُزّقَت فى الرمالِ
يا كليبًا اجب لدعوة داع موجع القلب دايم البلبالِ
فلقد كنت غير نكس لدى البأ سِ ولا واهنٍ ولا مكسالِ
قد ذبحنا الاطفال من آل بكر وقهرنا كماتهم بالنضالِ
وكررنا عليهِمِ وانثنينـــا بسيوفٍ تقدُّ فى الاوصالِ
اسلموا كل ذات بعلٍ واخرى ذات خدرٍ غرّآء مثل الهلالِ
يا لبكرٍ فاوعدوا ما اردتم واستطعتم فما لذا من زوالِ

وهى طويلةٌ اثبتنا منها هذه الابيات واما الحرث بن عباد فانهُ دعا بفرسهِ النعامة وكانت اكرم خيل الجاهلية محآءوهُ بها فحرّ ناصيتها وقطع ذنبها وكان اول من فعل ذلك من العرب فاتخذتهُ العرب سنّة اذا قُتِل لاحدهم عزيزٌ واراد ان يطلب ثارهُ ولما بلغ

المهلهل ذلك دعا بفرسهِ المشهّر ففعل بهِ كذلك وارتحل الحرث ببنيهِ وبني اخيه وقومهِ فضمّهم الى قبايل بكر فسرّوا بهم سرورًا عظيما وقراهم الحرث بن همّام بن مرّة وكانت بكر قد قلّدتهُ رياستها بعد ابيهِ واشتهر بالفراسة والكرم والشعر ولمّا اجتمعت قبايل بكر اغارت بكتايب جمّة وخرج المهلهل بن ربيعة بقومهِ التغلبيين والتقى الفريقان بعُوَيرض واقتتلوا قتالاً شديداً لم يَرَهُ احدٌ قبل ذلك اليوم وصاح الحرث بن عباد القتال بنفسهِ وقتل من التغلبيين خلقًا كثيرًا وانهزموا وكان يومًا عظيمًا وهو اول يوم هزمت بكرٌ فيهِ تغلب وقصد الحرث مهلهلاً فصدّ عنه الى عبرهِ وقتل كلٌّ منهم جماعةً من اعدآيهِ وقال الحرث بن عباد في ذلك اليوم

كأنّا غدوةَ وبني ابينا غداة الخيل تقرع بالذكورِ
ضراغم ساوَرَت في الحي يحمي عليها كل ذي لَبَدٍ هصورِ
تجالد في كتايب من عليّ بفتيانٍ كامثال الصقور
بجنب عُوَيرضٍ لما التقينا ونار الحرب ساطعة السعير
فدانت تغلبٌ في الحرب لما نزلتْ فداهيات في الامور
فحامَ مهلهلٌ لما التقينا وعرّد حين ملّ من الهريرِ
فلو نشر المفاخر عن كليبٍ لخبّر في الحفاظ بشرّ ربر
ولو قُتِلوا جميعًا في بُحيرٍ لكانوا فيهِ كالشيء اليسير
فقلنا الحيّ من جُشَم بن بكر وادبر جمعهم عند النفير

بشوسٍ من بنى بكرٍ عليهم دلاص السابغات من الحريرِ
واهلكنا بنى غنمٍ جميعـــًا مع القمقام ذى الشرف الخطيرِ
وجالوا من سعير الحرب حتى بدت اقدام رَبّات الخدورِ
غداة اصبتهم شعواء تردى بأُسْدٍ ما تملّ من الزئيرِ
حماة من بنى الريسآء غُشّر اليهم منتهى العافى الضريرِ
ومن ذهل بن شيبان وقيس ليوث الحرب فى اليوم العسيرِ
ومن ابنآء تَيم اللات محدّ توارثهُ الصغير عن الكبيرِ
وعنزٌ فى الوغى لبّات حرب كأنّ رماحهم اشطان بيرِ
ومن عجل كتائبُ بالمذاكى ترى فى كل يومٍ قمطريرِ
ومن اولاد يشكر كل شهم طويل الباع كالقمر المنيرِ
فما فى الناس حىّ مثل بكر اذا افتخر المفاخر بالعشيرِ

فاجابهُ المهلهل بن ربيعة يقول

البلغنا ندى حسم انيرى اذا انتِ انقضيتِ فلا تحورى
فان يك بالذنايب طال ليلى فقد يُبكَى على الليل القصيرِ
ارقت وصاحبى بجنوب شعب لبرقٍ فى تهامـــة مستطيرِ
ولو نشر المقابر عن كليب لاخبـــر بالذنايب اىّ زيرِ
ويوم الشعثمين لقرّ عينا وكيف لقآء من تحت القبورِ
على انى تركت بواردات بُحَيرًا فى دم مثـــل العبيرِ
وهمّام بن مرّة قد تركنا عليهِ القشعمان من النسور
فكيف به بنو بنى عباد وبعض الفتل اشفى للصدور

على ان ليس عدلا من كليبٍ اذا خاف المغار من المغيرِ
على ان ليس عدلاً من كليبٍ اذا طُرِد اليتيم عن الجزورِ
على ان ليس عدلاً من كليبٍ اذا ما ضِيَم جار المستجيرِ
على ان ليس عدلاً من كليبٍ اذا ضاقت رحيبات الصدورِ
على ان ليس عدلاً من كليبٍ اذا خاف الخفوف من الثغورِ
على ان ليس عدلاً من كليبٍ اذا طالت مقاساة الامورِ
على ان ليس عدلاً من كليبٍ اذا هبّت رياح الزمهريرِ
على ان ليس عدلا من كليبٍ اذا وثب المثار على المثيرِ
على ان ليس عدلاً من كليبٍ اذا عجز الغنيّ عن الفقيرِ
على ان ليس عدلا من كليبٍ اذا خرجت مخبّأة الخدورِ
على ان ليس عدلاً من كليبٍ اذا هتف المثوّب بالعشيرِ
تسايلني أُميمة عن ابيها وما تدري اميمة عن ضميرى
فلا وابى اميمة ما ابوها من النعم الموثّل والجزورِ
ولكنّا طعنّا القوم طعنا على الاثباج منهم والنحورِ
نُكِبّ القوم للاذقان صرعَى وناحد بالتراير والصدورِ
غدى لبنى شفيقٍ حين جاءوا كأُسد العاب نُلحِب بالزئيرِ
غداة كانتا وبنى ابينا بجنب غنيزة ركنا بسرِ
فلولا الريح اسمع من بحجرٍ صليل البيض تقرع بالذكورِ
وكانوا قومنا فبغوا علينا فقد لاقاهمُ لمح السعبرِ
تظلّ الطير عاكفة عليهم كأنّ الخيل تمسح بالعبرِ

وما تنكي عدوك اذ تعادى بمثل الصبر في ضنك الوعورِ

وهي طويلةٌ اقتصرنا منها على هذه الابيات ثم التقى القوم بعويرض نوبةً اخرى فاقتتلوا قتالاً شديدًا حتى هجم الليل وجال التغلبيون جولةً على بكر فاستظهروا عليهم وهزموهم في العشآء وقد كثر القتل فيهم والجراح وباشر المهلهل القتال بنفسهِ وقتل جمهورًا من الفرسان وراح ظافرًا منصورًا وجعل بعد ذلك يجرد لهم فرسان قومه وابطالهم واممّهم بالخيل والعدد واخذ يكمن لبني بكر على ديارهم ومياههم فلا يلقى شيخًا ولا صبيًا الا قتلهُ ولا مالاً الا اغتنمهُ حتى درسهم بنفسهِ وقومهِ واذاقهم البلآء الشديد ولما الحَّ المهلهل على بكر واهلكهم ارسلوا الى من باليمامة من بكر بن وابل يستنجدونهم فامدَّوهم بجماعة تحت راية الغند بن سهل البكري وكان شجاعًا لا يطاق فالتقوا بالعقبة وعلى بني تغلب مهلهل بن ربيعة وعلى بني بكر الحرث بن همام بن مرة فلما تراءى الجمعان قال الحرث بن عباد للحرث بن همّام هل تطيعني فيما اشير به عليك قال نعم قال تعطون كل امراة فارهة من نسآيكم هراوةً وقربة ماء وتجعلونهنَّ خلفكم اذا اصطَفَفْتُم للحرب وتحلقون رووسكم علامةً لهنَّ فاذا خرج منكم رجلٌ عرفنه بتلك العلامة فاقبلن عليه يسقينه وياخذن سيفه واذا مررن بجريحٍ من اعدايكم ضربنه بالخشب فقتلنه ففعل الحرث بن همام ما امرهُ بهِ وانتشب القتال بين القوم واجتلدوا بالسيوف صدر يومهم ذلك ثم جالت بكر على تغلب

فاستهزموا لهم حتى استمكنوا منهم فاطبقوا عليهم واذاقوهم البلآء ونظر الحرث بن عباد الى فارسٍ من تغلب لا يدنو من كتيبة الا مزّقها فدعا بعمامةٍ وشدّ حاجبيهِ ووثب بالعمامة على ذلك الفارس فاحتضنهُ واتى بهِ الى قومهِ وهو يقول شعرًا

انى ارى ذا جَلَدٍ وباسِ تخالهُ البُجَير اذ تقاسى

فهو بهِ الوفآء دون الناسِ

وكان ذلك الفارس هو المهلهل بن ربيعة الا ان الحرث لم يكن يعرفهُ لطول العهد بينهما وكان المهلهل ذا رأيٍ ومكيدةٍ فلما ايقن بالهلكة استنزل عن فرسهِ وتنكّر وقصد شيخًا كبيرًا من ذهل بن شيبان يقال لهُ عوف بن محلم فجعل يدانيهِ حتى استجار بالخبآء ومكر بالحرث بن عباد فقال له هل ادلّك على المهلهل فتقتله وتؤمنني قال وكيف لى بذلك قال أَعطِنى ضمينًا بالامان قال اختر لك ضمينًا من بكرٍ ترضى بهِ قال اريد عوف بن محلم فقال الحرث اضمن لهُ ياعوف فضمن وكانت العرب ترى الموت قبل نقض الذمة فلما اعطاهُ الحرث ذمته قال انا المهلهل فندم الحرث على اجارتهِ لكنهُ لم يستطع ان يغدر بهِ لما اعطاهُ من الذمّة فاطلقهُ ولما رجع المهلهل الى قومهِ عطفوا على البكريين وقاتلوا قتالاً شديدًا حتى كان اخر النهار فكانت الدايرة على تغلب فانهزموا بعد قتلٍ كثير وتقاعدوا عن الحرب زمانًا ونزل المهلهل بواردات وارسل الى بكر يطلب جساسًا قاتل كليب وكانت اخوال جسّاس بالشام فلحق بهم فى نفر

قليلٍ من قومهِ ولما بلغ المهلهل ذلك ارسل فى طلبهِ ثلثين نفرًا فادركوهُ فى الطريق واقتتلوا فلم يسلم من الفريقين الا قليلٌ وانجرح جساس جرحًا شديدًا فمات منهُ وقيل لم يمت من ذلك لكن قتلهُ الكجرس بن كليب بن ربيعة وذلك ان امرأة كليب الجليلة اخت جساس كانت حاملاً لما قُتِل كليب فولدت غلامًا سمَّتهُ الكجرس وكانت حينئذٍ قد لحقت بقومها فنشا الغلام مع اخوالهِ بنى مرة واولادهم وكان خالهُ جسّاس يحسن اليهِ وكان الغلام يحبُّ جسّاسًا دون سائر اخواله ويدعوهُ اباهُ فلما شبّ الغلام زوّجهُ جسّاس بابنتهِ سُعاد ومكث الغلام على ذلك ما شآء الله الى ان وقعت فتنةٌ بينهُ وبين رجلٍ من آل مرّة فقال له الرجل ما اراك تهدأ حتى نلحقك بابيك وكان الكجرس قد نسى امر ابيهِ لطول العهد وعدم معرفتهِ بهِ فلما قال لهُ ذلك هاجت الضغينة فى قلبهِ واتى منزلهُ كئيبًا فسالتهُ امراتهُ عن حالهِ فاخبرها ولما امسى أوَى الى فراشه فتوهّج ولم ياخذهُ نومٌ فاجفلت المراة من ذلك وانطلقت الى ابيها فاخبرتهُ فاتاهُ جساس وقال له انت ولدى وابن اختى وقد زوجتك ابنتى رغبةً منى فيك وقد علمت ما كان بينى وبين قومك من الفتنة ثم اصطلحنا واريد ان تنطلق معى اليهم لتدخل فيما دخلوا فيهِ من الصلح قال نعم واخذ الكجرس لامتهُ وانطلق على جوادهِ حتى اتى نادى قومهِ وبينهم جسّاس يخاطبهم فى ذلك فحمل عليهِ الكجرس وهو يقول ومهرى واُذنَه ورمحى وطَرَفَه لا بدع المرء قاتل امه وهو ينظر المه ثم

طعنهُ بالرمح فدقّ صلبهُ وركض بجوادهِ يريد عمهُ المهلهل وهو يقول تبيَّن خليلي اين صارت ديارنا واين لنا من آل مرَّة ناصـــرُ وقد يُجبَر العظم الكسير فيستوي ويُولَد بعد المرء ياسُعدَ ثائـــرُ ففرح بهِ عمهُ والطفهُ وقرَّبهُ واعطاهُ رياسة قومهِ مكان ابيهِ كليب وزوَّجهُ بابنتهِ سُلَيمَى واقام في قومهِ عزيزًا كريمًا ثم انبعثت الحرب بين الفريقين وتواعدوا للقتال واجتمعت قبايل النمر بن قاسط مع بني تغلب وسيدهم سالم بن يزيد النمريّ فاقتتل القوم قتالاً شديدًا وكثرت القتلى بينهم وكانت الهزيمة على بني تغلب والنمر بن قاسط وقُتِل في ذلك اليوم الكجرس بن كليب ومضى المهلهل وقومهُ حتى اتوا بني كلب بن وبرة فمكثوا عندهم زمانًا والمهلهل يغير على اطراف بكر فيقتل ويأسر حتى ظفر بهِ يومًا عوف بن مالك وكان من سادات بني بكر فمكث في اسرهِ ما شآء الله ثم ادركهُ الموت واختلفوا في موتهِ فقيل مات في اسر عوف البكري جوعًا وعطشًا وقيل بل فدى نفسهُ بمايةٍ من الابل ومضى باهله الى بني مدج فقدَّمهم بين يديهِ في اول النهار وتخلَّف بعبدين لهُ يريد غرَّة عوف بن مالك ليقتلهُ فلما لم يصادف غرَّةَ له سار في اثر اهلهِ حتى اذا كان في بعض الفلوات نزل في ظل شجرةٍ فنام وكان العبدان قد ضجرا منهُ لطول بلآيهِ لانهُ كان قد غزا بهما غلامين حتى وخطهما الشيب ولم يزل على عزمه فوثبا عليهِ واخذا بيديه فانتبه وقال ما بالكما فالا نديفك ما اذعت العرب قال ان لم يكن بُدّ من ذلك فادا

اقيتما ابنتي فخصاهما عني بالسلام وقولا لهما هذا البيت

من مُبلِغُ الاقوام ان مهلهلاً لله درُّكما ودرُّ ابيكما

قالا نعم ثم طعنهُ احدهما فقال المهلهل ثكلتك امك لو اخذت البيضة عن راسي لكفاك اخذها دون ان تضع يدك في سيدك فاخذا البيضة فامتنعت عليهما فاقتلعاها فخرجت ام راسهِ وبقي الدماغ ينتفض من تحتها فقال احدهما لله درك من قتيلٍ وفي لاخيهِ حتى اجابهُ بمصرعه كريمًا ثم دفناهُ ولحقا باهلهما يبكيان ويقولان وامهلهلاه واسيدنا وافارس العرب فلما سمعتهما ابنتهُ سُلَيمى وهي امراة الكلجرس بن كليب قالت ما ورآءكما فقالا مات ابوك المهلهل وتركنا عيلةً على القوم قالت فهل اوصاكما بشيء قالا لا والله غير اننا سمعناهُ وهو يجود بنفسهِ يقول

مَن مُبلِغ الاقوام ان مهلهلاً لله درُّكما ودرُّ ابيكما

ففكرت سليمى ومن حولها فلم يجدوا مخرجًا لذلك واذا ابنتهُ الصغيرة تبكي وتقول واثكلاه قتيلٌ ورب الكعبة اوثقوا العبدين فاوثقهما فتيانٌ من تغلب فاختلط كلامهما فقالت اتدرون ما اراد ابي قالوا لا فماذا اراد يابنة تغلب قالت ما اراد الا ان يقول

من مُبلِغُ الا قوام ان مهلهلا اضحى قتيلاً في الفلاة مُجَدَّلا

لله درُّكما ودرُّ ابيكما لا يبرح العبدان حتى يُقتَلا

فامروا بالعبدين فضربت اعناقهما ورجع بنو تغلب الى ارضهم واحتسب بكر وتغلب في القتلى واعطوا عن كليب عشر دياتٍ وارتفع السيف

من بينهم وطالت المنازع على المهلهل وكثرت المرائى واعولت عليهِ تغلب كما يليق بمثلهِ وخمدت بعدهُ نار الحرب بعد اشتعالها بينهم مدة اربعين سنة واقام كل فريقٍ منهم فى ارضهِ الى ما شآء الله انتهى

حرب سباق الخيل

كان ذلك بين بنى عبس وبنى فزارة بسبب داحس فرس قيس بن زُهَير بن جذيمة العبسى والغبرآء فرس حُذَيفة بن بدر الفزارى وذلك ان رجلاً من بنى عبس يقال له قرواش بن هانئ كان يناظر حَمَل بن بدر اخا حذيفة فى داحس والغبرآء فقال حَمَل الغبرآء اجود وقال قرواش داحس اجود فتراهنا عليهما بعشرةٍ من الابل واتى قرواش الى قيس بن زهير فاخبرهُ فقال له قيس راهن من شئت ودعنى من بنى بدر فانهم قومٌ يظلمون لقدرتهم على الناس فى انفسهم وانا أبىٌّ عزيز النفس فقال قرواش انى قد اوجبت الرهان فقال قيس ويلك قد اخترت اشأم اهل بيت والله لتضرمَنّ علينا نارًا ثم ان قيسًا اتى حمل بن بدر وقال انى قد اتيتك لِأُواضعك الرهان فقال لا اواضعك او تجيَّ بالعشرة فان اخذتها اخذت سعى وان تركتها رددتُ حقًا قد عرفتهُ لى فأَنِفَ قيسٌ وقال هى عشرون قال حَمَل هى ثلثون وتمادى بينهما اللجاج والتزايد حتى بلغ به

قيسٌ الى الماية ووضع السبق على يد غلاق احد بنى ثعلبة بن سعد وجعل الغاية ماية غلوةٍ فضمّروا الفرسين اربعين ليلة وعطّشوهما وجعلوا السابق منهما الذى يرد غدير ذات الاصاد وهو غاية المضمار فلما ارادوا السباق اكمن حَمَلٌ فى حفرةٍ على طريق الفرسين فتيانًا منهم رجلٌ يقال لهُ ذُهَير بن عمرو وامرهم ان جاء داحسٌ سابقًا ان يردّوا وجههُ عن الغاية ثم ارسلوهما يجريان فلما امعنا فى جريهما برَز داحس حتى انتهى الى الكمين فوثب اليهِ ذهيرٌ ولطم وجههُ فردّهُ عن الغاية وفى ذلك يقول قيس

كما لاقيت من حمل بن بدرٍ واخوتـــهِ على ذات الاصادِ

همُ فخروا علَّى بـــغير فخـرٍ وردّوا دون غايتـــهِ جوادى

وطلب عبسٌ السبق من حذيفة فانكر عليهِ فقال الذى وضعا السبق على يديهِ لحذيفة ان قيسًا قد سبق وانما اردت ان يقال سبق حذيفة وقد قيل ذلك فادفع اليهِ سبقه قال نعم ودفع اليهِ الابل التى عُقِد الرهان عليها ثم ان عركى بن عُمَيرة وابن عمٍّ لهُ من غزارة اقبلا على حذيفة بندمانهِ وقالا ان الناس قد رأوا سبق جوادك وليس كل الناس رأوا لطم جواد قيس فاعطاوك السبق فحقق لدعوى العبسيين فاطلب السبق فانهم اقصر باعًا من ان يردّوك فأبى حذيفة وانف من ذلك وما زالا بهِ حتى ندم واجابهما فمضاهُ حميصة بن عمرو وقال لهُ ان قيسًا لم يسبقك الى مكرمةٍ نفسه وانما سرّك سبق آخر فما فى هذا حتى تُدعَى فى العرب

ظلومًا قال اما اذا تكلمت فلا بد من اخذهِ ثم بعث ابنهُ ابا قرفة الى قيس يطلب السبق فلم يصادفهُ فقالت لهُ امراتهُ ما احبَّ انك صادفت قيسًا فرجع الى ابيهِ واخبرهُ بما قالت امراة قيس فقال والله لتعودَنَّ اليهِ ورجع قيسٌ الى بيتهِ فاخبرتهُ امراتهُ فاخذتهُ زفرات الغضب ولم يلبث ابن حذيفة ان رجع اليهِ وقال يقول ابى اعطنى السبق فتناول قيس الرمح فطعنهُ فدق صلبهُ ورجعت فرسهُ غابرةَ فاجتمع الناس على قيس واحتملوا دية ابن حذيفة ماية عشرآء فقبضها حذيفة وانزلها على النفيرة حتى تنتج ما فى بطونها ثم ان مالك بن زهير اخا قيس نزل اللقاطة وهى بالقرب من حىّ غزارة وكان قد اتخذ امراةً من بنى غزارة فاتاها فبنى بها هناك وأخبر حذيفة بمكانهِ فعدا عليهِ فقتلهُ وفى ذلك يقول عنترة

ولله عنا من راى مثل مالكٍ عقيرة قومٍ ان جرى فرَسَان
فليتهما لم يجريا نصف غلوةٍ وليتهما لم يُرسلا لرهـــانِ

واتى بنو جذيمة الى حذيفة فقالوا قد قتلتم لنا كما قتلنا لكم فردُّوا علينا الدية فاشار سنان بن ابى حارثة المزنى على حذيفة ان لا يرد النتاج معها فقال حذيفة اردُّ الابل باعيانها ولا ارد اولادها معها فأبوا ان يقبلوا ذلك فقال قيس بن زهير

يودُّ سنانٌ لو يحارب قومنـــا وفى الحرب تفريق الجماعة والقتل
يدبُّ ولا يخفى ليفسد بيننـــا دبيبًا كما دبَّت الى جحرها النمل
فبا آنَى نغض راجعا السلم تسلما ولا تشمتا الاعداء يفترق الشمل

وان سبيل الحرب وعرٌ مضلّـــةٌ وان سبيل السلم آمنـــةٌ سهلُ

وكان الربيع بن زياد العبسي يومئذٍ مجاورًا بني فزارة لمشاحنةٍ جرت بينه وبين قيس بن زهير فلما قتلوا مالك بن زهير قال الربيع بئسما فعلتم يابني فزارة قبلتم الدية ورضيتم ثم عدوتم على ابن عمكم وصهركم وجاركم فقتلتموهُ وغدرتم بقومكم قالوا لولا انك جارٌ لنا لقتلناك فاخرج عنا ولك ثلثة ايامٍ فخرج الربيع واتّبعوهُ فلم يدركوهُ حتى لحق بقومهِ واتاهُ قيس بن زهير فصالحهُ ونزل معهُ ثم دسّ امةَ لهُ يقال لها رعيّة الى الربيع تنظر ما يعمل فدخلت بين ابياتهِ واذا امراةٌ قد عرضت لهُ فدفعها وقال لجاريتهِ اسقيني فلما شرب انشا يقول

منِع الرقاد فما أُغمّض حارِ من حادث النَبَأ العظيم السارى

ابعد مقتل مالك بن زهيرٍ ترجو النسآء عواقب الاطهارِ

ما ان ارى فى قتلهِ لذوى النُهَى الا المطـــيَّ تشدُّ بالاكوارِ

ومساعرًا صَدِئَ الحديد عليهِمِ فكانما تُطلَى الوجوه بقـــارِ

من كان مسرورًا بمقتل مالـكٍ فليأتِ نسوتنـــا بصدر نهارِ

يجد النسآء حواسرًا يندبنـهْ يلطمن اوجهـــنَّ فى الاسحارِ

قد كُنَّ يخبأن الوجوه تستّرًا فالان حين بَدَونَ للنُظّـــارِ

نصربن حُرَّ وجوهنَّ على فتى عـفّ الشمايل طيب الاخبارِ

فلما سمعت رعيّة قيسًا فاخبرتهُ خبر الربيع فقال انتِ حرّةٌ فاعتقها وقال قد وثقت بابي المنصور ثم انشا يقول

فان تكُ حربكم امست عوانًا فانى لم اكن ممّن جناها
ولكن وِلْدُ سودة أَرَّثوها وحثّوا نارها لمن اصطلاها
وانى غير خاذلكم ولكن سَأَسعى الان اذ بلغت مداها

ثم قاد قيس بنى عبس وحلفآءهم بنى عبد الله بن غطفان الى بنى فزارة ورئيسهم اذ ذاك حذيفة بن بدر فالتقوا بذى المُرَيقِب وانتشب بينهم القتال فقتل ارطاة احد بنى عبس مالك بن عوف بن بدر وقتل عنترة بن شداد ضيضمًا ونفرًا ممن لا تعرف اسمآؤهم وفى ذلك يقول عنترة

ولقد خشيت بان اموت ولم يكن للحرب دايرةٌ على آبنى ضيضم
الشاتَمى عرضى ولم اشتمهما والنادرين اذا لم آلَقْهما دمى
ان يفعلا فلقد تركت اباهما جزر السباع وكل نسر قشعمِ

وقال

ولقد علمت اذ التقت فرساننا بلِوَى المُرَيقِب ان ظنّك احمقُ

ثم ان بنى ذبيان تجمعوا لما اصاب منهم بنو عبس من اصابوا فغزوا بنى عبس ورئيسهم حذيفة بن بدر ورئيس بنى عبس وحلفآيهم الربيع بن زياد فالتقوا بذى حسى وهو واد فى اعلاهُ الهباة فانهزمت بنو عبس وتبعهم بنو ذبيان حتى لحقوهم بالغيقة فاشار قيس على الربيع بن زياد ان يباكرهم وخاف الربيع ان قاتلوهم ان لا يقوموا لهم فقال انهم لا يجتمعون كل حين هذا الاجتماع فأرَى ان نعطيهم رهاين من ابنآينا فندفع حدَّهم عنا الآن وهم لا يقتلون الصبيان

ولا يصلون الى ذلك وان قتلوهم فهو ايسر من قتل الآباء فانصاع قيس الى رايهِ وقال يابنى ذبيان خذوا منا رهاين ما تطلبون الى ان تنظروا فيما بيننا ولا تعجلوا الى الحرب فليس كل كثيرٍ غالبًا وضعوا الرهاين عند من نتراضى عليهِ فقبلوا ذلك وتراضوا ان تكون الرهاين عند سُبَيع بن عمرو التغلبى فدفعوا اليهِ عدةً من صبيانهم وكفَّ الفريقان عن القتال فمكثت الصبيان عند سبيع حتى حضرته الوفاة فقال لابنهِ مالك ان عندك مكرمةً لا تبيد ان احتفظت بهولآء الغلمان واخشى اذا متُّ ان ياتيك خالك حذيفة فيخدعك عنهم حتى تدفعهم اليهِ فيقتلهم ويغشاك عارهم الى الابد فلما توفى سبيع اتى حذيفة الى ابنهِ مالك وقال انا خالك واكبر منك سنًّا فادفع الىَّ هولآء الصبيان يكونون عندى الى ان ننظر فى امرنا ولم يزل بهِ حتى دفعهم اليهِ فلما صاروا عنده اتى بهم الى اليعمرية وهى وادٍ هناك واحصر اهل القتلى من فزارة وجعل يُبرِز كل غلامٍ منهم فينصبه غرضا ويقول لهُ نادِ اباك فينادى اباهُ فيرميهِ بالسهام حتى يحرقهُ فان مات من يومه داك والا تركه الى الغد ثم عاد يرميهِ حتى يموت وبلغ ذلك بنى عبس فاتوهم باليعمرّية وقتلوا منهم اثنى عشر رجلا منهم عركى بن عميرة الذى اشار على حذيفة باسترداد السبق من قيس بن زهير ومالك بن سبيع الذى سلَّم الغلمان الى حذيفة واخوه يزيد بن سبيع وفى ذلك يقول عنترة

سائل حذيفة حين اضرم بيننا حربا ذوابلها تموت تحقق

واسأل عُمَيرة حين اجلت خيلها متصاغرين بباقٍ حيّ تلحقُ

ثم انهم تجمّعوا فالتقوا الى جانب الهبآة فى يوم شديد القيظ فاقتتلوا حتى انتصف النهار وحجز بينهم الحر وكان حذيفة ناعم البدن يحرق الركوب فخذيهِ فلما تجاجزوا اقبل حذيفة واصحابهُ الى جفر الهبآة وهو مُستنقَع مآء هناك يريدون ان يتبردوا بهِ فقال قيس لاصحابهِ ان حذيفة رجلٌ يحرق فخذيهِ ركوب الخيل وانهُ الان فى جفر الهبآة هو واخوته فانهضوا اليهم فنهضوا حتى اقبلوا على المكان ونظر حصن بن حذيفة الى الخيل فانحدر فى الجفر واذا قيس واصحابهُ قد وقفوا على شفير الجفر وقيس يقول لُبّيكم لُبّيكم يعنى ندآء الصبيان حين كانوا يامرونهم ان ينادوا ابآءهم باليعمرية وكان فى الجفر حُذَيفة ومالك وحَمَل ابنآء بدر فقال حمل نشدتك الرحم ياقيس فقال لُبّيك لُبّيك وقال حذيفة بنو مالك بمالك وبنو حمل بالصبيان ونردّ السبق فقال قيس لُبّيكم لبيكم قال حذيفة والله لئن قتلتنى لا تصطلح غطفان ابدًا قال قيس قتلك خيرٌ لغطفان سيربع على قدرهِ كلُّ سيّدِ ظلوم وجآء قرواش بن هانئ من حلف حذيفة فقال لهُ بعض اصحابهِ احذر قرواشًا قال خلّوا بين قرواشٍ وطهرى وكان حذيفه قد ربّاهُ فظن انهُ سيشكر لهُ فرماهُ قرواش بحربةٍ كانت فى يدهِ فقصم بها صلبهُ وانتدرهُ الحرث بن زهير وعمرو بن الاسلع فضرباهُ بسيفيهما حتى فطّعاهُ وكان مع حذيفة سبعة دو البون وبقال انهُ كان سيف مالك بن زهير احدهُ حذيفة يوم قتل مالك فاحدهُ الحرث بن

زهير ورمى جندب بن زيد العبسى مالك بن بدر بسهمٍ فقتلهُ وقتل مالك بن الاسلع الحرث بن عوف بن بدر وقتل الربيع بن زياد حَمَل بن بدر فقال قيس يرثيهِ

تعلَّمْ ان خير الناس طرًّا على جفر الهبآءة ما يريمْ
عليهِ الطلمةُ ما رلت ابكى عليهِ الدهر ما طلع النجومْ
ولكنَّ الفتى حمل بن بدر بَغَى والبغى مرتعهُ وخيمْ
اظنَّ الحلم دل عليهِ قومى وقد يستجهل الرجل الحليمْ
الاقى من رجالٍ منكرات فانكرها ولست انا الظلومْ
ومارست الرجال ومارسونى فمعوجٌّ علىَّ ومستقيمْ

وقال زبان بن زياد العبسى يذكر حذيفة وكان حاسدًا لهُ

وان قتيلا بالهبآءة فى آستهِ صحبفتهُ ان عاد للظلم ظالمْ
متى تقرأوها تهدكم من ضلالكم وتُعرَف اذا ما فضَّ عنها الخواتمْ
فان تسألوا عنها فوارس داحس يتنبيك عنها من رواحة عالمْ

وقالت بنت مالك بن بدر الذى قتلهُ الجُنَيدِب وكان قد نذر ان يقتل بابنهِ رجلا من بنى بدر فاحلَّ نذرهُ بقتلهِ

اذا هتفت بالرقمتين حمامةٌ او الراس فاكى فارس الكتفانِ
احلّ به امس الجُنَيدِب نذرهُ وايَّ قتيلٍ كان فى غَطفَانِ

ولما اصيب القوم يوم الهبآة استعظمت غطفان قتل حذيفة وكبر ذلك عندهم فتجمعوا وعرف بنو عبس ان لا مقام لهم بارض غطفان فخرجوا الى نحو اليمامة يطلبون اخونهم فمرلوا على قتادة بن مسمة

ثم حدثت مغاضبة بينهُ وبين قيس بن زهير فارتحلوا حتى نزلوا فى
هَجَر ببنى سعد بن زيد مناة بن تميم فمكثوا عندهم حينًا من الدهر
ثم ان بنى سعد تقدموا الى الجون ملك هجر فقالوا هل لك فى مهرة
شوهآ وناقةٍ حمرآ وفتاةٍ عذرآ قال نعم فما ذلك قالوا بنو عبس
نغير عليهم مع جندك وتسهم لنا من غنايمك فاجابهم وكان فى
بنى عبس امرأةٌ من بنى سعد فاتى اهلها ليضمّوها اليهم واخبروها
الخبر فاذرت بهِ زوجها فاتى قيسًا فاخبره فاجمعوا ان يرتحلوا
بالظعاين وما قوى من الاموال من اول الليل ويتركوا النار فى البرية
فلا يُنكَر عليهم وتقدَّم الفرسان الى الفروق فوقفوا دون الظعن
بين الفَرُوق وسوق هَجَر على نصف يوم فلما شعر القوم بارتحالهم
اغاروا مع جنود الملك فى وجه الصبح فوجدوا المنزل خلآء فتبعوا
القوم حتى انتهوا الى الخيل بالفروق فقاتلوهم ولم ينتصفوا منهم
فمضوا حتى لحقوا بالظعن وساروا ثلثة ايامٍ بلياليها حتى قالت ابنة
قيس بن زهير لابيها يااباتاه هل تسير الارض فعلم انهُ قد بلغ
منها الجهد فقال انيخوا فاناخوا ثم ارتحلوا وفى ذلك يقول عنترة

ونحن منعنا بالفروق نسآءنا نصرّف عنها مشعلات عواسيا
حلفت لها والخيل تُدمَى نحورها نفارقكم حتى يهزّوا العواليا
الم تعلموا ان الاسنَّة احررت بقيَّتنا لو ان للدهر باقيـــا
ونحفظ عورات النسآء ونتّقى عليهنّ ان يلقَبن يومًا سخاريا

ومضى القوم حتى نزلوا ببنى عامر ثم اتوا ربيعة بن نزار احد بنى

بكر بن كلاب فحالفوه واقاموا هناك ما شآء الله وفى ذلك يقول قيس بن زهير

احاول ما احاول ثم آوى الى جارٍ كجار ابى دؤادِ
منيعٌ وسط عكرمة بن قيسٍ وهوبٌ للطريف وللتلادِ
كفانى ما خشيت ابو هلالٍ ربيعة فانتهيت عن الاعادى
تظلّ جيادهُ يسرين حولى بذات الرمث كالحدأ الغوادى

ثم ان بنى ذبيان غزوا بنى عامر وعندهم بنو عبس فاسر طلحة بن سنان الفزارى قرواش بن هانى العبسى فاستنسبه فكنى عن نفسهِ وقال انا ابو ثور بن عاصم الكلابى فخرج بهِ طلحة الى اهلهِ فلما انتهى الى ادنى البيوت عرفتهُ امراةٌ من بنى اشجع امّها عبسية كانت تحت رجلٍ من غزارة فقالت لزوجها انى ارى ابا شريح قال ومن ابو شريح قالت قرواش بن هانى ابو الاضياف مع طلحة بن سنان قال ومن اين تعرفينهُ قالت يتمت انا وهو من ابوينا فربّانا حذيفة فى ايتام غطفان فخرج زوجها حتى اتى خزيم بن سنان فقال اخبرتنى امراتى ان اسير اخيك طلحة قرواش بن هانى العبسىّ فاتى خزيم اخاهُ طلحة فاخبرهُ فاتى طلحة بالمراة وقال ما اعلمك انهُ قرواش قالت هو هو وبهِ شامةٌ فى موضع كذا فافتقدوه فاحضروا الرجل ونظروا البهِ فاذا الشامة كما ذكرت فقال قرواش من عرفنى قالوا فلانة الاشجعيّة بنت فلانة العبسيّة قال رُبَّ شرٍّ حملتهُ عبسيّةٌ فذهبت مثلا ودفع قرواش الى حصن فقتلهُ واقامت بنو عبس فى بنى عامر

حتى قُتِل اسيرٌ منهم عند بنى ذبيان فقاموا يطلبون الدية من بنى عبس فقال قيس ان يدى مع ايديكم على بنى ذبيان وانتم تعلمون ما بيننا وبين القوم فقال اخوهُ والله لو قتلتهُ الريح لوجبت عليكم الدية فقال قيس لقومهِ اعطوهم الدية والحقوا بقومكم فالموت فى غطفان خيرٌ من الحيوة فى بنى عامر وقال

لحى الله قومًا اضرموا الحرب بيننا سقونا بها مرًّا من الماء آجنا
فهلَّا بنى ذبيان امَّك ثاكلٌ رهنت نفيف الريح ان كنت راهنا

وخرجت بنو عبس حتى نزلت بالحرث بن عوف بن ابى حارثة الذبيانى وكان حينئذٍ عند حصن بن حذيفة فلما جآء بعد ساعة من الليل قيل لهُ هولآء اضيافك ينتظرونك قال بل انا ضيفهم فحيَّاهم وهشَّ اليهم وقال مَن القوم قالوا اخوانكم بنو عبس وذكروا ما لقوا من البلآء واعترفوا بالذنب فقال حبًا وكرامةً انا اكلم لكم حصن بن حذيفة وهو سيّدٌ حليم فرجع اليهِ وقال طرقتك فى حاجةٍ يااابا قُبَيس قال أُعطِيتَها فما هى قال وجدت وفود بنى عبس فى منزلى قال صالحوا قومكم كما شئتم فتصالحوا على حمالة وكان اول من سعى فى الحمالة حرملة بن الاشعر فمات فسعى فيها ابنه هاشم بن حرملة الذى يقول فيهِ الشاعر

احيى اباهُ هاشم بن حرملة يوم الهباتين ويوم اليعملة
ترى الملوك حولهُ مُغربَلة يقتل ذا الذنب ومن لا ذنبَ له

ولما حُمِلَت الحمالة وتراضى القوم اجتمعت عبس وذبيان بقطن وهو

موضعٌ من الشِرَيَّة فخرج حُصَين بن ضمضم على فرسهِ فقال الربيع بن زياد ليس لى عهدٌ بحصَين بن ضمضم منذ عشرين سنة وانى لاحسبهُ هذا قم يابيحان فادنُ منهُ وكلّمهُ فان فى لسانهِ حُبسةً فقام فكلّمهُ فجعل حُصَين يدنو منهُ ولا يكلّمهُ حتى اذا امكنهُ جال فى متن فرسهِ ووثب اليهِ فادركهُ قبل ان ياتى قومه وقتلهُ بابيهِ ضمضم الذى قتله عنترة فهاجت عبس وحلفآوها وتناهض الحيّان ونادى الربيع بن زياد من يبارز فقال سنان بن ابى حارثة ادعوا الىّ ابنى فاتاهُ ابنهُ هَرِم بن سنان فقال لا فاتاهُ ابنهُ خارجة قال لا وكان ابنه يزيد يحزم فرسه فاتاه وبرز للربيع بن زياد فدخلت بينهم الناس واتى خارجة بن سنان بابنهِ الى ابى بيحان فدفعه اليهِ وقال هذا وفآء من ابنك قال اللهمَّ نَعَم فكان عنده اياماً ثم حمل خارجة لابى بيحان مايتى بعيرٍ فدآء ابنهِ وتولّى الصلح بينهم عوف ومعقل ابنا سُبَيع بن عمرو من بنى ثعلبة فاصطلحوا وتعاقدوا فقال عوف بن خارجة بن سنان اما اذ سبقنى هذان الشيخان الى الحمالة فهلم الى الظلّ والطعام فنصب الخيام ونحروا طعم وصدر القوم على الصلح بعد ما امتدت الحرب بينهم سنين كثيرة وكان ابتدآوها سنة خمسماية وثمان وستين للمسيح

انتهى

حرب ذي قار بين العرب والعجم

كان السبب في ذلك ان رجلاً من اهل الحيرة يقال لهُ عَدِيّ بن زيد العبّاديّ وهو من ولد زيد مناة بن تميم كان شاعرًا اديبًا يتكلم بالفارسية ويكتب بها فاتصل بخدمة ابرويز كسرى وكان ترجمانًا بينهُ وبين العرب فكان يقيم بباب كسرى تسعة اشهر ويأتي اهلهُ بالحيرة فيقيم عندهم ثلثة اشهرٍ وهو الذي اشار على كسرى بتولية النعمان امر العراق فكان في اعلى منزلةٍ عندهُ يكرمهُ اذا حضر ويثني عليهِ اذا غاب وكان بين عدي بن زيد ورجلٍ من بني نفيلة يقال لهُ عديّ بن اوس عداوةٌ قديمة وكان عدي بن اوس صاحب مكرٍ ودهآءٍ فكان اذا خلا بالنعمان يرمي عديّ بن زيد بما يوغر صدرهُ عليهِ ثم كتب كتابًا عن لسان عدي بن زيد الى كسرى ينتقص النعمان فيه ويذكر معايبهُ ودسَّ الكتاب الى من يوصله الى النعمان فلما قرأهُ النعمان غضب على عديّ بن زيد واضمر لهُ السوَّ في نفسهِ وكان عديٌّ يومئذٍ في اهلهِ فامر النعمان بحبسه فكتب عدي الى النعمان يقول

ابا منذرٍ كافيت بالود سخطةَ فماذا جزآء الحرم المتبغّضِ
فان جزآء الخير منك كرامةٌ ولست لنصحٍ فيك بالمتعرّضِ

فلم يحفل النعمان بكلامه وتمادى على حبسه وفي ذلك يقول

ان للدهر صولةً فاحذَرَنّهَـا لا تنامنَّ قد امنت الدهورا
قد يبيت الفتى صحيحًا فيُردَى بعد ما كان آمنـًا مسرورا
انما الدهـــر ليّنٌ ونطوحٌ يترك العظم واهيـًا مكسورا
فسل الناس ايـــن آل قُبَيسٍ طحطح الدهر قبلهم سابُورا
خطفتـــهُ منيـــةٌ فتردَّى وهو فى الملك يأمل التعميرا
وبنو الاصفر الملوك كذا لم يترك الدهر منهمُ مذكورا

وكان لعديّ اخٌ يقال لهُ أُبَيٌّ وكان يخلفهُ عند كسرى اذا غاب وكان يومئذ بباب كسرى فى المدايين فكتب اليهِ عديٌّ يقول

يحنُّ اليـــك شقيق الفُؤا د يكاد لبعدك ان يختزم
لدى ملكٍ موثقٍ بالحديد اما لحقّ واما ظُلِـــــم
فلا تُلفَيَنَّ كثيـر الرقاد بل احزم برايك لى واعتزم

فلما وصلت رسالة عديّ الى احيهِ دخل اخوهُ على كسرى فاخبرهُ بما كان من النعمان فغضب كسرى على النعمان وكتب اليهِ مع رجلٍ من مرازبتهِ يامرهُ باطلاق عديّ فى الحال فاقبل الرسول الى الحيرة وبدا بعديّ فدخل عليهِ فى محبسهِ واخبرهُ بما قَدِمَ بهِ فقال عديٌّ انك ان خرجت من عندى اخاف ان يدسَّ اليَّ النعمان من يقتلنى قال ذلك لا يكون ولا بُدَّ لى من الدخول عليه لابلاغ الكتاب وعلم النعمان بقدوم رسول كسرى اليهِ فى امر عديّ فعلم انهُ ان اطلقهُ فصار الى كسرى افسد عليهِ امرهُ فلما خرج الرسول من عند عديّ ارسل النعمان ثلثة نفر وامرهم ان ياخذوا نفس عديّ فى السجن ففعلوا

قبل ان يدخل الرسول على النعمان ثم دخل عليهِ الرسول بكتاب الملك فلما قرأهُ قال للرسول انطلق اليهِ فاخرجهُ فان حبسني لهُ كان مداعبةً على سبيل المزاح فذهب الرسول الى السجن فوجدهُ ميتًا فرجع الى النعمان وقال ما قتلهُ غيرك وانى لَمُخبِرٌ كسرى بذلك فاعطاهُ النعمان الف دينارٍ وسألهُ ان يُجمل امرهُ عند كسرى ويخبرهُ ان عديًّا مات حتف انفهِ فانصرف الرسول وفعل كذلك ولما قُتِل عديٌّ خاف ابنهُ زيد على نفسهِ فخرج من الحيرة هاربًا الى المدائن حتى دخل على كسرى واخبرهُ بخبر ابيهِ فقرَّبهُ كسرى واحسن اليهِ واقامه مكان ابيهِ وكان يعرف الفارسية عن ابيهِ فجعلهُ ترجمان العرب مكانهُ وكان لملوك العجم اصطلاحٌ على صفاتٍ معلومة للنسآء التى يختارونها لانفسهم فاذا ارادوا امراةً ارسلوا من يعتمدونهُ بتلك الصفات لياتى بمن وجدهُ عليها من النسآء وان كسرى عند قدوم زيد بن عدى اراد ان يرسل خصيًا لهُ فى اختيار جوارٍ لفراشه فقال لهُ زيد ان لعبدك النعمان بن المنذر ابنةَ تُسمَّى حريقة واختًا تُسمَّى سعدى وابنة عمّ تسمى لباب وكلهنّ على وفق الصفة التى يريدها الملك قال كسرى فاكتب كتابًا منى الى النعمان ان يبعث لى بهنّ ان كُنَّ على ما ذكرت فكتب زيدٌ الكتاب وامر كسرى ذلك الخادم ان يقصد فى ذلك الى النعمان فقال زيد ان رايت ايها الملك فابعث بى معهُ ترجمانا بينهُ وبين النعمان قال نعم فانطلق ان شئت محرجا جميعًا حتى عدما الحيرة فدخلا على النعمان ودعا اليه

الكتاب فانكر النعمان ذلك وشقّ عليهِ لان العرب لا يختلطون بالعجم وجعل زيد بن عدى يحرّف الترجمة بين النعمان والخصىّ حتى خرج الخصىّ مغضبًا وانصرف الى المدايين وزيد معه حتى دخلا على كسرى واخبرهُ الخصىّ بما كان من كلام النعمان وقال لهُ ياسيدى ان الكلب الذي بعثت اليهِ قد سمن فتعدى طورهُ فوقع ذلك فى قلب كسرى واستشاط منهُ غضبًا ودعا اياس بن قبيصة الطآءى واقامهُ على اربعة الاف فارس من طى وبهرآء والعباد واياد وولّاهُ مكان النعمان وامرهُ ان يسير الى الحيرة ويبعث اليهِ النعمان مصفّدًا بالحديد وبلغ النعمان ذلك فاستودع اهلهُ وخيلهُ وسلاحهُ عند هانى بن مسعود بن ربيعة بن شيبان الذى يُعرَف بالمزدلف وخرج هاربًا من الحيرة حتى قدم على احيآء طىّ فاجتمع اليهِ عظمآؤهم وقالوا ايها الرجل اننا لا نأمن ان يغزونا كسرى لاجلك فبوقع بنا ما لا نطيق دفعهُ وينال حاجتهُ منك على رغمنا فاخرج عنا غير مطرودٍ فخرج الى بنى عبس فكرهوا نزوله عليهم ولم يقبلوهُ فعزم على الانتقال من عندهم الى قبيلةٍ اخرى وكانت قد خرجت معه امراتهُ المتجردة التى كان يشبّب بها نابغة بنى ذبيان فقالت والله ان الموت خيرٌ مما انت فيه فاذهب الى كسرى واعتذر اليهِ فانهُ يصفح عنك فانصرف حتى اتى المدايين فاستقبلهُ زيد بن عدىّ فقال له النعمان يا ابن اللخنآء لئن بقيت لالحقنّك بابيك فقال زيدٌ اما والله لقد بنيت لك بيتًا لا تخرج منهُ ابدًا ثم دخل

على كسرى فقال ايها الملك ان زيد بن عدىّ قد ترجم كلامى للخصىّ على التحريف وابلغهُ ما لم انطق بكلمة منهُ ودخل زيدٌ فى اثرهِ فقال يا مولاى ان هذا العبد اذا جلس على سريرهِ ووضع التاج على راسهِ ودعا بشرابهِ وندمآيه لا يظنّ ان لك يدًا عليهِ فاوغر ذلك قلب كسرى على النعمان وامر بهِ فأُلقِى فى بيت الافيال فوطئتهُ حتى مات وقيل بل امر بحبسهِ فمات فى السجن وعلى ذلك قول شبيب بن عامر الخمّى

تولّت ليالى آل منذر بعد ما ثووا بدمشقِ اعصرًا ورمانا
وكانوا يقيدون العفاة نوالهم وقد منحوا اهل الزمان امانا
فعادهم فى السجن كسرى ببغيهم وقلّدهم بعد العلوّ هوانا

ثم ان كسرى بعد ذلك كتب الى اياس يامرهُ ان يبعث اليهِ اولاد النعمان وتركته من الخيل والابل والسلاح فارسل اياس الى هانى بن مسعود يامرهُ بذلك فابى ان يسلّم شيًا من ذلك وقال

آليتُ ان لا أُسلِمَ الحلقَه ولا سُعادَ واختها حَرِقَه
حتى يظلَّ الريش منجدلاً او تكدم البيض من الدَرَقه

فكتب اياس الى كسرى يعلمهُ بذلك فآلَى على نفسهِ ان يستاصل بكر بن وايل وكتب الى اياس يامرهُ بالمسير اليهم فى من معه من طىّ ونهرآء والعباد واياد وكتب ايضًا الى قيس بن مسعود الشيبانى المعروف بذى الجدّين وكان عاملا لهُ على بعض الاقطاع يامرهُ ان يمنع العرب من دخول السواد وان يسير بمن معهُ لنجدة اياس فلما

بكر بن وايل ثم عقد كسرى لقايدٍ من قوّادهِ يسمى الهامرز على اثنى عشر الفًا من ابطال اساورتهِ وارسله الى اياس ثم عقد لقايدٍ اخر يُسمّى هرمزد على اثنى عشر الفًا اخرى وامرهُ ان يقفو اثر الهامرز حتى يقدم على اياس بن قبيصة فسارت الجيوش الى بنى بكر بن وايل وكانوا بمكانٍ يُعرَف بذى قار وهو على خمس مراحل من مدينة الرسول مما يلى طريق البصرة واقبلت الجيوش حتى اناخت على بكر بن وايل واحاطت بهم فقالت حرقة بنت النعمان

تسربلنا الحديد غداة بُؤسٍ لحربِ بالدواثر قمطريرِ
وما تحت الحديد اشدُّ منهُ من الاعدآء من غلل الصدورِ
كأنَّ الناس وافونا جميعًا بذى قارٍ لتحليل النذورِ
محيَّتنا المنيَّة حين جآءت ودارت كاسها بيد المديرِ

ثم ان عظمآء بكر بن وايل اجتمعوا الى المزدلف الشيبانى وقالوا ان هذا الجيش قد احدق بنا من كل جانبٍ فما ترى قال ارى ان تجعلوا حصونكم سيوفكم ورماحكم وتوطّنوا انفسكم على الموت قالوا نعم والله ليس لنا الا ذلك فاما ان ندفع عن احسابنا او نموت كرامًا ثم ان قيس بن مسعود الشيبانى اقبل فى سواد الليل من عسكر اياس بن قبيصة حتى وقف على هانى ابن عمهِ فقال يا ابن العم انهُ قد حلَّ بكم من الامر ما ترون فأرَى ان تفرّق خيل النعمان وسلاحهُ على اشدّاء قومك ليستعينوا بذلك على القتال فان سلموا امرنهم عزّوا ما احدوهُ عليك والا فهو ماحوذٌ لا محالة وعليكم

بالصبر واياكم ان تخفروا ذمة النعمان حتى تموتوا فى الحرب فتكون لكم المعذرة بين الناس قال قد اوصيت سميعًا وارجو ان لا ترى منا قصورًا فى ذلك ولا فتورًا فانصرف ذو الجدين باكيًا حزينًا مخافة ان ينكر عليهِ كسرى فيقتلهُ ولما اصبح المردلف دعا بخيل النعمان وسلاحهِ ففرَّقها على ابطال قومهِ فركبوا تلك الخيول وكانت ستماية فرسٍ ولبسوا تلك الدروع وهى ستماية ايضًا واستلموا تلك الرماح والسيوف فكانت عددًا كثيرًا وقطع سبعماية رجلٍ منهم اكمام اقبيتهم من لدن مناكبهم لتخفَّ ايديهم على ضرب السيوف وعمد رجلٌ من اشراف بنى عجل يقال له حنظلة بن يسار الى حزم رحال النسآء فقطعها يريد بذلك ان يمنع القوم من الهرب اذا كانت الدايرة عليهم فسُمِّى مقطّع الوضين وارسل اياس الى بكر بن وايل يخيّرهم احدى ثلث خصالٍ ان يسلّموا تركة النعمان واهله فيسلموا او يسيروا ليلاً فى البرارى فيعتلّ لكسرى انهم هربوا او يبرزوا للحرب وكان اياس لا يريد قتالهم وانما اضطرَّ اليه امر الملك فتوامروا بينهم وقالوا اما ان نسلّم خفارتنا فلا يكون ذلك ابدًا واما ان نسير فى البرارى فذلك اضرُّ علينا من الحرب فليس لنا الا المقام والثبات لقتال الاعجام ثم اختاروا من ابطالهم خمسماية فارسٍ واقاموا عليهم زيد بن حماد اليشكرى وامروهم ان يسيروا فيكمنوا للعجم واصحاب اياس فى بعض مكامن الطريق فساروا وكمنوا لهم بمكان يقال لهُ الحرنم ثم زحف الفرقان وعلى ميمنة

بكر بن وايل حنظلة بن يسار العجلي وعلى ميسرتهم بشر بن شريك وسار المردلف فى القلب بابطال بنى شيبان وعلى ميمنة عسكر اياس الهامرز وعلى ميسرتهِ هرمزد واياس فى القلب بمن معهُ من العرب ولما التقى الجيش بالجيش حمل بعضهم على بعضٍ وتقدم بشر بن شريك امام اصحابهِ وهو يرتجز ويقول

قد جدَّ اعدآؤكم فجدُّوا ما علَّتى وانا صلبٌ جلدُ
والقوس فيها وترٌ غِـــرِدٌ مثل ذراع البكر او أشدّ
قد جعلت اخبار قومى تبدو ان المنايا ليس منهـــا بدّ

وتقدم الهامرز حتى وقف بين الصفين ونادى بالفارسية مَرْدَ مَرْدَ فقال زيد بن حماد اليشكرى ما يقول هذا قيل يدعو الى البراز رجلاً لرجلٍ قال وابيكم لقد انصف وخرج اليهِ فاختلفت بينهما ضربتان وكان السابق بالضرب زيد بن حماد فوقعت الضربة على منكب الهامرز فقطعت درعهُ ولباسهُ حتى افضت الى منكبهِ فابانتهُ فسقط ميتًا وكان هذا اول قتيل قُتِل بين الصفَّين فتباشرت بكر بن وابل بذلك ورجوا ان يكون آية النصر ثم اشتعلت نار الحرب بينهم وصبرت بكر بن وايل صبرًا صادقًا وانتشب القتال بين الصفَّين اشدَّ ما يكون وتمادَوا على ذلك حتى هجم حرّ الظهيرة فعطشت العجم عطشًا شديدًا وضعفت عن الكفاح فمالت الى جبٍّ هناك بين الحوس وذى قار فلم تجد مآء وحال بينهم الليل فبات كل فريقٍ فى مكانه وجآءت روايا المآء الى العجم فشربوا تلك الليلة ولما

اصبحوا ارسلت طى وبهرآء والعباد واياد وبقية العرب من اصحاب اياس الى بكر بن وايل يقولون لهم ان ظفرتم فذلك احبُّ الينا من ظفر العجم فنحن نعتزل الحرب فلا يكون لنا ولا علينا او ننهزم اذا التحم القتال بينكم فقالت بكر بن وايل بل تنهزمون عند ذلك وتخلّون بيننا وبينهم ولما تضاحى النهار زحف الفريقان على بعضهم فالتقوا واقتتلوا اشدَّ القتال حتى توسّط النهار فنفد ما كان مع العجم من الماء واصابهم الحرُّ والعطش وكانت العرب لا تبالى بذلك لاعتيادها عليهِ وخرج كمين العرب زيد بن حماد واصحابهُ من ورآء العجم والهبوهم بالسيوف والرماح فوقع الرعب فى قلوبهم واجفلوا هاربين واتّبعهم سرهان بكر بن وايل فقتلوا منهم عددًا كثيرًا ولحق حنظلة بن يسار العجلىّ بهرمز قايد العجم وكان على ميسرتهم فادركهُ بطعنةٍ سقط منها ميتًا ودفع المزدلف فرسهُ فى طلب اياس بن قبيصة حتى ادركهُ ومعهُ قيس بن مسعود فاراد قتلهُ فمنعهُ قيس وحال بينهما فنجا واتّبع العجم خمسماية فارسٍ من بنى شيبان وبنى عجل وجعلوا يقتلون من ادركوا منهم ولا يلتفتون الى سَلب ولا غنيمةٍ حتى جَنّهم الليل وبلغت اخبارهم كسرى فغضب من ذلك غضبًا شديدًا ووقعت الزلزلة والعويل فى المدايين وكان ذلك سنة ستماية واحدى عشرة للمسيح وهو اول يومٍ انتصفت فيهِ العرب من العجم وتطاولت اعناق العرب فى ذلك اليوم وهو من اعظم ايامهم واكثرت شعرآوهم من ذكره قال عمرو بن شعلبه

يا يوم ذى قارٍ سُقِيتَ من الحيا غيثًا يغسّل من دم الحيَّينِ
عمرى لقد عطفت علينا تغلبٌ وشهابها اللمّاع ذو الرمحينِ
فانجابت الظلماء بابن نُوَيرةٍ وتجلّت الغمّاء عن ظَفَرينِ
وظليم لا انسى هناك مقامهُ وجدابةٌ ومُعَمر بن قُرَينِ
تلك الفوارس ليس يجحد فضلها الا ذميم العرض والأبَوينِ
هم وازرونا بالصوارم والقنا وصلوا لهيب النار فى الصَدَفينِ

وقال ظليم بن الحرث بن حلّزة اليشكرى

اهاجك طيفٌ زار من ام تغلب ففاض بدمع الواله المتصبّبِ
وما زلت عصرًا فى حبايل زينبٍ الى ان كسانى الدهر حلّة أشيبِ
واقصرت عن وصل الحسان مُوَلّيًا الى صَهَواتٍ من سوابق شُزّبِ
الى كل صنديدٍ يسابق ظلّهُ وكل رقيق الشفرتين مشطّبِ
اغادر أُسد الحرب صَرْعَى بعاملٍ وابيض قطّاع بكف مرسّب
الى ان لقيت العُجَم والقوم سادةٌ وفتيان بكرٍ كالسعير الملّهبِ
فللّه قومٌ تغلبيون شمّروا لقد ذهبوا فى يوم ذى قار مذهبى

وقال نُكَير بن الاصمّ

هم يوم ذى قار وقد حمس الوغى خلطوا لهامًا جحفلاً بلهامِ
ضربوا بنى الاحرار يوم لَقُوهُمْ بالمشرفىّ على صميم الهامِ

وهى قصايد طويلة اقتصرنا منها على هذه الابيات التى ذكرناها لحرمانها على الاسلوب المألوف كما اقتصرنا من وقايع العرب

على هذه الوقايع التي شرحناها لشهرتها وصحة الرواية فيها عن المورخين الذين تداولوها والله اعلم

فصل

في ذكر طرفٍ من اخبار فححآء العرب المشاهير

قيل ان اشعر الناس من اهل الوبر امرُ القيس بن حجر الكندي وزُهَير بن ابي سُلمى المُزَني والنابغة الذبياني وعنترة بن شداد العبسيّ ثم لبيد بن ربيعة العامريّ وطَرَفة بن العبد البكريّ والاعشى ميمون بن جندل الاسديّ واجود الشعرآء قصيدةً واحدة طويلة ثلثة نفرٍ وهم عمرو بن كلثوم التغلبيّ والحرث بن حِلِزّة اليشكريّ وطرفة بن العبد المذكور اولاً قيل ان الحرث بن حلزّة قال قصيدته التي مطلعها

اذنتنا ببينها اسمآء رُبَّ نارٍ يملُّ منهُ الثوآء

وهو يومئذ قد اتت عليه مايةٌ وخمسٌ وثلثون من السنين ثم قدم بها على عمرو بن هند وانشدهُ اياها وهو من ورآء سبعة ستور وهند تسمع فلما سمعتها هند قالت والله ما رايت مد اليوم رجلا يقول مثل هذا الكلام وتُضرَب دونهُ سبعة استار فقال الملك ارفعوا سترًا فدنا الحرث وما زالت تعول كذلك ويُرفَع ستر ستر حتى صار مع الملك في مجلسه ثم اطعمهُ من طعمه وامرهُ ان لا ينشد قصيدة

الا متوصّلًا وللعرب قصايد منتخبة شهيرة يعدّونها افضل الشعر وهي سبعة اسابيع منها المعلّقات وهي التي يسمّونها بالسموط ويقال لها السبع الطُوَل ايضًا واصحابها امرء القيس وزهير بن ابى سُلَمى والاعشى ميمون ولبيد العامرى وعمرو بن كلثوم وطَرَفة بن العبد وعنترة بن شداد وهي الطبقة الاولى ثم المجمهرات واصحابها النابغة الذبيانى وعُبَيد بن الابرص وعَدِيّ بن زيد وبشر بن حازم وأُمَيَّة بن ابى الصلت وخداش بن زهير والنمر بن تولب وهي الطبقة الثانية ثم المنتقيات واصحابها المسيب بن علس والمرقش بن جرير وعروة بن الورد والمهلهل بن ربيعة ودُرَيد بن الصِمَّة والمنخل بن عُوَيمِر وهي الطبقة الثالثة ثم المذهبات واصحابها حسّان بن ثابت وعبد الله بن رواحة ومالك بن العجلان وقيس بن الخطيم وأُحَيحة بن الجلّاح وابو قيس بن الاسلب وعمرو بن امرء القيس وهي الطبقة الرابعة ثم المراثى واصحابها ابو ذُؤَيب الهُذَليّ ومحمد بن كعب الغَنَويّ والاعشى الباهلى وعلقمة المطموس وابو زبيد الطاءى ومالك بن الريب النهشلى ومتمّم بن نُوَيرة التميميّ وهي الطبقة الخامسة ثم المشوبات واصحابها كعب بن زهير وتابعة بن جعدة والقطاميّ والحطيئة والشمّاخ بن ضرارة وعمرو بن احمد وتميم بن مقبل وهي الطبقة السادسة ثم الملحمات واصحابها الفرزدق التميميّ وجرير الخَطَفيّ والاخطل التغلبيّ وعُبَيد الراعى وذو الرمّة والكميت بن زيد والطرماح وهي الطبقة السابعة وهذه التسع

والاربعون قصيدة هي عيون اشعار العرب واصحابها فحول الشعرآء الذين مدحوا وذمّوا وذهبوا في الشعر كل مذهبٍ واختلف الناس في من قال الشعر ابتدآء فمنهم من قال عاد ومنهم من قال ثمود ومنهم من قال حِمْيَرَ ومنهم من قال ربيعة ومنهم من قال مُضَر واختلفوا في تفاضل الشعرآء فقال قومٌ افضلهم امرء القيس وقيل زهير بن ابي سلمى وقيل عنترة بن شداد وقيل غير ذلك قيل وسُئل الاصمعيّ من اشعر العرب فقال عنترة اذا ركب وزهير اذا رغب والنابغة اذا طرب والاعشى اذا رهب وقال الذين يقدمون زهيرًا انهُ كان شاعرًا فصيحًا اديبًا لا يخالف بين الكلامين ولا يتبع وحشيّ الكلام ولا يمتدح رجلاً بغير ما فيه ومن شعره قوله يمدح سنان بن هرم وقومهُ بني مُرّة

لو كان يقعد فوق الشمس من كرمٍ قومٌ بآبآيهم او مجدهم قعدوا
قومٌ ابوهم سنانٌ حين تنسبهم طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا
جنٌّ اذا فزعوا انسٌ اذا امنوا ممّردون بهاليلٌ اذا جهدوا
لو يُعدَلون بوزنٍ او مكايلهِ مالوا برضوَى ولم يُعدَل بهم أُحُدْ
هم يُحسَدون على ما كان من شرفٍ لاينزع الله منهم ما بهِ حُسِدوا

وكانت وفاته سنة احدى وثلثين وستماية للمسيح وقال الذين يقدمون الاعشى انهُ كان زاهدًا ورعًا متواضعًا طلق الوجه حسن المجالسة وكان طيب الحديث رقيق الشعر سهل الالفاظ وكان امدح الشعرآء للملوك واوصفهم للنسآء واغزرهم شعرًا واحسنهم

انشادًا وكانت وفاته سنة تسع وعشرين وستماية للمسيح وقال الذين يقدمون لبيدًا انهُ كان شريفًا فى الجاهلية والاسلام شاعرًا فاضلاً مجيدًا وكان اعرب فحآء العرب واقلّهم لغوًا فى شعرهِ وعاش عمرًا طويلاً حتى ادرك الاسلام وعلى ذلك قولهُ

ولقد سَئِمتُ من الحيوة وطولها وسُؤال هذا الناس كيف لبيدُ

ومن شعرهِ قولـــــهُ

ذهب الذين يُعَاش فى اكنافهم وبقيت فى خلقٍ كجلد الاجربِ

لا ينفعون ولا يُرَجَّى خيرهم ويعاب قايلهم وان لم يشغبِ

وتوفى فى خلافة عثمان بن عفّان وقيل فى اول خلافة معوية بن ابى سفيان وقال الذين يقدمون عمرو بن كلثوم لله درّهُ لو انهُ رغب فيما رغب فيهِ اصحابهُ من كثرة الشعر ولكن واحدتهُ اجود من مايتهم وقيل ان قصيدة عمرو بن كلثوم كانت تزيد على الف بيتٍ لكنها فى ايدى الناس غير كاملة وانما فى ايديهم ما حفظوهُ منها وقال الذين يقدمون طرفة بن العبد هو اشعر العرب لانه بلغ فى حداثة سنّهِ ما بلغ القوم فى طول اعمارهم وذلك انهُ كان قد بلغ من العمر ما ينيف عن العشرين سنة قليلاً ثم اتّصل بملوك الحيرة فمجا عمرو بن هند بقولهِ

عيا عجبا من غى عمرٍو وبغيه لقد رام ظلمى عمرو هندٍ فانعما

ولا عيب فيهِ غير ان لهُ غنى وان لهُ كشحًا اذا قام اهضما

ولما بلغ قولهُ عمرا امر بقتله وهو اذ ذاك لم يبلغ من العمر خمسا

وعشرين سنة وقال الذين يقدمون عنترة انهُ كان حسن الشيم شديد النخوة كريمًا مضيافًا وذلك قولهُ انى لا اهلك الا عن ثلثةٍ لانى من قومٍ يجيرون الصايح ويكرمون المادح ويطعمون الغادى والرايح وكانت امهُ امةً حبشية اسمها زبيبة سباها ابوهُ شداد فى بعض الغزوات فذلك قولهُ من ابياتٍ يقول فى مطلعها

طال الثوآء على رسوم المنزلِ بين الكليل وبين ذات الحرمل

الى ان يقول

انى امرٌ من خير عبسٍ منصبًا شطرى واحمى سائرى بالمنصل

واذا الكتيبة اجمت وتلاحظت ألفيتُ خيرًا من مُعِمٍّ مُخْوِلِ

وكان عنترة فصيح الكلام رقيق الشعر سهل العبارة لا ياخذ مأخذ الجاهلية فى ضخامة الالفاظ ونفورها ومن ذلك قولهُ

اذا ريح الصبا هبَّت اصيلا شفت بهبوبها قلبًا عليلا

وجاءتنى تخبّر ان قومى بمن اهواهُ قد جدّوا الرحيلا

وما عنّوا على من خلّفوهُ بوادى الرمل منطرحًا جديلا

يحنّ صبابةَ ويهيم وجدًا اليهم كلّما ساقوا الحمولا

الا ياعبل ان خانوا عهودى وكان ابوكِ لا يرعى الجميلا

حملت الضيم والكجران جهدى على دهرى وخالفت العدولا

ألفتُ السقم حتى صار جسمى اذا فقد الضنى امسى عليلا

وعاداني غراب البين حتى كانى قد قتلتُ لهُ قتيلا

وقد غنى على الاغصان طيرٌ بصوت حنينه بث الخليلا

بكى فاعرتهُ احفان عينى وناح فزاد اعوالى عويلا

فقلت له جرحت صميم قلبي وابدى نوحك الدا الدخيلا
وما ابقيت في جفني دموعًا ولا جسمًا اعيش بهِ نحيلا
ولا ابقى لي الهجران صبرًا لكي القى المنازل والطلولا
ولو اني كشفت الدرع عني رايت ورآءهُ رسمًا محيلا
أَلِفتُ نوايب الايام حتى رايت كثيرها عندي قليلا

وكان بصيرًا باساليب الشعر وفنونهِ حسن التصرف في المعاني ومن ذلك قوله من معلقتهِ

ولقد شربت من المدامة بعد ما ركد الهواجر بالمَشُوف المُعلَمِ
بزجاجةٍ صفراء ذات أَسِرَّةٍ قُرِنَت بأَزهرَ في الشمال مُفَدَّمِ
واذا شربت فانني مستهلكٌ مالي وعرضي وافرٌ لم يُكلَمِ
واذا صحوت فما اقصّر عن ندى وكما علمت شمايلي وتكرُّمي

وقولهُ من ابيات

احبك ياطلومُ فانت عندي مكان الروح من جسد الجبانِ
ولو اني اقول مكان روحي خشيت عليك بادرة الطعان

ولهُ البد الطولى في الحماسة وهي اليق بهِ ومن ذلك قولهُ

فاعمل ان كان ظلَّ القسطل الخَلِكِ اخفى عليك قتالي يوم مُعتَرَكي
فسائلي عرسي هل كنت اطلقهُ الا على موكبٍ كالليل محتبكِ
وسائلي السيف عني هل ضربت بهِ يوم الكريهة الّا هامة الملكِ
وسائلي الرمح عني هل طعنت بهِ الا المُدَّرع بين النحر والحنكِ
اسقي الحسام واسقي الرمح نهلتهُ وانبع القرن لا اخشى من الدَرَكِ

لولا الذى ترهب الاملاك قدرته جعلت متن جوادى قبّة الفلك

وامثال ذلك فى شعرهِ كثيرةٌ لا تُحصَى وكانت وفاته سنة خمس عشرة وستماية للمسيح قيل ان عبد الملك بن مروان سأل يومًا عن اشجع العرب شعرًا فقيل عمرو بن معدى كرب الزبيدى فقال كيف وهو الذى يقول

وجاشت الىّ النفس اول مرّةٍ ورُدّت على مكروهها فاستقرّتِ

قالوا فعمرو بن الاطنابة قال كيف وهو الذى يقول

وقولى كلما جَشَأَت وجاشت مكانك تحمدى او تستريحى

قالوا فعامر بن الطُفَيل قال كيف وهو الذى يقول

اقول لنفسٍ لا يُجَاد بمثلها أقِلّى مزاحًا اننى غير مدبرِ

قالوا فمن اشجعهم عند امير المومنين قال اربعة عبّاس بن مرداس وقيس بن الخطيم وعنترة بن شداد ورجلٌ من مُزَينة اما عبّاس فلقولهِ

اشد على الكتيبة لا ابالى أفيها كان حتفى ام سواها

واما قيس فلقولهِ

وانى لدى الحرب العوان مُوَكّلٌ بتقديم نفس لاريد بقاهـــا

واما عنترة فلقولهِ

اذا يتّقُون بىَ الاسنّة لم أَخِم عنها ولكنى تُصَايق مقدمى

واما المُزَنىّ فلقولهِ

دعوت نمى فُجَاءة فاستجابوا عقلتْ ردُوا فقد طاب الوُرودا

ومن فصحاء العرب وشعرآيهم سُلَيك بن السَلَكة واسمهُ الحرث بن عمرو بن زيد مناة التميميّ وكانت العرب تسميهِ سُلَيك المقانب والسلكة امه وكانت سوداء واليها يُنسَب وكان انكد العرب واشعرهم وادلّ الناس فى الارض واعداهم على رجلهِ لا تلحق بهِ الخيل ومن حديثهِ انهُ راتهُ طلايع جيشٍ لبكر بن وائل جآءوا متجردين ليغيروا على تميم فقالوا ان علم السُلَيك بنا انذر قومهُ فبعثوا اليهِ فارسين فلما هايجاهُ خرج يعدو كانه ظبيٌ فطارداهُ سحابة يومه ثم قالا اذا كان الليل اعيى فسقط فياخذانهِ فلما اصبحا وجدا اثرهُ وتحقّقا انهما لا يقدران ان يدركاهُ فانصرفا عنهُ فقدم السُلَيك على قومهِ فكذبوهُ فانشا يقول

يكذّبنى العمران عمرو بن جندبٍ وعمرو بن سعدٍ والمكذّب اكذبُ
ثكلتهما ان لم اكن قد راينها كراديس يهديها الى الحىّ موكبُ
كراديس فيها الحوفزان وقومهُ فوارس هُمَّامٌ متى يدعُ يركبوا
سعيت لعمرى سعى غير مقصّرٍ ولا عاجزٍ لو انـــى لا أُكذَّبُ

ولهُ فى امراةٍ يقال لها فكهة من بنى عوارة وهم بطنٌ من مالك بن صعصعة وكانت قد اجارتهُ من القتل

لعمر ابيك والانبآء تنمـى لنعم الجار اخت بنى عوارا
من الخفرات لم تفضح اباها ولم تدفع لاخوتها شنارا
كانَّ محامع الارداف منها نَقًا دَرَجت عليهِ الريح هارا
يعاف وصال ذات البذل قلبى ويتّبـــع الممنّعة النوارا

وما عجزت نُكَيهة يوم قامت بنصل السيف وانتضت الخمارا

ومات السُلَيك قتيلاً فى بعض الغارات قتلهُ انس بن مدرك الخثعمىّ وكان ذلك سنة خمس وستماية للمسيح ومن شعرآء العرب المشهورين فى الجاهلية عمرو بن معدى كرب الزبيدىّ وكان جوادًا شريفًا فى قومهِ مشهورًا بالشجاعة وشدة الباس وهو الذى تقول فيهِ بعض نسآء العرب

ايا ليت جارى كجار الحُصَين وبعلىَ عمرو بن معدى كَرِب

ومن شعرهِ المشهور الذى يُتمثَّل بهِ قولهُ فى اختهِ ريحانة وقد سباها بعض العرب

امن ريحانة الداعى السميعْ يُؤَرِّقنى واصحابـــى هُجُوعْ
سباها الصِمَّة الحسبىّ غصبا كأَنَّ بياض غُرَّتهـــا صديعْ
وحالت دونها فرسان قيسٍ تُكَشَّف عن سواعدها الدروعْ
اذا لم تَستطع شيا فدَعْهُ وجاوزهُ الى ما تستطـــيعْ
وكيف تريد ان تُدعَى حكيمًا وانت لكل ما تهوى تبوعْ

وكانت وفاتهُ سنة اثنتين واربعين وستماية للمسيح ومن شعرآء العرب الذين سارت اشعارهم فى الآفاق السَمَوْأَل بن عادياء العسّانىّ واشهر شعرهِ قصيدتهُ اللامية التى يقول فيها

اذا المرْء لم يدنس من اللوم عرضهُ فكلّ ردآءٍ يرتديـــه جميلْ
وان هُوَ لم يحمل على النفس صبمها فليس الى حسن الثنآء سبيـــلْ
تعيّرنـــا انّا قليلْ عديدنـــا فقلت لها ان الكرام قليـــلْ

وما قلَّ من كانت بقاياهُ مثلنا شبابٌ تسامى للعُلَى وكهولُ
وما ضرَّنا انَّا قليلٌ وجارنا عزيزٌ وجار الاكثرين ذليلُ
لنا جبل يحتلُّهُ من نجيرهُ منيعٌ يردُّ الطرف وهو كليلُ
رسا اصلهُ تحت الثرى وسما به الى النجم فرعٌ لا يُنَال طويلُ
هو الابلق الفرد الذى شاع ذكرهُ يعزُّ على من رامهُ ويطولُ
وانَّا لقومٌ لا نرى الموت سُبَّةً اذا ما رأتهُ عامرٌ وسلولُ
يُقرِّب حبُّ الموت آجالنا لنا وتكرههُ آجالهم فتطولُ
وما مات منا سيِّدٌ حتف انفهِ ولا ضلَّ منا حيث كان قتيلُ
تسيل على حدّ الظبآء نفوسنا وليس على غير الظبآء تسيلُ
صفونا فلم نكدر واخلص سرُّنا اناثٌ اطابت حملنا وفحولُ
علونا الى خير الظهور وحطَّنا لوقتٍ الى خير البطون نزول
فنحن كمآء المزن ما فى نصابنا كهامٌ ولا فينا يُعَدُّ بخيلُ
وننكر ان شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقولُ
وما خمدت نارٌ لنا دون طارق ولا ذمَّنا فى النازلين نزيلُ
وايامنا مشهورةٌ فى عدوّنا لها غُرَرٌ معلومةٌ وحجولُ
واسيافنا فى كل شرق ومغربٍ بها من قراع الدارعين فلولُ
معوَّدةٌ ان لا تُسَلَّ نصالها فتُغمَد حتى يُستَباحَ قتيلُ
سلى ان جهلت الناس عنا وعنهمُ فليس سوآء عالمٌ وجهولُ
فان بنى الريَّان نطبٌ لقومهم ندور رحاهم حولهُ فتحولُ
والسموأل نضرب به المثل فى الوفآ وكان من وفآيه ان امرُ القيس

لما اراد الخروج الى قيصر استودعهُ دروعًا فلما مات امرُ القيس غزاهُ ملك من ملوك الشام وكان من عشيرة امرِ القيس وطلب الدروع منهُ فابى ان يسلّمها وتحصّن منهُ محاصرهُ ايامًا ثم ظفر بابنه خارج الحصن فصاح بالسموأل وقال هذا ابنك فى يدى فان دفعت اليّ الدروع والا قتلتهُ قال لا سبيل الى ذلك فاصنع ما انت صانعٌ فقتلهُ وانصرف بالخيبة وفى ذلك يقول السموأل

وفيتُ بأدرُع الكندىّ انى اذا ما خان اقوامٌ وفيتُ
وقالوا انهُ كبرٌ وعيبٌ ولا والله اغدر ما مشيتُ
بَنى لى عاديا حصنًا حصينًا وبيرًا كلما شئتُ استقيتُ

واما المعلّقات فاولها معلقة امرُ القيس بن حجر الكندىّ قال

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضِحَ فالمقراة لم يعفُ رسمها لما نسجتهُ من جنوب وشمأل
وقوفًا بها صحبى علىّ مطيّهم يقولون لا تهلك اسًى وتجمّل
وان شفآءى عبرة مُهراقةٌ فهل عند رسم دارس من مُعوّل
كدأبك من امّ الحُوَيرث قبلها وجارتها ام الرباب بمأسل
اذا قامتا تضوّع المسك منهما نسيم الصبا جآءت بريّا القرنفل
كانى غداة البين يوم تحمّلوا لدى سَمُرات الحىّ ناقف حنظل
فعاضت دموع العين منى صبابة على النحر حتى بلّ دمعى محملى
الا رُبّ يوم صالح لك منهما ولاسيّما يومٌ بدارة جلجل
ويوم عقرت للعذارى مطيتى فيا عجبا من رحلها المتحمّل

فظلّ العذارى يرتمين بلحمها ... وشحمٍ كهدّاب الدِمَقْس المُفتّلِ
ويوم دخلت الخدر خدر عُنَيزةٍ ... فقالت لك الويلات انك مُرجِلى
تقول وقد مال الغبيط بنا معًا ... عقرت بعيرى يا امرَّ القيس فانزلِ
فقلتُ لها سيرى وارخى زمامهُ ... ولا تبعدينى من جناك المعللِ
فمثلكِ حُبلَى قد طرقتُ ومرضعٍ ... فالهيتها عن ذى تمايم مُحوِلِ
اذا ما بكى من خلفها انصرفت لهُ ... بشقٍّ وتحتى شِقُّها لم يُحَوَّلِ
ويومًا على ظهر الكثيب تعذّرت ... على وآلت حلفةً لم تُحَلّلِ
أفاطِمَ مهلاً بعضَ هذا التدللِ ... وان كنتِ قد ازمعتِ صرمى فأجملى
اغرَّكِ منى ان حبّكِ قاتلى ... وانكِ مهما تامرى القلب يفعلِ
وان تكُ قد ساءتك منى خليقةٌ ... فسُلّى ثيابى من ثيابك تنسلِ
وما ذرفت عيناكِ الا لتضربى ... بسهميكِ فى اعشار قلبٍ مقتّلِ
وبيضة خِدرٍ لايرام خباؤُها ... تمتعت من لهوى بها غير معجلِ
تحاوزت احراسًا اليها ومعشرًا ... علىّ حراصًا لو يُسِرُّون مقتلى
اذا ما الثريا فى السماء تعرضت ... تعرُّضَ اثناء الوشاح المفصّلِ
مجئتُ وقد نضّت لنوم ثيابها ... لدى الستر الّا لبسة المتفضّل
فقالت يمين اللّه مالك حيلةٌ ... وما ان ارى عنك الغواية تنجلى
خرجتُ بها امشى تجرّ وراءنا ... على أثرَينا ذيل مرطٍ مرجّلِ
فلما اجزنا ساحة الحى وانتحى ... بنا بطن حبتٍ ذى حقافٍ عقنقلِ
هصرت بفودى راسها فتمايلت ... علىّ هضيم الكشح ريّا المخلخلِ
مهفهفة بيضاء غير مفاضة ... ترائبها مصقولة كالسجنجلِ

كبكرِ المُقاناة البياض بصفرةٍ غذاها نميرِ الماءِ غيرِ محلّلِ
تصدُّ وتبدى عن اسيل وتتّقى بناظرةٍ من وحش وجرة مطفلِ
وجيدٍ كجيد الريم ليسَ بفاحشٍ اذا هى نَضَّتــــهُ ولا بمعطَّل
وفرعٍ يزين المتن اسود فاحمٍ اثيثٍ كقِنْوِ النخلة المتعثكلِ
غدائرهُ مستشزراتٌ الى العُلَى تضلُّ العقاص فى مثنّى ومرسلِ
وكشحٍ لطيفٍ كالجديل مخصّرٍ وساقٍ كانبوب السقىّ المذلّل
ويضحى فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل
وتعطو برخصٍ غيرِ شثنٍ كانهُ اساريع ظبيٍ او مساويك اسحل
تضئُ الظلام بالعشىّ كانهــا منارة ممسى راهبٍ متبتّــــل
الى مثلها يرنو الحليم صبابةً اذا ما اسبكرَّت بين درع ومحول
تسلّت عمايات الرجال عن الصبا وليس فوادى عن هواك بمنسل
الا رُبَّ خصمٍ فيكِ ألّوى رددتهُ نصيحٍ على تعذالهِ غيرِ مؤتل
وليلٍ كموج البحر ارخى سدولهُ علىَّ بانواع الهموم ليبتــلى
فقلت لهُ لما تمطّى بصلبــه واردف اعجازًا وناء بكلكل
الا ايها الليل الطويل الا انجلى بصبحٍ وما الاصباح منك بامثل
فيا لك من ليلٍ كان نجومهُ بكل مغارِ الفتل شُدَّت بيذبل
كان الثريا عُلِّقَت فى مصامها بامراس كتّان الى صُمّ جندل
وقربة اقوامٍ جعلت عصاميا على كاهلِ منى ذلول مرحّل
ووادٍ كجوف العيرِ قفرٍ قطعتهُ به الذيب يعوى كالخليع المعيّل
فقلت له لمّا عوى ان شانيا عليك العمى ان كنت لما تمول

كلانا اذا ما نال شيئاً افاتهُ ومن يحترث حرثي وحرثك يُهزَلِ
وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكلِ
مكرٍّ مفرٍ مقبلٍ مدبرٍ معًا كجلمود صخرٍ حطَّهُ السيل من عَلِ
كُميتٍ يزل اللبد عن حال متنهِ كما ذلّت الصفواء بالمتنزّلِ
على الذبل جيّاشٍ كان اهتزامهُ اذا جاش فيه حميه غَلْيَ مِرجلِ
مسحٍ اذا ما السابحات على الونى اثرن الغبار بالكديد المركّلِ
يزل الغلام الخِفُّ عن صهواتهِ ويلوي باثواب العنيف المثقّل
درير كخذروف الوليد أمرَّهُ تتابُعُ كفَّيهِ بخيطٍ موصّلِ
له أيطلا ظبيٍ وساقا نعامةٍ وارخاءُ سرحانٍ وتقريب تنفل
ضليعٍ اذا استدبرتهُ سد فرجهُ بضافٍ فويق الارض ليس باعزلِ
كأنّ على المتنين منه اذا انتحى مداك عروس او صلاية حنظلِ
كأنّ دماء الهاديات بنحرهِ عصارة حنّاءٍ بشيبٍ مرجّلِ
تعنّ لنا سربٌ كأنّ نعاجهُ عذارى دوارٍ في ملاءٍ مذيّلِ
فادبرن كالجزع المفصّل بينهُ بجيد مُعمٍ في العشيرة مُخولِ
فالحقنا بالهاديات ودونهُ جواحرها في صَرّةٍ لم تزيّلِ
فعادَى عِداء بين ثورٍ ونعجةٍ دراكًا ولم ينضح بماءٍ فيُغسلِ
فظل طهاة اللحم ما بين منضجٍ صفيف شواءٍ او قديرٍ معجّلِ
ورحنا يكاد الطرف يقصر دونهُ متى ما ترقّ العين فيه تسهّلِ
فبات عليه سرجهُ ولجامهُ وبات نعيني قايمًا غير مرسلِ
فاصبح في قرقا اريك ومبصهُ كلمع اليدين في حبيّ مكلّلِ

يضيءُ سناهُ او مصابيح راهبٍ امال السليط بالذبال المفتّلِ
فعدتُ له وصحبتي بين ضارجٍ وبين العذيب بعد ما متأمّلي
على قطنٍ بالشيم ايمن صوبهِ وايسرهُ على الستار فيذبلِ
فاضحى يسحّ الماء حول كُتيفةٍ يكبُّ على الاذقان دوح الكنهبلِ
ومرّ على القنان من نفياتهِ فانزل منه العصم من كل منزلِ
وتيماء لم يترك بها جذع نخلةٍ ولا أُطُمًا الا مشيدًا بجندل
كأنّ ثبيرًا في عرانين وبلهِ كبير اناسٍ في بجادٍ مزمّلِ
كأنّ ذُرى راس الحُجيرِ غدوةَ من السيل والاغثاء فلكة مغزل
والقى بصحراء الغبيط بعاعهُ نزول اليماني ذي العياب المحمّلِ
كأنّ مكاكيّ الجواء غُديّةً صبحن سلافًا من رحيقٍ مفلفل
كان السباع فيهِ غرقى عشيّةَ بارجائهِ القصوى انابيش عنصل

وقال زهير بن ابي سلمى المزني

أمِن أُمِّ اوفى دِمنةٌ لم تكلّمِ بحومانةِ الدّراج فالمتثلّمِ
ودارٌ لها بالرقمتين كانها مراجيع وشمٍ في نواشرِ معصمِ
بها العِين والآرام يمشين خلفة واطلاؤها ينهضن من كل مجثم
وقفت بها من بعد عشرين حجّةً فلأيًا عرفت الدار بعد توهّمِ
اثافيَّ سفعًا في معرّس مرجلٍ ونؤيًا كجذم الحوض لم يتثلّمِ
فلما عرفت الدار قلت لربعها الا انعم صباحا ايها الربع واسلمِ
تبصّر خليلي هل ترى من ظعائن تحمّلن بالعلياء من فوق جرثمِ

علون بانماطِ عتاقٍ وكِلَّةٍ ورادٍ حواشيها مشاكهة الدمِ
ورُكّدن في السوبان يعلون متنهُ عليهن دلُّ الناعم المتنعمِ
بكرن بكورًا واستحرن بسحرةٍ فهن ووادي الرسّ كاليد في الفمِ
وفيهن ملهًى لِلَّطيف ومنظرٌ انيقٌ لعين الناظر المتوسمِ
كان فتات العهن في كل منزلٍ نزلن بهِ حَبَّ الفنا لم يُحَطَّمِ
فلما وردن الماء زرقًا حمامةُ وضعن عُصيّ الحاضر المتخيمِ
جعلن القنان عن يمينٍ وحزنهُ وكم بالقنان من محلٍ ومحرمِ
ظهرت من السوبان ثم جزعنهُ على كل قَينيّ قشيب ومُفأمِ
فاقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجالٌ بنوهُ من قريش وجُرهُمِ
يمينا لنعم اليَدانِ وجدتما على كل حال من سحيلٍ ومبرمِ
سعى ساعيًا غيظ بن مرة بعدما تبزَّل ما بين العشيرة بالدمِ
تدارَكنما عبسًا وذبيان بعد ما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشمِ
وقد قلتما ان ندرك السلم بعدها بمالٍ ومعروفٍ من القول نسلمِ
فاصبحتما منها على خير موطن بعيدين فيها من عقوقٍ ومأثمِ
عظيمين في عليا معدٍّ هديتما ومن يستبح كنزًا من المجد يعظمِ
تعفى الكلوم بالمثِينَ فاصبحت ينجّمها من ليس فيها بمجرمِ
ينجّمها قومٌ لقوم غرامةً ولم يهرقوا ما بينهم ملأ مُعجمِ
فاصبح يجري فيهِمِ من تلادكم مغانم شتّى من أفالٍ مُزَنّمِ
الا أبلِغ الاحلاف عني رسالةً وذبيان هل اقسمتم كل مقسمِ
فلا تكتمُنّ اللّه ما في صدوركم ليخفى ومهما يُكتَم اللّه يعلمِ

يُؤَخَّرْ فيوضع فى كتابٍ فيُدَّخَرْ ليوم الحساب او يُعَجَّل فيُنتقَمِ
وما الحرب الّا ما علمتم وذقتمُ وما هو عنها بالحديث المرجَّمِ
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً وتضرز اذا اضريتموها فتُضرَمِ
فتعرككُمْ عرك الرحَى بثفالها وتلقح كشافًا ثم تنتج فتُتئمِ
فتنتج لكم غلمان اشام كلهمْ كاحمرِ عادٍ ثم ترضع فتفطمِ
فتغلل لكم ما لم تغلّ لاهلها قُرًى بالعراق من قفيز ودرهمِ
لعمرى لنعم الحىّ جرّ عليهمِ بما لا يُوَاتيهم حُصَين بن ضمضمِ
وكان طوى كشحًا على مستكنّةٍ فلا هُوَ ابداها ولم يتقدمِ
وقال ساقضى حاجتى ثم اتّقى عدوى بالفٍ من ورآى ملحمِ
فشدّ ولم يفزع بيوتًا كثيرةً لدى حيث القت رحلها أُمّ قشعمِ
لدى اسدٍ شاك السلاح مقذّفٍ لهُ لبدٌ اظفارهُ لم تُقلَّمِ
جرىٍ متى يُظلَم يُعاقِب بظلمهِ سريعا والّا يُبد بالظلم يظلمِ
رعوا ظمْأهم حتى اذا تمّ اوردوا غمارًا تفرّى بالسلاح وبالدمِ
فقضّوا منايا بينهم ثم اصدروا الى كَلَاءٍ مستوبل متوخمِ
لعمرك ماجرّت عليهم رماحهم دم ابن نهيك او قتيل المثلّمِ
ولا شاركت فى الموت فى دم نوفل ولا وهَب منها ولا ابن المخرّمِ
فكلّا اراهم اصبحوا يعقلونهُ صحيحات مال طالعات بتحرمِ
لحَىّ حِلالٍ يعصم الناسَ امرهم اذا طرقت احدى الليالى بمعظمِ
كرام فلا ذو الضغن يدرك تَبلَهُ لديهم ولا الجانى عليهم بمُسلمِ
سئمتَ تكاليف الحموة ومن يعش ثمانين حولا لا ابا لك بسأمِ

واعلم ما في اليوم والامس قبلهُ ولكنني عن علم ما في غدٍ عمِ
رايت المنايا خبط عشواء من تصِب تمتهُ ومن تخطى يُعمّر فيهرمِ
ومن لا يصانع في امورٍ كثيرةٍ يَعُزّها ومن لا يتّق الشتم يُشتَمِ
ومن يكُ ذا فضل فيبخل بفضلهِ على قومه يُستغنَ عنه ويُذمَمِ
ومن يوفِ لا يُذمَمْ ومن يُهدَ قلبهُ الى مطمئنّ البرّ لا يتجمجمِ
ومن هاب اسباب المنايا ينلنهُ وان يَرقَ اسباب السماء بسُلّمِ
ومن يجعل المعروف في غير اهلهِ يكن حمده ذمًّا عليه ويندمِ
ومن يعص اطراف الزجاج فانهُ يطيع العوالي رُكّبَت كل لَهذَمِ
ومن لا يَذُد عن حوضهِ بسلاحهِ يُهَدَّم ومن لا يظلم الناسَ يُظلَمِ
ومن يغترب يحسب عدوًّا صديقهُ ومن لا يُكرِّم نفسهُ لا يُكرَّمِ
ومهما يكن عند امرءٍ من خليقةٍ وان خالها تخفى على الناس تُعلَمِ
وكأيِّنْ ترى من صامت لك معجبٍ زيادتهُ او نقصهُ في التكلمِ
لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادهُ فلم يبقَ الا صورة اللحم والدمِ
وان سفاه الشيخ لا حلمَ بعدهُ وان الفتى بعد السَفاهة يحلمِ
سالنا فاعطيتم وعدنا فعدتمُ ومن اكثر التسآل يومًا سَيحرمِ

وقال الاعشى ميمون بن قيس الاسدي

ودّع هُرَيرة ان الركب مرتحلُ وهل تطيقُ وداعًا ايها الرجلُ
عرّاء مرعاء مصقولٌ عوارضها تمشي الهويناكما يمشي الوحي الوحِلُ
كأنّ مسبيها من بيت حارثها مسرُّ السحابة لا ريثٌ ولا عجلُ

تسمع للحلى وسواسا اذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل
ليست كمن يكره الجيران طلعتها ولا تراها لسر الجار تختتل
يكاد يصرعها لولا تشدّدها اذا تقوم الى جاراتها الكسل
اذا تلاعب قرنا ساعة فترت وارتجّ منها ذنوب المتن والكفل
صفر الوشاح وملء الدرع بهكنة اذا تأتّى يكاد الخصر ينخزل
نعم الضجيع غداة الدجن يصرعها للدة المرء لاجاف ولا تفل
هركولة فنق درم مرافقها كأنّ اخمصها بالسوك منعجل
اذا تقوم يضوع المسك اصورة والزنبق الورد من ارداتها شمل
ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزّر بعميم النبت مكتهل
يوما باطيب منها نشر رائحة ولا باحسن منها اذ دنا الأصل
غلّقتها عرضا وعلّقت رجلا غيري وعلّق اخرى غيرها الرجل
وعلقته فتاة ما يحاولها ومن ثنى عنها مدت بها وهل
وغلّقتنى احرى ما تلايمنى فاجتمع الحب حبّ كله ثمل
فكلنا مغرم يهدى بصاحبه ناء ودان ومحمول ومحتمل
صدّت هريره عنا ما نكلمنا جهلا بام خليد حبل من تصل
أأن رأت رجلا اعشى اضرّ به ريب المنون ودهن مفند خبل
قالت هريرة لما جئت زائرها ويلى عليك وويلى منك يا رجل
اما نهيتك خلاه لا تعال لنا انا كذلك ما نحظى ونبتذل
وقد احالس رب البيت يعذلنى وقد يحاذر منى ثم ما ننل

وقد اقود الصبى يوما فيتبعنى ... وقد يصاحبنى ذو الشدة الغزلُ
وقد غدوت الى الحانوت يتبعنى ... شاوٍ مشلٌ شلولٌ شلشلٌ شلِلُ
فى فتيةٍ كسيوف الهند قد علموا ... ان هالكٌ كل من يحفى وينتعلُ
نازعتهم قضب الريحان متكئًا ... وقهوة مزّةً راووقها خضـــلُ
لا يستفيقون منها وهى راهنةٌ ... الّا بهاتٍ وان عُلّوا وان نهلوا
يسعى بها ذو رجاجات لهُ نطفٌ ... مقلّقٌ اسفل السربال معتملُ
ومستجيب تخال الصبح يسمعهُ ... اذا ترجّع فيه القينة الفضلُ
والسابحات ذيول الريط آونةَ ... والرافلات على اعجازها العجلُ
من كل ذلك يومٌ قد لهوت بهِ ... وفى التجارب طول اللهو والغزلُ
وبلدة مثل ظهر النرس موحشةٍ ... للجنّ بالليل فى حافاتها زجلُ
لا يَتَمَنّى لها بالقيظ يركبها ... الا الذين لهم فى ما اتوا مهلُ
حاورتها بطليح جسرة سرحٍ ... فى مرفقيها اذا استعرضتها فتلُ
يا هنى ترى عايضا قد بتّ ارمقهُ ... كانما البرق فى حافاتهِ شعلُ
لـــهُ ردافٌ وجورٌ مفأمٌ عملٌ ... منطّقٌ بسجال الماء متصـــلُ
لم يلهنى اللهو عنه حين ارقبه ... ولا اللذاذة من كاسٍ ولا شغلُ
عللت للشرب فى دُرّنا وقد ثملوا ... شيموا وكيف يشيم الشارب الثملُ
فالوا نماز فبطن الخال حاديها ... فالعسجدية فالأبلاءُ فالرجلُ
فالسمع يجرى مخرّبٌ غبرقتهُ ... حتى تدافع منه الربو فالحبلُ
حتى تحمّل منهُ الماء نكلفةَ ... روض القطا فكثيب الفينة السَهلُ
فسمى دد راليهُ عد اصبحت غرضا ... زورا تحانف عنها العود والرسلُ

ابلغ يزيد بنى شيبان مالكة ... انا ثُبيت اما تنفك تأكلُ

الست منتهيا عن نحت اثلتنا ... ولست صايرها ما أطّت الابلُ

كناطح صخرةً يومًا ليفلقها ... فلم يضرها واوهى قرنه الوعلُ

تفرى بها رهط مسعودٍ واخوته ... عند اللقآء فقردى ثم تعتزلُ

لا اعرفنّك ان جدّت عداوتنا ... وراية النصر منكم عوض تحتملُ

تلزم ارماح ذى الجدّين سورتنا ... عند اللقآء فنرديهم وتعتزلُ

لا تقعدن وقد اكلتها حطبًا ... تعود من شرها يوما ونبتهلُ

سائل بنى اسد عنا فقد علموا ... ان سوف ياتيك من انبآينا شكلُ

واسال قُشَيرًا وعبد الله كلهمُ ... واسال ربيعة عنا كيف نفتعلُ

انا نقاتلهم حتى نــقتّلهم ... عند اللقآء وان جاروا وان جهلوا

قد كان فى الكهفِ ان تم اختربوا ... والجاشريّة ما تسعى وتنتضلُ

انى لعمرو الذى حطت مناسمها ... تخدى وسيق اليه الباقر الفيلُ

لئن قتلتم عميدا لم يكن صددًا ... لنقتلَنْ مثلهُ منكم فنمتثــلُ

لئن منيت بنا عن غب معركةٍ ... لا تلفنا عن دمآء القوم ننتقلُ

لا تنتهون ولن ينهى ذوى شطط ... كالطعن يهلك فيه الزيت والفتلُ

حتى يظل عميد القوم مرتفعًا ... يدفع بالراح عنه نسوةٌ عجلُ

اصابهُ عــندوانىٌّ فاقصــدهُ ... او ذابلٌ من رماح الخط معتدلُ

كلاّ زعمتم بانا لا نقاتلكم ... انّا لامثالكم ياقومنا نفــلُ

نحن الفوارس يوم الحنو ضاحية ... جنبى عطيفة لا مدٌ ولا عزلُ

قالوا الطراد فقلنا تلك عادتنا ... او تنزلون فانا معشرٌ نــزلُ

قد تخضب العير من مكنون فايلة وقد يشبط على ارماحنا البطلُ

وقال لبيد بن ربيعة العامرى

عَفَت الديار محلُّها فمقامها بمنىً تابَّد غولُها فرجامُها
فمدافع الريان عُرّى رسمها خلقًا كما ضمن الوحيّ سلامها
دمنٌ تحرَّم بعد عهد انيسها حججٌ خلَون حلالها وحرامها
رُزِقَت مرابيع النجوم وصابَها وَدْقُ الرواعد جَودُها فرِهامها
من كل سَارية وغاد مدجنٍ وعشيَّـــةٍ متجاوبٍ ارزامها
فعلا فروع الايهقان واطلقت بالجهلتين ظباؤها ونعامها
والعين حانيةٌ على اطلائها عُوذًا تأجَّل بالفضآ بهامها
وحلا السيول عن الطلول كانها زُبُرٌ تجدّ متونها اقلامها
او رجع واشمـــةٍ أُسِفَّ نُؤورها كِفَفًا تعرَّض فوقهنَّ وشامها
فوقفت اسألها وكيف سؤالنا صُمّا خوالد ما يبين كلامها
عريت وكان بها الجميع فابكروا منها وغودِر نُؤيُها وثُمَامها
شاقتك ظعن الحيّ حين نحمّلوا فتكنّسوا قُطُنًا تصرّ حيامها
من كل محفوف يُظِلُّ عُصِيَّهُ روجٌ عليه كِلَّـــةٌ وقِرامها
حُفِرتَ وزايلها السراب كانها احراع بيشة أثلُها ورِضامها
بل ما تَذَكّر من نُوارَ وقد نأت وتقطّعت اسبابها ورمامهـــا
مُزِنَـــةٌ حلّت دفَيْفَ وحاورت اهل الحجار فادن منك مرامها
بمشارف الحلمين او بمحجر فتضمّنتها فردةٌ فرخامهـــا

فصوايقٌ ان ايمنت فمظنّـــةٌ منها رخاف القهر او طلخامها
فاقطع لبانة من تعرض وصلهُ ولَشَرٌّ واصل خلّةٍ صَرّامهـــا
واحب الحجامل بالجميل وصرمهُ باقٍ اذا اظلعت وزاغ قوامها
بطليح اسفارٍ تركن بقيّـــةً منها فاحنق صلبها وسنامها
واذا تعالى لحمهـــا وتحسّرت وتقطعت بعد الكلال خدامها
فلها هبابٌ فى الزمام كانها صهباء راح مع النسيم جهامها
او مُلمعٌ وسقت لأحقَبَ لاحَهُ طرد الفحول وضربها وكدامها
يعلو بها حَدَبُ الاكام مُتَحَجِّمٌ قد رابـه عصيانها ووحامها
بأحرّة الثلبوت يربأ فوقهـــا قفر المراقب خوفها آرامهـــا
حتى اذا سَلَخا جُمادَى ستةٍ جَزَأً فطال صيامهُ وصيامهـــا
رجعا بامرهمـــا الى ذى مرّةٍ حصدٍ ونجحِ صريمةٍ ابرامها
ورمى دوابرها السَفَا وتهيّجت ريح المصايف سومها وسَهَامها
فتنازعا سبطًا يطير ظلالـــهُ كدخان مشعلةٍ يشبُّ ضرامها
مشمولـةٍ غُلِثَت بنافج عرفجٍ كدخان نارٍ ساطع اسنامها
فمضى وقدّمها وكانت عادةَ منه اذا هى عرّدت إقدامها
وتوسطا عرض السَرِىّ وصدّعا مسجورةَ متجاورًا قُلّامهـــا
محفوفـةً وسط اليراع يظلّها منهُ مصرّع غابةٍ وقيامهـــا
افتلك ام وحشيةٌ مسبوعـــةٌ حدلت وهادية الصوار قيامها
خنساء ضيّعت الفريرَ فلم تُرم عرض الشقايق طَوفها وبغامها
لمعفّـــر قهد تنازع شلوهُ غُبْسٌ كواسب ما يُمَنُّ طعامها

صادفن منها غرّةً فاصبنهـــا ان المنايا لا تطيش سهامها
باتت واسبل واكفٌ من ديمةٍ يروى الخمايل دايمًا تسجامها
تجتاف اصلاً قالصـــًا متنبذًا بمجوب انقاه يميل هيامهـــا
يعلو طريقة متنها متواتـــرٌ في ليلةٍ كفر النجوم غمامها
وتضى في غلس الظلام منيرةَ كجُمانة البحريّ سُلَّ نظامهـــا
حتى اذا انحسر الظلام واسفرت بكرت تزلّ عن الثرى ازلامها
عَلِهَت تردّد في نهآء صعايدٍ سبعًا توامًا كاملاً ايامهـــا
حتى اذا يَئِسَت واسحَقَّ حالقٌ لم يُبلهِ ارضاعها وفطامهـــا
وتوجّسَت رزّ الانيس فراعهـــا عن ظهر غيبٍ والانيس سقامها
فعدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها
حتى اذا يَئِسَ الرماة وارسلوا غُضْفًا دواجن قافلاً اعصامها
فلحقن واعتكرت لها مَدَرِيَّةٌ كالسَمهرية حَدُّهـــا وتمامها
لتذودهنّ وايقنت ان لم تَذُد ان قد احمّ من الحتوف حمامها
فتقصّدت منها كسابِ فضرّجت بدمٍ وغودِرَ في المَكَرّ سُخامها
فبتلْكَ اذ رقص اللوامع بالضحى واجتاب اردية السراب اكامها
اقضى اللبانة لا افرّط ريبـــةً او ان يلوم بحاجـــةٍ لوامها
او لم تكن تدري نُوارُ بانني وَصّال عقد حبايلٍ جَذّامهـــا
تَرّاكُ امكنـــةٍ اذا لم أَرضَها او يرتبط بعض النفوس حمامها
هل انتِ لا تدرين كم من ليلة طلقٍ لذيذٍ لهوها وندامها
قد بتُّ سَاهرها وغاية تاجـــر وافيت اذ رُفِعَت وعَزَّ مُدَامها

أغلى السباء بكل ادكن عاتقٍ او جونةٍ قُدِحَت وفُضَّ ختامها
وصبوح صافيةٍ وجذب كريمةٍ بمُوَتَّرٍ تَأْتالُهُ ابهامها
باكرتُ حاجتَها الدجاجَ بسحرةٍ لأُعَلَّ منها حين هبَّ نيامها
وغداة ريحٍ قد وزعت وقرَّةٍ قد اصبحت بيد الشمال زمامها
ولقد حميت الحي تحمل شِكَّتي فُرُطٌ وشاحي ان غدوت لجامها
فعلوت مرتقبًا على ذي هبوةٍ حَرِجٍ الى اعلامهنَّ قتامها
حتى اذا القت يدًا في كافرٍ واجنَّ عورات الثغور ظلامها
اسهلت وانتصبت كجذع منيفةٍ جرداء يحصر دونها جرَّامها
رقعتُها طرد النعام وشلَّهُ حتى اذا سخنت وخفَّ عظامها
ترقى وتطعن في العنان وتنتحي ورد الحمامة ان أَجَدَّ حمامها
قلقت رحالتها واسبل نحرها وابتلَّ من زبد الحميم حزامها
وكثيرةٍ غُرَبآؤها مجهولةٍ ترجى نوافلها ويخشى ذامها
غلبٍ تشذَّر بالدحول كانها جنُّ البَدِيِّ رواسيا اقدامها
انكرت باطلها وبُؤْتُ بحقها عندي فلم تحقر عليَّ كرامها
وجزور ايسارٍ دعوت لحتفها بمغالقٍ متشابه اجسامها
ادعو بهنَّ لعاقرٍ او مطفلٍ بُذِلت لجيران الجميع لحامها
فالضيف والجار القريب كانما هبطا تبالة مخصبًا اهضامها
تأوي الى الاطناب كل زريَّةٍ مثل البلِّية قالصٍ اهدامها
ويكلّلون اذا الرياح تناوحت خُلُجًا تمد شوارعًا ايتامها
انا اذا التفت الجماعة لم يزل منا لزاز عظيمة جشّامها

ومقسمٌ يعطى العشيرة حقها ومغذمرٌ لحقوقها هضّامها
فضلاً وذو كرمٍ يعين على الندى سَمْحٌ كسوب رغايبٍ غنّامها
من معشرٍ سنّت لها آباؤهم ولكل قومٍ سنةٌ وإمامها
ان يغرغوا تلقَ المغافر عندهم والسنّ تلمع كالكواكب لامها
لا يطبعون ولا تبور فعالهم بل لا تميل مع الهوى احلامها
فبنوا لنا بيتًا رفيعًا سمكهُ فسما اليهِ كهلها وغلامها
فاقنع بما قسم المليك فانما قسم المعايش بيننا علّامها
واذا الامانة قُسّمت فى معشرٍ اوفى باعظم حظنا قسّامها
فهم السعادة اذا العشيرة افظعت وهُمْ فوارسها وهُمْ حُكّامها
وهُمْ رُبيعٌ للمجاور فيهم والمرملات اذا تطاول عامها
وهم العشيرة ان يُبطِئَ حاسدٌ او ان يميل مع العداة لئامها

وقال عمرو بن كلثوم التغلبى

ألَا هبّى بصحنك فاصبحينا ولا تُبقِى خمور الأندَرينا
مشعشعةَ كان الحصّ فيها اذا ما الماء خالطها سخينا
نجور بذى اللبانة عن هواهُ اذا ما ذاقها حتى يلينا
ترى اللحِزَ الشحيح اذا أُمِرّت عليهِ لمالهِ فيها مهينا
صددتِ الكاس عنا ام عمرو وكان الكاس مجراها اليمينا
وما شر الثلثة ام عمرٍو بصاحبك الذى لا تصحبينا
وانّا سوف ندركنا المنايا مقدَّرةً لنا ومقدّرينا

وان غدًا وان اليوم رهنٌ ... وبعد غدٍ بما لا تعلمينا
ففي قبل التفرق يا ظعينا ... نخبرك اليقين وتخبرينا
بيوم كريهةٍ ضربًا وطعنًا ... اقربهِ مواليكِ العيونا
ففي نسالكِ هل احدثتِ صرمًا ... لوشك البين ام خنت الامينا
تريك وقد دخلت على خلاه ... وقد امنت عيون الكاشحينا
دراعي عيطلٍ ادماء بكرٍ ... ترتّعت الاجارع والمتونا
وثديًا مثل حق العاج رخصًا ... حصانًا من اكفّ اللامسينا
ومثنى لدنةٍ طالت ولانت ... روادفها تنوء بما يلينا
تذكرت الصبا واشتقت لمّا ... رايت حمولها أُصُلاً حُدينا
واعرضت اليمامة واشخرّت ... كاسيافِ بايدى مصلتينا
فما وجدت كوجدى ام سُقبٍ ... اضلّتهُ فرجّعَتِ الحنينا
ولا شمطآء لم يترك شقاها ... لها من تسعةِ الّا جنينا
اباهندِ فلا تعجل علينا ... وأنظِرنا فنخبرك اليقينا
بانّا نورد الرايات بيضًا ... ونصدرهنّ حمرًا قد روينا
وان الطعن بعد الطعن ينشو ... عليك ويخرج الداء الدفينا
وسيد معشرٍ قد توّجوهُ ... بتاج الملك يحمى الحجرينا
تركنا الخيل عاكفةً عليهِ ... مقلّدة اعنّتها صفونا
وايامٍ لنا غرٍّ طوالٍ ... عصينا الملك فيها ان ندينا
وقد هرّت كلاب الحى منا ... وشذّبنا قتادة ان يلينا
متى ننقل الى قوم رحانا ... يكونوا فى اللقآء لها طحينا

يكون ثفالها شرقى نجدٍ ولهوتها قضاعة اجمعينا
ورثنا المجد قد علمت معدٌّ نطاعن دونه حتى يبينا
ونحن اذا عماد الحى خرَّت على الاحفاظ نمنع من يلينا
ندافع عنهم الاعداء قدمًا ونحمل عنهم ما حمَّلونا
نطاعن ما تراخى الناس عنا ونضرب بالسيوف اذا غشينا
بسمرٍ من قنا الخطّى لُدْنٍ ذوابل اوببيضٍ يجتلينا
نشق بها رؤوسَ القوم شقًا وتختلب الرقاب فيختلينا
نخال جماجم الابطال فيها وسوقًا بالاماعر يرتمينا
نحزُّ رؤسهم فى غير برٍّ ولا يدرون ماذا يتَّقونا
كان سيوفنا منا ومنهم مخاريقٌ بايدى لاعبينا
كانَّ ثيابنا منا ومنهم خُضِبن بارجوانٍ او طُلِينا
اذا ما عىّ بالاسناف حىٌّ من الهول المشبَّه ان يكونا
نصبنا مثل رهوة ذات حبل محافظةً وكنا السابقينا
بفتيان يرون القتل مجدًا وشِيبٍ فى الحروب مجربينا
حُذيًا الناس كلهم جميعًا مقارعةً بنيهم عن بنينا
عاما يوم خشينا عليهم فنصبح فى الحديد مقنَّعينا
واما يوم لا نخشى عليهم فنمعن غارةً متلبّبينا
تراس من بنى جُشَم بن بكرٍ نذقّ به السهولة والحزونا
باى مشبه عمرو بن هند نكون لحلفكم فيها فطبنا
تهددنا وتوعدنا رويدًا متى كنا لامك مقتوينا

فان قناتنا ياعمرو اعيت على الاعداء قبلك ان تلينا
اذا عضّ الثقاف بها اشمأزت وولّغهُ عشوزنةً زبونا
عشوزنةً اذا غُمِزَت ارنّت تهجّ قفا المثقف والجبينا
فهل حُدِّثتَ عن جشم بن بكرٍ بنقضٍ فى خطوب الاولينا
ورثنا مجد علقمة بن سيفٍ اباح لنا حصون الحمد دينا
ورثت مهلهلاً والخير منهُ زهيرًا نعم ذخر الزاخرينا
وعتّابًا وكلثومًا جميعًا بهم نلنا تراث الاقدمينا
وذا البُرَة الذى حدثت عنهُ به نحمى ونحمى الملتجينا
ومنا قبلهُ الساعى كليبٌ فأىُّ الحمد الاّ قد ولينا
متى نعقد قرينتنا بحبلٍ تجذّ الحبل او تَقِصُ القرينا
ونوجد نحن امنعهم ذمارًا واوفاهم اذا عقدوا يمينا
ونحن غداة أُوقِد فى حزازٍ رفدنا فوق رفد الرافدينا
ونحن الحاسبون بذى اراطٍ تسف الجلّة الخور الدرينا
ونحن الحالمون اذا أُطِعنا ونحن الغارمون اذا عُصِينا
ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضينا
وكنا الايمنين اذا التقينا وكان الايسرين بنو ابينا
فصالوا صولة فى من يليهم وصلنا صولة فى من بلينا
فآبوا بالنهاب وبالسبايا وأُبنا بالملوك مصفّدينا
اليكم يابنى بكرٍ اليكم ألمّا تعلموا منا النقينا
علينا البيض والبَلَد المانى واسيافٌ بفمن ودحنسا

علينا كل سابغةٍ دلاصٍ ترى فوق النجاد لها غضونا
اذا وضعت عن الابطال يومًا رايت لها جلود القوم جونا
كان غضونهن متون غُدرٍ تصفقها الرياح اذا جرينا
وتحملنا غداة الروع جردٌ عُرفن لنا نقايد وافتُلِينا
ورثناهنَّ عن آبآء صدق ونورثها اذا متنا بنينا
وقد علم القبايل من معدٍّ اذا قببٌ بابطحها بُنِينا
بانا المنعمون اذا قدرنا وانا المهلكون اذا ابتُلِينا
وانَّا الحاكمون بما اردنا وانا النازلون بحيث شينا
وانا الشاربون الماء صفوًا ويشرب غيرنا كدرًا وطينا
وانا النازلون بكل ثغرٍ يخاف النازلون به المنونا
الا سايل بنى الطماح عنا ودُعميًا فكيف وجدتمونا
نزلتم منزل الاضياف منا فعجّلنا القرى ان تشتمونا
قريناكم فعجّلنا قراكم قُبَيل الصبح مرداةً طحونا
على اثارنا بيضٌ كرامٌ تحاذر ان تفارق او تهونا
ظعاين من بنى جشم بن بكرٍ خلطن بميسمٍ حسبا ودينا
اخذن على بعولتهنَّ عهدًا اذا لاقوا فوارس معلمينا
ليستلبنَ افراسًا وبيضًا واسرى فى الحديد مقرَّنينا
اذا ما رحن يمشين الهُوَينا كما اضطربت متون الشاربينا
يقدن جيادنا ويقلن لستم بعولتنا اذا لم تمنعونا
اذا لم نحمهنَّ فلا بقينا لخيرٍ بعدهن ولا حيينا

وما منع الظعاين مثل ضربٍ ترى منه السواعد كالقُلِينا
لنا الدنيا ومن اضحى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا
اذا ما الملك سام الناس خسفًا أبينا ان يقرَّ الخسف فينا
نسمى ظالمين وما ظلمنا ولكنا نبيد الظالمينـــا
الا لا يجهلن احدٌ علينـــا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
ونعدو حين لا يعدى علينا فنضرب بالمواضى من لقينا
الا لا تحسب الاعداء انـّـا تضعضعنا وانّا قد فنينـــا
ملأنا البر حتى ضاق عنا كذاك البحر نملأهُ سفينا
اذا ناح الفطام لنا وليدٌ تخرّ لهُ الجبابر ساجدينـــا

وقال طرفة بن العبد البكرى

لخولة اطلالٌ ببُرقة ثهمـــدِ تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليدِ
وقوفًا بها صحبى علىّ مطيّهم يقولون لا تهلك اسًى وتجلد
كان حدوج المالكيـة غدوة خلايا سفين بالنواصف من دَد
عدولية او من سفين ابن يامن يجور بها الملاّح طورا ويهتدى
يشقّ حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المغابل باليد
وفى الحى احوى ينفض المرد شادنٌ مظاهر سمطَى لؤلؤ وزبرجـد
خدولٌ تراعى ربربا بخميلـة تناول اطراف البرير وترتدى
وتبسم عن ألمى كان منوّرا تخلل حرّ الرمل دعصٌ لهُ ند
سقته اباة الشمس الا لثاتـــه أسفّ ولم تكدم عليه بإثمد

ووجهٍ كان الشمس القت ردآها عليهِ نقيّ اللون لم يتخدَّدِ
واني لامضي الهمّ عند احتضارهِ بهوجآء مرقالٍ تروح وتغتدي
امونٍ كالواح الاران نسأتها على لاحبٍ كانه ظهر برجدِ
تباري عتاقًا ناجياتٍ واتبعت وظيفا وظيفًا فوق مورٍ معبَّدِ
تربَّعت القفّين بالشول ترتعي حدايـــق مولّى الاسرّة اغيدِ
تريغ الى صوت المهيب وتتّقي بذي خصلٍ روعات اكلف ملبدِ
كان جناحي مضرجيّ تكنفا حفافيه شكًّا في العسيب بمسردِ
فطورًا بهِ خلف الزميل وتارةً على حشفٍ كالشنّ ذاوٍ مجددِ
لها فخذان اكمل النحض فيهما كانهما بابـــا منيف ممرَّدِ
وطيُّ محال كالحنيّ خلوفـــهُ واجرنـــةٌ لُزّت بدأيٍ منضَّدِ
كان كناسي ضالةٍ يكنفانها وأطر قسيٍّ تحت صلبٍ موَيَّـدِ
لها مرفقان افتلان كانمـــا تمرُّ بسلمَـــى دالجٍ متشددِ
كقنطرة الرومي اقسم ربُّها لتكتنفن حتى تشاد بقرمـدِ
صهابية العثنون موجدة القرى بعيدة وخد الرجل موّارة اليدِ
امرّت يداها فتل شزرٍ واجتحت لها عضادها في سقيفٍ مسَّندِ
جنوحٌ دفاقٌ عندلٌ ثم افرعت لها كتفاها في مُعَالًى مصعَّدِ
كان علوب النسع في دَأْيانها موارد من خلقآء في ظهر قردِ
تلاقي وإحيانا تبين كانها بنايق غُـــرٌّ في قميص مقدَّد
واتلع نهّاضٌ اذا صعدت بـــهِ كسكّان بُوصيٍ بدجلة مصعد
وحكمةٌ مثل العلاة كانمـا وعى الملتقى منها الى حرف ممرد

وخدٌّ كقرطاس الشآمي ومشفرٌ كسبت اليماني قدّهُ لم يجرّدِ
وعينان كالماويّتين استكنّتا بكهفي حجاجي صخرة قلت موردِ
طحوران غوّار القذى فتراهما كمكحولتي مذعورةٍ امّ فرقد
وصادقتا سمع التوجّس للسرى لهجس خفيٍّ او لصوت منددِ
مؤلّلتان تعرف العتق فيهما كسامعتي شاةٍ بحومل مفردِ
واروع نبّاضٌ احذّ ململمٌ كمرداة صخر في صفيحٍ مصمدِ
واعلم مخروتٌ من الانف مارنٌ عتيقٌ متى ترجم بهِ الارض تزددِ
وان شيت لم ترقل وان شيت ارقلت مخافة ملوىً من القد محصدِ
وان شيت سامى واسط الكور راسها وعامت بضبعيها نجاء الخفيددِ
على مثلها امضي اذا قال صاحبي الا ليتني افديك منها وافتدي
وجاشت اليه النفس خوفا وخالهُ مصابًا ولو امسي على غير مرصدِ
اذا القوم قالوا مَن فتًى خلت انني عُنيت فلم اكسل ولم اتبلد
احلتُ عليها بالقطيع فاجذمت وقد خب آل الامعز المتوقدِ
فذالت كما ذالت وليدة مجلس تري ربها اذيال سحل ممدّدِ
ولست بحلّال التلال مخافةً ولكن متى يسترعد القوم ارعدِ
وان تبغني في حلقة القوم تلقني وان تلتمسني في الحوانيت تصطدِ
وان يلتقِ الحيّ الجميع تلاقني الى ذروة البيت الكريم المصمدِ
متى تاتني اصبحك كاسًا رويّةً وان كنت عنها غابباً فاغن واردِ
نداماي بيضٌ كالنجوم وقينةٌ تروح لنا من نرد ومجسدِ
رحيبٌ قطاب الجيب منه رفيقةٌ لحسّ الدماميل قصّه المجردِ

اذا نحن قلنا اسمعينا انبرت لنا على رسلها مطروقةً لم تشدّدِ
ومازال تشرابى الخمور ولذتى وبيعى وانفاقى طريفى ومتلدى
الى ان تحامتنى العشيرة كلها وافردت افراد البعير المعبّدِ
رايت بنى غبراء لا ينكرونني ولا اهل هذاك الطراف الممددِ
الا ايها اللاحىّ ان اشهد الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدى
فان كنت لا تستطيع دفع منيتى فدعنى ابادرها بما ملكت يدى
فلولا ثلثٌ هن من عيشة الفتى وجدّك لم احفل متى قام عُوّدى
فمنهن سبقى العاذلات بشربةٍ كُميتٍ متى ما تُعلَ بالماء تزبدِ
وكدّى اذا نادى المضاف مجنّبًا كسيد الفضا نبّهتهُ المتورّدِ
وتقصيريوم الدجن والدجن معجبٌ ببهنكةٍ تحت الخباء المعمّدِ
كان البرين والدمالج علّقت على عُشرٍ اوخروعٍ لم يُخضّدِ
كريمٌ بروّى نفسهُ فى حيونهِ ستعلم ان متنا صدًى أيّنا الصدى
ارى قبر نحّام بخيل بماله كقبر غويّ فى البطالة مفسد
ترى جثوتين من ترابٍ عليهما صفايح صُمٌّ فى صفيحٍ منضّدِ
ارى الموت يعتام النفوس ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشددِ
ارى العيش كنزا ناقصًا كل ليلة وما تنقص الايام والدهر ينفدِ
لعمرك ان الموت ما اخطاء الفتى لكالطِوَل المُرخى وثنياهُ فى اليدِ
اذا شاء يومًا قادهُ بزمامهِ ومن يكُ فى حبل المنية ينقدِ
فما لى ارانى وابن عمى مالكا متى ادنُ منه ينأ عنى ويبعدِ
يلومونى وما ادرى على ما يلومنى كما لامسى فى الحى خرط بن اعبدِ

وايأسني من كل خير طلبتهُ كانّا وضعناهُ الى رمس ملحدِ
على غير شي قلتهُ غير انني نشدت فلم اغفل حمولة معبدِ
وقربت بالقربى وجدك انهُ متى يكُ امر للنكيثة اشهد
وان أُدعَ في الجُلّى اكن من حماتها وان تاتك الاعداء بالجهد اجهدِ
وان يقذفوا بالقذع عرضك اسقهم بكاس حياض الموت قبل النهدد
فلا حدثِ احدثتهُ وكحدثِ هجآءي وقذفي بالشكاة ومطردي
فلو كان مولاي ابن أصرم مسهمٌ لفرّج كربي او لانظرني غدي
ولكن مولاي امرءٌ هو خانقي على الشكر والتسال او انا مفندِ
وظلم ذوي القربى اشد مضاضةً على المرء من وقع الحسام المهنّدِ
فدرني وخُلقي انني لك شاكرٌ ولو حل بيتي نائيًا عند صرعدِ
فلوشآء ربي كنت قيس بن خالد ولوشآء ربي كنت عمرو بن مرثد
فاصبحت ذا مال كثير وزارني بنون كرامٌ سادةٌ لمسوّد
انا الرجل الجعد الذي تعرفونهُ خشاشٌ كرأس الحية المتوقدِ
فآليت لاينفك كشحي بطانة لابيض عضب الشفرتين مهنّد
حسامٍ اذا ما قمت منتصرًا بهِ كفى العود منهُ البدء ليس بمعضد
اخي ثقةٍ لاينثني عن ضريبةٍ اذا خيل مهلا قال حاجزهُ قدي
اذا انتدر القوم السلاح وجدتني منيعا اذا بلّت بقائمهِ يدي
وبرك هجودٍ قد اثارت مخافتي نوادِيَها امشي بعضب مجردِ
ممرت كهاةٌ ذات خيف جلالةٌ عقيلة شيخ كالوبيل بلندد
يقول وقد تَرّ الوظيف وساقها الست ترى ان قد اكمت تمرّد

وقال الا ماذا ترون بشـــاربٍ شديدٍ عليكم بغيهُ متعمدِ
فقال ذروها انما نفعها لـــهُ والّا تردّوا قاصيَ البرك يردِ
فظلّ الاماء يمتلئنَ حوارهـا ويُسعَى علينا بالسديف المسرهدِ
لعمري ما امري علّي بغمّـــةٍ نهاري ولا ليلي عليّ بسرمـــدِ
اذا انت لم تنفع بودك قربـةً ولم تنكِ بالبُؤسى عدوك فابعدِ
ارى الموت لايرعى على ذي قرابة وان كان في الدنيا عزيزًا بمعقدِ
فان متُّ فانعيني بما انا اهلهُ وشقّي عليّ الجيب يابنت معبدِ
ولا تجعليني كامرءٍ ليس همهُ كهمي ولا يغني غناءي ومشهدي
بطيءٍ عن الجلى سريعٍ الى الخنا ذلولٍ باجماع الرجال ملهّدِ
فلوكنت وغلاً في الرجال لضرني عداوة ذي الاضحاب والمتوحدِ
ولكن نفى عني الاعاديَ جرأتي عليهم واقدامي وصدقي ومحتدي
واصغرِ مصبوحٍ نظرت حوارهُ على النار واستودعتهُ كف مجمد
ويوم حبست النفس عند عراكها حفاظا على عوراتهِ والتهددِ
على موطن يخشى الفتى عندهُ الردى متى تعترك فيهِ الفرايص ترعدِ
ولا خير في خبر ترى الشر دونهُ ولا قايلٍ ياتيك بعد التلدّدِ
لعمرك ما الايام الّا مُعَـــارةٌ فما اسطعت من معروفها فتزوّد
سنبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزودِ
ويأتيك بالاخبار من لم تبع لهُ ثقاتا ولم تضرب لهُ يوم موعدِ
ارى الموت عدّاد النفوس ولا ارى كعبدا غدًا ما اقرب اليوم من غد
عن المرء لا تسال وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

وقال عنترة بن شداد العبسي.

هل غادر الشعرآء من متردّمِ ام هل عرفت الدار بعد توهم
اعياك رسم الدار لم يتكلمِ حتى يكلمك الاصمُّ الاعجمي
يادار عبلة بالجوآء تكلمي وعمي صباحًا دار عبلة واسلمي
دارٌ لانسةٍ غضيضٍ طرفها طوع العناق لذيذة المتبسم
فوقفتُ فيها ناقتي وكانها فَدَنٌ لاقضي حاجة المتلوّم
وتحل عبلة بالجوآء واهلها بالخزن فالصّمّان فالمتثلم
خيّمتَ من طللٍ تقادم عهدهُ اقوى واقفر بعد امّ الهيثم
وتظل عبلة في الخدور تجرّها واظلُّ في حلق الحديد المبهم
حلّت بارض الزايرين فاصبحت عسرا علي طلابك ابنة مخرم
عُلّقتها عرضًا واقتل قومها زعمًا لعمر ابيك ليسَ بمزعم
ولقد نزلتِ فلا تظنّي غيرهُ مني بمنزلة المُحَبّ المُكرَم
اني عدافي ان ازورك فاعلمي ما قد علمتِ وبعض ما لم تعلمي
حالت رماح بني بغيضٍ دونكم وررت خوافي الحرب كل ململم
ياعبل لو ابصرتني لرايتني في الحرب اقدم كالهزبر الضيغم
كيف المزار وقد تربع اهلها بعنيزتين واهلنا بالغمليم
ان كنت ازمعتِ الفراق فانما ذممت ركابكم بليل مظلم
ما راعني الا حمولة اهلها وسط الديار تسف حب الخمخم
فيها اثنتان واربعون حلوبة سودا كخافية الغراب الاسحم
اذ تستبيك بذي غروب واضح عذب مقبله لذيذ المطعم

وكان قارةَ تاجرٍ بقسيمـــةٍ سبقت عوارضها اليك من الفمِ
او روضـةً أُنُفًا تضمّن نبتهـا غيثٌ قليل الدمن ليسَ بمعلمِ
نظرت اليك بمقلةٍ مكحولـةٍ نظرَ الملول بطرفهِ المتقسمِ
وبحاجبٍ كالنون زيّن وجهها وبناهدٍ حسنٍ وكشحٍ اهضمِ
ولقد امرّ بدار عبلة بعد ما لعب الربيع بربعها المتوسمِ
جادت عليه كل بكرٍ حُرَّةٍ فتركن كل قرارةٍ كالدرهمِ
سحا وتسكابًا فكل عشيـةٍ يجرى عليها الماء لم يتصرمِ
وخلا الذباب بها فليس ببارحٍ غَرِدًا كفعل الشارب المترنمِ
هزِجًا يحكّ ذراعهُ بذراعـهِ قدح المُكبّ على الزناد الاجذمِ
تمسي وتصبح فوق ظهر حشيّة وابيتُ فوق سراة ادهم ملجمِ
وحشيّتي سرجٌ على عبل الشوى نهدٍ مراكلهُ نبيل المحرمِ
هل تُبلِغَنّي دارها شَدَنيّـةٌ لعنت بمحروم الشراب مصرَّمِ
خطّارةٌ غبّ السُرَى زيّافـةٌ تَطِسُ الاكام بوقع خفٍ مِيثمِ
وكانما تَطِسُ الاكام عشيـةً بقريب بين المنسمين مصلّمِ
تأوى له فلص النعام كما اوت حِرَقٌ يمانيةٌ لاعجم طمطمِ
تسعى ثلّة راسه وكانـهُ حرجٌ على نعشٍ لهنّ مخيّمِ
صعل يعود بذي العشيرة بيضهُ كالعبد ذي الفرو الطويل الاصلمِ
شربت بما الدحرضين فاصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلمِ
وكانما تسقي بجانب دفّها الـ وحشيّ من هرج العشيّ مؤوَّمِ
هزِجٍ حسنٍ كلما عطفت لهُ عصبي اتّفاقها بالبدين وبالفمِ

بركت على جنب الرداع كانما بركت على قصبٍ اجشّ مهضّمِ
وكان رُبًّا او كُحَيلا معقـــدًا حشّ الوقود بهِ جوانب قمقمِ
بلّت مغابنها بهِ فتوسعـــت منهُ على سعنٍ قصيرٍ مكرمِ
ابقى لها طول السفار مقرمدًا سندًا ومثـــل دعايم المتخيمِ
ينباع من ذفرى عضوبٍ حسرةٍ زيافةٍ مثل الفنيق المكـــرمِ
ان تغدقي دوني القناع فانني طبٌّ باخذ الفارس المستلئمِ
اثني علي بما علمتِ فانني سهلٌ مخالفتي اذا لم أُظلـــمِ
فاذا ظلمت فان ظلمي باسلٌ مرٌّ مذاقتهُ كطعم العلقـــمِ
ولقد شربت من المدامة بعدما ركد الهواجر بالمشوف المعلمِ
بزجاجـــةٍ صفراء ذات اسرّةٍ قُرِنَت بازهر في الشمال مفدّمِ
فاذا شربت فانني مستهلكٌ مالي وعرضي وافرٌ لم يكلمِ
واذا صحوت فما اقصّر عن ندى وكما علمتِ شمايلي وتكرمي
وحليل غانيةٍ تركت مجندلاً تمكو فرايصهُ كشدق الاعلمِ
سبقت يداي له بعاجل طعنة ورشاش نافذة كلون العندمِ
هلّا سالتِ الخيل يا ابنة مالك ان كنتِ جاهلة بما لم تعلمي
اذ لا ازال على رحالة سابحٍ نهدٍ تعاوَرَهُ الكماة مكلّمِ
طورًا يجرد للطعـــان وتارةً يأوي الى حصد القِسيّ عرمرمِ
يخبرك من شهد الوقيعة انني اغشى الوغى واعفّ عند المغنمِ
ولقد ابيت على الطوى واظلّهُ حتى انال بهِ كريم المطعـــمِ
ومدجّج كرهَ الكماة نزالهُ لا ممعن هربـــا ولا مستسلمِ

جادت يداى له بعاجل طعنةٍ بمثقفٍ صدق الكعوب مقوّمِ
فشككت بالرمح الطويل ثيابهُ ليس الكريم على القنا بحرّمِ
وتركتهُ جزر السباع ينشنهُ يقضمن حسن بنانه والمعصمِ
ومشكّ سابغةٍ هتكت فروجها بالسيف عن حامى الحقيقة مُعلَمِ
رَبذٍ يداهُ بالقداح اذا شتا هتاك غايات التجار ملوّمِ
لما رانى قد نزلت اريدهُ ابدى نواجذهُ لغير تبسّمِ
فطعنتهُ بالرمح ثم علوتهُ بمهنّدٍ صافى الحديدة مخذمِ
عهدى بهِ مدّ النهار كانما خضب البنان وراسه بالعظلمِ
بطلٌ كان ثيابهُ فى سرحةٍ يحذى نعال السبت ليس بتوأمِ
ياشاة ما قنصٍ لمن حلّت لهُ حرمت علىّ وليتها لم تحرمِ
فبعثت جاريتى وقلت لها اذهبى وتجسّسى اخبارها لى واعلمى
قالت رايت من الاعادى غرّةً والشاة ممكنةٌ لمن هو مرتمِ
وكانما التفتت بجيد جدايةٍ رشاءِ من الغزلان حرٍّ ارثمِ
نُبّئتُ عمرًا غير شاكر نعمتى والكفر مخبثةٌ لنفس المنعمِ
ولقد حفظت وصاة عمى بالضحى اذ تقلص الشفتان عن وضح الفمِ
فى حومة الموت التى لا تشتكى غمراتها الابطال غير تغمغمِ
اذ يتّقون بىَ الاسنة لم اخم عنها ولكنى تضايق مقدمى
لما سمعت ندآء مرّة قد علا وبنى ربيعة فى الغبار الاقتمِ
وكلمٌ يسعون تحت لوآيهم والموت تحت لوآء آل محلمِ
ايقنّ ــ ان سبكون عند لقابهم ضربٌ بطبر عن الفراخ الخُثّمِ

لما رايت القوم اقبل جمعهم يتذامرون كررت غير مذمّمِ
يدعون عنتر والرماح كانها اشطان بئرٍ فى لبان الادهمِ
يدعون عنتر والسيوف كانها لمع البوارق فى سحابٍ مظلمِ
يدعون عنتر والدروع كانها حدق الضفادع فى غديرٍ ديجم
ولقد تركت المهر يُدمَى نحرهُ حتى التقتنى الخيل ثانى جذعمِ
مازلت ارميهم بثغرةِ نحره ولبانهِ حتى تسربل بالدمِ
فازوَرّ من وقع القنا بلبانهِ فشكا الىّ بعبرةٍ وتحمحم
لوكان يدرى ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمى
ولقد شفى نفسى وابرأ سقمها قول الفوارس ويك عنتر اقدمِ
والخيل تقتحم الخبار عوابسًا ما بين شيظمةٍ واجرد شيظمِ
ذُلِّلْ ركابى حيث شيت مشايعى لبى واحفزهُ بامرٍ مُبرَم
ولقد خشيت بان اموت ولم يكن للحرب دايرةٌ على ابنى ضمضم
الشاتمى عرضى ولم اشتمهما والنادرين اذا لم القهما دمى
ان يفعلا فلقد تركت اباهما جزر السباع وكل نسرٍ قشعم

وكان من شعرآء العرب المعدودين حاتم الطائىّ الذى تُضرب به الامثال فى الجود الا ان شهرة جودهِ غلبت على شعره اذ لم يكن لهُ نظيرٌ فى الكرام وكانت نظرآؤهُ كثيرةً فى الشعر ومن ثَمَّ راينا ان نختم كتابنا هذا بذكرهِ عان فيهِ من الامرين ما نلتذّ بهِ المسامع ويشتاق اليه

المطالع فنقول هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج من ولد ثُعَل الطاءيّ وامهُ غنيَّة بنت عفيف بن عمرو كان من شعرآء العرب المشاهير وخطبآيهم الفصحآء وكرامهم المسرفين وكان منقطع النظير فى الكرم فسار ذكرهُ فى الآفاق وضُرِبَت بهِ الامثال ولهجت بهِ الشعرآء قال بعضهم

لمّا سالتك شيًّا بدلت رشدًا بغَيِّ
ممَّن تعلَّمتَ هذا ان لا تجود بشيِّ
اما مررت بعبدِ لعبد حاتم طيِّ

وقال اخر

لمجود حاتم طيٍّ وحاتم البخل عَونُ
له مصابيح بيضٌ والعرض اسود جَون

وقال اخر

وحاتم طيّ ان طوى الموت جسمهُ فنشر آسمه فى الجود عاش مخلَّدا

وكان من حديث حاتم ان اباهُ عبدالله توفى وهو لم يبلغ من العمر اثنتى عشرة سنة فربَّاهُ جدُّهُ سعد واحسن اليهِ ثم زوَّجهُ بامرأةٍ جميلة المنظر يقال لها نوار بنت عبدالله فولدت لهُ ابنة سمَّاها سفّانة وبها يُكنَّى وكانت امه غنية من افضل الناس عقلاً وكرمًا فعلَّمتهُ اسباب المكارم وتطرَّق على ذلك حتى برع فيهِ وكان من عادته ان لا يجلس وحدهُ على طعامه فاذا لم يجصرهُ احدٌ من اضيافه دعا بعض رجال الحيّ ياكل معهُ وعلى ذلك فولهُ يخاطب نوار امرانهُ

ايا ابنة عبد الله وابنة مالـــكٍ ويا ابنة ذى البُردَين والفرس الورد
اذا ما صنعتِ الزاد فالتمسى لـهُ اكولاً فانى لست آكلهُ وحدى

وقال فى مثل ذلـك

اذا كان بعض المال ربًّا لاهلهِ فانى بحمد الله مالى مُعَبَّـدُ
يُفَـكُّ بهِ العانى ويُؤكل طيّبًا ويُعطَى اذا ضنَّ البخيل المصرَّدُ
كذاك امور الناس راضٍ دنيَّةَ وسامٍ الى فرع العُـــلى مُتَورِّدُ

وكان جدَّهُ سعد بخيلاً يكره بذل المال فأنِف من افعال حاتم واراد ابعادهُ عن الناس بحيث لايرى من ينفق ماله عليهِ فقال لهُ ذات يومٍ يابُنَيَّ ان اموالنا قد قلَّ مرعاها فاريد منك التلطف فى امرهـا قال حبًّا وكرامة فسلَّم اليهِ قطعة عظيمة من الابل واعطاه جارية ومهرد من كرام خيلهِ وارسلهُ الى صحرآء بعيدة منقطعة عن الناس فمضى حاتم واقام هناك مدةً وهو لا يرى احدًا فضاق صدرهُ واشتاق الى لقآء الرجال ولما كان بعض الايام اقبل عليهِ ثلثة من شعرآء العرب المشاهير قد خرجوا فى طلب المعاش وهم عُبَيد بن الابرص الاسدىّ وبشر بن ابى حازم القُرَشىّ والنابغة الذبيانىّ فاستقبلهم حاتم بالكرامة وسالهم النزول عليهِ فقالوا هل عندك شئ من الزاد قال نعم فنزلوا وقام حاتم فنحر ثلثا من النوق واضرم النار فعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا يا ابا سفَّانة قد تجاوزت حدَّ الاسراف قال قد علمت انكم من ثلث قبايل فنحرت اكراما لكل قبيلة فاقة واستعرتوا امرهُ ومدحوهُ بابيات من الشعر حتى اذا ارادوا الانصراف

قال يا قوم قد اردت ان اتفضّل عليكم بالقرى فتفضّلتم علىّ بالثنآء ولا بد من القيام بالمكافاة قالوا ذاك اليك فاعطاهم كل ما عندهُ من الابل وزادهم الجارية والمهرة ورجع الى الحى راجلاً فلما راهُ جدّهُ قال اين الابل يا حاتم قال اجزت بها شعرآء العرب واشتريت بذلك ذكرًا لا يبلى وفخرًا لا يزول فاستشاط سعدٌ غضبًا واخذ بقيّة امواله ورحل باهله عنهُ وفى ذلك يقول حاتم

وانى لعفو الفقر مشترك الغنـــى وتارك شكلٍ لا يوافقهُ شكـلى
وجاعل مالى دون عرضىَ جُنّـــةً لنفسى ومستغنٍ بما كان من فضلى
وما ضرّنى ان سار سعد إباهلـــهِ وافردنى فى الدار ليس معى اهلى
سيكْفَى اتبنآء المجد سعد بن حشرجٍ واحمل عنكم كلّ ما شقّ من ثقلِ
ولى مَعَ بذل المال فى المجد صولةٌ اذا الحرب ابدت عن نواجذها العُضلِ

ومن حديث حاتم انهُ نزل فى بعض اسفاره على بنى فهم وكان فيهم جارية بارعة الجمال يقال لها ماوية بنت افرز وكانت قد وضعت على نفسها ان لا تتزوج الا بمن تختبر اخلاقهُ حتى لا تسقط فى الندامة فضربت حول خبآيها سرداقًا للضيوف وكان كل طارقٍ ياتيها تمتحنهُ حتى تقف على دخيلة امرهِ وما زالت كذلك حتى نزل حاتمٌ بقومها وكان قد سبقهُ اليها رجلان من الشعرآء يخطبانها احدهما النابغة الذبيانى والاخر رجلٌ من بنى مُزَينة فحضر حاتمٌ اليهما وارسلوا اليها جميعًا يعلمونها بقدومهم فارسلت اليهم ان يبيتوا ليلتهم فى السردق فاذا كان الغد استحضرتهم الى مجلسها وبعثت لكل

واحد منهم جزورًا يصلح منهُ لنفسهِ ما شآء من الطعام فوثب كلٌّ الى جزورهِ فنحرهُ واضرم النار ولما علمت ماوية بذلك خلعت ثيابها ولبست ثياب امةٍ لها وخرجت اليهم كانها سائلةٌ تستعطي وكان اول من وقفت عليه النابغة فاستطعمتهُ فاعطاها قليلاً من خبايث الجزور فاخذتهُ ومرّت على المُزَنـيّ فاعطاها كذلك ثم انتهت الى حاتم فاقتطع لها كثيرًا من اطايب الجزور وتلطّف لها في كلامهِ فانصرفت وقد وقع حاتم في قلبها موقعًا جليلاً ولما دخلت خباءها دفعت ما معها من اللحم الى جاريتها وقالت احفظيه الى الغد ولما كان الصباح استحضرتهم الى مجلسها واستنشدتهم ما يَصِفون انفسهم بهِ فقال النابغـــــــة

هلاَّ سألتِ بني ذبيان عن حسبي يوم الطعان اذا ما احمرّت الحَدَقْ
وجآءت الخيل مُبْتَلَّاً رحايلهـا بالمآء يقطر من لبّاتها العَلَقْ
قد اطعن الفارس الماضي عزيمتهُ بعامل الرمح والاحشآء تخترقْ
والخيل تعلم انى لا اقاس بهـا حتى يقاس بثوب حادثٍ خَلَقْ
ولي لسانٌ اذا نلت الملوك بهِ امسى عليَّ سحاب المال يندفقْ

وقال المُزَنيّ

اماويةٌ ان ترغبي في فصاحـــةٍ فان الى مثلي الفصاحة تُنسبْ
وان ترغبي في المال فالمال هيّنٌ وليس على مثلي اذا شآء يصعبْ
وان ترغبي في الجود مني فأهلهُ ونارَي لا تخبو اذا حنّ غيهبْ
وان ترغبي في خوض يوم كريهة فاني في الهيجـــآء ليثٌ مُحَرَّبْ

وانىَ من لا ينثنى عن مقامهِ اذا لم يَنَل منهُ الذى كان يطلبْ

وافضت النوبة الى حاتم فانشد يقول

اماويـــةْ طال التجنُّب والهجرُ وقاومنى فيما احاولهُ الدهرُ
أَماوِىَ ان المال غـــــادٍ ورائحٌ ويبقى من المال الاحاديث والذكرْ
أَماوىَ ان المال لا ينفع الفتى اذا نفسهُ ضاقت وضاق بها الصدرُ
امـاوىَ انى لا اقـول لسائلٍ اذا جآء يومًا حلَّ فى مالنا النزرُ
اماوىَ ان يصبح صداىَ بقفرةٍ من الارض لا مآء لدىَّ ولا خمرُ
تَرَى انّ ما انفقت لم يَكُ ضرَّنى وان يدى مما بخلتُ بهِ صَفرُ
وقد علم الاقوام لو انّ حاتمًا اراد ثـــرآء المال كان له وفرْ
وانىَ لا آلُو بمال صنيعـــةٍ فاولهُ زادٌ واخرهُ ذخـــــرُ
نُبقّـكَ بهِ العانى ويُؤكل طيبًا ويُحفَظ عرضٌ ان هذا هو العمرُ
نُلِينا زمانًا بالتصعلك والغنى وكلٌّ سقاناهُ بكاسيهما الدهرُ
فما زادنا بغيًا على ذى قرابةٍ غنانا ولا ازرى باحسابنا الفقرُ

فلما فرغ حاتمٌ من انشادهِ قالت ماوية والله لا يسمع احدٌ مثل هذه الابيات ويبقى عندهُ قيمةٌ للمال ثم دعت بالطعام وكانت قد امرت الجارية ان تقدّم الى كل واحدٍ منهم ما اعطاها اياهُ لما استطعمتهُ امس ففعلت كذلك فاطرق النابغة والمُزَنىُّ الى الارض وخرجا منصرفين ولبث حاتم عندها فرفعت الحجاب وقالت ان رايت ان تطلّق نوار مانا مكانها قال لا والله لاتسح نفسى بذلك ثم فارقها وانصرف الى ديار طىّ فما لبث الا قليلاً حتى تُوُفّيَت زوجتهُ نوار فنازعتهُ

نفسهُ الى ماوية وعاد اليها فتزوج بها وحملها الى قومه وكان يومئذٍ ابن ست وعشرين سنة ومما يُحكَى عن زوجتهِ ماوية قالت اتت علينا سنةٌ شديدة القحط حتى نفد كل ما عندنا من القوت واضرّ الجوع بكل من في الحيّ حتى ذبحوا جميع المواشي التي عندهم واشتدّ الامر جدًا حتى ضجّت اولادنا من الجوع فاخذت اعلّلهم بالحديث حتى ناموا ثم اضجّعت ولم ياخذني نومٌ وبينما انا كذلك اذا امرأةٌ دخلت الخبآء فقال حاتم ما حاجتك ايتها المراة قالت ان لي ستة اولادٍ لم يذوقوا الطعام منذ ايامٍ قال احضريهم فوالله لأُشبِعنّهم الليلة قالت ماوية كل ذلك يجري وانا سامعةٌ وحاتم يظنّ اني نايمة فلما ذهبت المراة نهضت وقلت ياحاتم بماذا تشبع اولادها واولادك لم يناموا الا بالتعليل فاطرق براسهِ الى الارض وما لبثت المراة ان جآءت باولادها فوثب حاتم الى فرسه حلاب التي كانت من كرام الخيل في الجاهلية وكان لم يبقَ لهُ من الماشية غيرها فنحرها واضرم النار واعطى المراة شفرةً وقال اقطعوا واشتووا ما بدا لكم ثم قال والله لا يحسن ان نشبع وجيراننا حياعٌ فدعا من حولهُ وجلسوا ياكلون حتى لم يتركوا الا العظام وقيل انهُ مرّ يومًا بحلّة بني عنزة فاجتاز باسيرٍ عندهم وكان الاسير صعلوكًا لا يملك الفدآء فلما راى حاتمًا صاح اغثني يا ابا سفّانة ولم يكن مع حاتم ما يفديه بهِ فضمن الفدآء لامير الحلة فأبى الا ان يقتصّ قبل اطلاق الاسير فاقام حاتم مكانهُ في الاسر وارسل الاعرابيّ الى

قومه فى احيآءطئ بعلامة منهُ حتى اتى بالفدآء فدفعهُ الى القوم
واطلق نفسهُ من اسرهم قيل ان احد قياصرة الروم بلغتهُ اخبار
جود حاتم فاستغرب ذلك وكان قد بلغهُ ان لحاتم فرسًا من كرام
الخيل عزيزةً عندهُ فارسل اليهِ بعض نُجَّابهِ يطلب منهُ الفرس هديَّةً
اليهِ وهو يريد ان يمتحن سماحتهُ بذلك فلما دخل الحاجب
ديارطئ سال عن ابيات حاتم حتى دخل عليهِ فاستقبلهُ احسن
استقبال ورحب بهِ وهو لا يعلم انهُ حاجب الملك وكانت المواشى
حينئذٍ فى المراعى فلم يجد اليها سبيلًا لقرى ضيفهِ فنحر الفرس
واضرم النار ثم دخل الى ضيفهِ يحادثه فاعلمهُ انهُ رسول قيصر قد
حضر يستمنحهُ الفرس فسآء ذلك حاتمًا وقال هلَّا اعلمتنى قبل الان
فانى قد نحرتها لك اذ لم اجد جزورًا غيرها بين يدىّ فعجب الرسول
من سخآيهِ وقال والله قد راينا منك اكثر مما سمعنا وقيل ان
حاتمًا جلس يومًا للشراب ودعا البه من كان فى الحلَّة فحضروا وكانوا
ينيفون عن مايتى رجل فلما فرغوا من شرابهم وارادوا الانصراف
اعطى كل واحدٍ منهم ثلثًا من النوق وفد حاتم على عمرو بن
هند ملك الحيرة ومعهُ اوس بن حارثة وكان من كرام العرب فقال
عمرو لاوس انت اكرم ام صاحبك حاتم فقال إبيت اللعن لو
وهبتنى لحاتم لوهبنى فى ساعةٍ واحدة واخبار حاتم فى الكرم
اكثر من ان تُحصى فاقتصرنا منها على ما ذكرناهُ

تمت اخبار الشعرآ وبتمامها تمَّ هذا الكتاب الذى جمعنا غبهِ ما لاق

وراق من اخبار العرب المتقدمين التي نقلناها من اسفارٍ شتّى عن ثقات المورخين فجآء بحمد الله كتابًا كاملاً شاملاً يغني عن كثيرٍ من مطوّلات الاسفار ولا يملُّ الناظر فيهِ من اسهاب الروايات وتطويل الاخبار وانا التمس ممن طابت سريرتهُ وحسنت سيرتهُ ان يتجاوز بفضلهِ عما طفى بهِ القلم وزلّت بهِ القدم فان الكمال لله وحدهُ ولا عصمة الا عندهُ وهو حسبنا ونعم الوكيل وكان الفراغ

من تبييضهِ يوم الخميس في اواسط شهر تشرين

الثاني سنة احدى وخمسين وثمانماية والف

من التاريخ المسيحي احسن الله

ختامها ويسّر بالخير اتمامها

والحمد لله اولاً واخرًا

بقلم كان النجار من طبع هذا الكتاب في العشر الاول

من شهر تموز سنة ١٨٥٢

بمطبعة الفعلة في مرسيلية في سوق كانبير عدد ٤٢